١٠٢٦
1026
Harlequin
سلسلة قصص رومانسية كبيرة
دار النحاس

ريما

مؤامرة قاسية

هيلين بروكس

www.rewity.com
ريما

ريما

مؤامرة قاسية

هيلين بروكس

إذا ظن كورد الشوني أن باستطاعته جرف طريقه واقتحام حياة إيلين، فستكون بانتظاره مفاجأة كبيرة. وجدت إيلين نفسها، من جراء تصرفات شقيقها التوأم، غير المحمودة، مؤخراً، واقعة في دين كبير يبلغ خمسين الف جنيه! رجل أعمال متحجر القلب مثل كورد، فقط يستطيع أن يستنبط مثل هذا العقاب "القاسي والذي ترك إيلين تشعر بكراهية متنامية نحو الرجل. ولم يستطع اخفاء القسوة وعدم التعاطف، حتى تحت قناع وسامته وسحرته الجذابين. كم بقي لها من الوقت كي تصبح حرة وطليقة من أسره؟ كانت تعد الدقائق لذلك..

www.rewity.com

«أنت وغد!»

أجاب كورد غاضباً: «عندي ميل شديد إلى أن أعود بك إلى بلدي وأعلمك ما يعني حقاً أن تكوني امرأة.»

«وكيف ستقوم بذلك؟ بضربي أم بجلدي... هذا ما اتخيله، يبدو منك!»

«لا شيء من هذا، أبداً، هنالك وسائل مختلفة لاخضاع امرأة متمردة.»

ابتسمت إيلين بمرارة. «حسناً، قد لا أكون عند حسن ظنك، ولكنني، على الأقل، لا استغل الناس ثم اطرحهم جانباً، عندما يحلو الأمر لي.»

www.rewity.com

ربما

الفصل الأول

«ماذا تعتقدين أنك فاعلة بحق السماء؟» استدارت إيلين متوترة، فور سماعها الصوت الخشن الذي أتى من خلفها ناثرة مجموعة الأوراق التي كانت تحملها، على شكل قوس، التف حول قدمي الرجل الطويل الواقف في الرواق.

«لقد أجفلتني...» وتوقفت عن الكلام عندما رأت الغضب الملتهب يحول العينين الرماديتين إلى عينين داكنتين ضيقتين. وكان التهديد واضحاً في كل زاوية من زوايا جسده المشدود.

«سوف أقوم بأكثر من ذلك!» تقدم خطوة نحوها، فتراجعت إيلين لتستند إلى طاولة تيم، وقد أصبحت عيناها البنيتان الداكنتان، متسعتين من شدة خوفها: «أنت شقيقة تيم، ألست كذلك؟» اختلس نظرة إلى الصورة الصغيرة التي تظهرها ضاحكة في وجه الكاميرا، وتظهر أيضاً شعرها الأشقر الكثيف المتطاير في كل الاتجاهات.

«نعم.» واعتدلت في وقفتها وهي تجيبه بشيء من المرح، وفكرت أنه لا بد وقد اعتقد في البداية أنها لصة، فهذا يفسر سبب عدائه لها.

«وأين شقيقك العزيز؟» لم تخف حدة الغضب عن هذا الوجه الوسيم ولا حتى مقدار ذرة: «هل أرسلك لتقومي بالمزيد من عمله القذر؟»

«لا أعرف عما تتكلم.» انتصبت إيلين بكل قامتها البالغة

متراً وخمسة وسبعين سنتمتراً وحملقت به بوجه شاحب، أصبح على شكل قلب. «طلب تيم مني أن أحضر له بعض الأوراق. هذا كل ما في الأمر. ولكن ليس لك أي علاقة بالموضوع حتى أني لا أعرف من تكون. رئيسه المباشر أخذ علماً بمرضه، وهنالك بعض الأمور التي عليه أن ينهيها في المنزل.»

«إنه ليس في المنزل.» قال بصوت بارد حازم: «صدقيني إن الناس يحاولون الاتصال به هناك، منذ أيام.»

«حسناً، هذا ليس جريمة، أليس كذلك؟» بدأت تشعر بالغضب، تساءلت بصمت من يعتقد نفسه هذا الشخص الثقيل؟ «في الواقع، إنه يقيم عندي، وليس هذا من شأنك! لقد أخبرتك أنه ليس بخير.»

«ليس بخير.» ردد كلماتها ببطء وبسخرية لاذعة: «وأنت بالطبع ليس لديك أي فكرة عما أصابه.»

«إنه فيروس من نوع ما.» نظرت إلى وجهه القاسي بحيرة، وبدأت تشعر بالاضطراب يسيطر عليها وكأنه يلطف غضبها بأنامل وهمية، فأردفت: «أعتقد أنها إنفلونزا.»

«إنفلونزا!» قال بصوت خشن وفيه ضحكة رنانة جعلتها تجفل. «سوف أصيبه بالإنفلونزا عندما أمسك به. أخوك العزيز يا آنسة مارسيل، في ورطة كبيرة، وإذا تبين لي أنك متورطة معه، كما اعتقد، سوف أجعلك تتمنين لو أنك لم تخلقي.»

«حقاً، من أنت؟» بدأت تشعر بالوهن في ركبتيها. فلم يمض على عودتها من رحلتها إلى اليونان التي استغرقت شهراً غير ساعات قليلة، لتجد أن تيم يقيم في شقتها، الصغيرة، متذرعاً بأن البيت الكبير الذي يشترك في السكن فيه مع ثلاثة من أصدقائه، قد طُلي حديثاً والرائحة التي تفوح من هذا الطلاء

تجعله يشعر بالمرض أكثر. لقد صُبمت في أعماقها عندما رأت لونه الشاحب الذي يدل على المرض. شعرت بالقلق عليه، فأخذت تهتم به وسمحت له بالبقاء في شقتها حتى يشعر بتحسن، فيما هي تنام على الأريكة الصغيرة في غرفة الجلوس.

«كورد لاشوني، هل ذكر تيم الاسم على مسامعك؟» نطق الصوت العميق هذه الكلمات بحدة.

راحت تتساءل، هل ذكر هذا الاسم! كورد لاشوني. هوايت تشيف الكبير. إنه ذائع الصيت، معروف بقساوته وهدوء أعصابه في العمل مما جعله يتحول من رجل مغمور إلى صاحب ملايين كبير في أقل من عشر سنوات. من مجرد مقاول بسيط إلى رجل مقاولات كبير فذّ، يكرهه أنداده ويخافونه، ولكن في الوقت نفسه له احترام فائق بينهم. إنه في السابعة والثلاثين من العمر ويملك العالم تحت قدميه، زواج منهار، وعرف عنه هوسه باقامة علاقات قصيرة ومتلاحقة مع العديد من النساء. إنه رجل عملاق بين الرجال، يتبع اسلوباً معيناً في الحياة لا يضاهى.

قال بصوت قاسٍ متحجر. «حسناً؟ ماذا في عقلك الصغير؟ إنني أكاد أن اسمع صوت هذا الدوران.»

«إسمع يا سيد لاشوني، إنك لن تصدق هذا.» وبدأت تقول ببطء: «ليس لدي أية فكرة عما تتكلم.»

سمعته يشتم بصوت خافت رقيق وبلغة أجنبية، ولكن كان المعنى واضحاً: «أنت محقة، أنا لا أصدق هذا.» وتحرك قليلاً ليقف في مواجهتها. جسمه الضخم فوق حجم جسمها الصغير. أرعبها طوله بشدة، ست أقدام، ست على الأقل. كان جسده مصقولاً

www.rewity.com

ريما

وكتفاه عريضتين مثل كتفي رجل رياضي يسمو إلى الكمال. وفكرت إيلين بأن كثيراً من النساء قد يجدن في قوة رجولية كهذه شيئاً جذاباً. لكن كان في ذلك الوجه الغاضب المكفهر لمسة من القسوة جمّدت الدماء في عروقها. كان مثل قط كبير مدهش من بعيد، ولكنه مروع مؤثر على الأعصاب عن قرب.

«لقد أخبر تيم رئيس القسم الذي يعمل فيه أنه كان مريضاً.» قالت يائسة وقد شعرت برجفة من الخوف تسري في عمودها الفقري. ثم أضافت: «أنا متأكدة من أنه سيعود لمزاولة أعماله حالما يشعر بتحسن. إن عمنا يعمل هنا، وقد قال ل...»

«هل تظنين أنني غبي؟» إن وجود اللكنة الغريبة في مخارج بعض كلماته بالإضافة إلى بشرته البرونزية القاتمة، أثبتا أنه ليس انكليزياً. حاولت عبثاً أن تتذكر كل ما قاله لها تيم عن هذا الرجل، وهي جالسة على طاولة المكتب. وقد جعلتها النظرة الرمادية المحدقة إليها، تتجمد مثل فراشة فوق قطعة ورق مقوّى.

«كلا، لا أعتقد أنك غبي، يا سيد لاشوني.» ومررت يدها فوق عينيها وهي تشعر أنها حائرة: «كل ما في الأمر أنني لا أفهم...»

«أنت لا تفهمين؟» أتت كلماته لاذعة بشكل واضح. «حسناً، ربما باستطاعتي أن أجعلك تفهمين.» حدقت به بعينين واسعتين، عندما تراجع إلى الخلف، ووقف عاقداً يديه حول جسمه يراقبها. قفز قلبها، ولم يكن الخوف سبب ذلك. فقد كانت جاذبيته شديدة، وكادت أن تشعر برجولته تخترقها.

«أنا متأكد من أنك على علم، بأن اخاك قد مُنح مركزاً في شركتي بتوصية من عمك.» فهزت رأسها وهي صامتة ثم

أضاف: «لأنه خريج جامعة دون خبرة، فقد اعطى مركز مسؤول في القسم الذي يديره عمك، وقد كانت الفكرة المأخوذة عنه أنه رجل شريف ويمكن الوثوق به.»

اتسعت حدقتا إيلين البنيتان وهي تستوعب تدريجياً كون خطب ما قد حصل.

«اكتشفت منذ اسبوع فقط، أن ملبغاً من المال فقد من صندوق الشركة. عمك، المسؤول المالي، فتح تحقيقاً في الحال، وجاءت نتيجة ذلك التحقيق صدمة له.» تحرك فجأة ليصبح وجهه على مستوى واحد مع وجهها، وتحركت شفتاه الجميلتان بحركة تنم عن غضبه.

«هل تعلمين ماذا فعلتما أنتما الاثنان بعمكما؟» كان صوته يهتز بالغضب المكبوت في داخله وأردف: «إن عمك واحد من أفضل الرجال الذين عرفتهم، ولا يوجد الكثير من هذا النوع في المحيط هنا، صدقيني. إنه صديق حميم وموظف ممتاز. إن المال أمر ثانوي...» ولوح بيده باشمئزاز ثم تابع: «... ولكن الجرم الذي لا يمكن أن يُغفر، أنكما أستغليتما ثقة عمكما ورميتما بها إلى التراب.»

«أرجوك...» شعرت إيلين وكأنها تنزلق في هاوية مظلمة. «هل تعني أن تيم هو الذي أخذ المال؟»

«هذا يكفي!» وضرب أعلى المكتب بقبضته وهو يستدير بقوة مبتعداً، ووجهه مليء بالاحتقار. «توقفي عن المضي بهذه اللعبة يا آنسة مارسيل، وإلا سوف أجعلك تندمين على ذلك. هذه الحركات البريئة لن تنفع معي. قد تعتقدين أنه من السهل استغباء عمك، ولكن ليس استغبائي أنا. لقد التقيت آلافاً من أمثالك في حياتي وأستطيع أن أحطمك هكذا!» وضرب أصابعه

www.rewity.com

ربما

ببعضها بعضاً محدثاً صوتاً حاداً ثم أردف: «ما منعني من اعلام الشرطة بالأمر حتى الآن هو صداقتي لرونالد، فقط.»

«ألم تُعلم الشرطة؟» وشعرت براحة استقام معها ظهرها، وأبعدت الغشاوة عن فكرها المضطرب: «وكيف لك أن تعلم على وجه التأكيد أن تيم هو الشخص الذي سرق المال؟ لا بد من وجود خطأ ما. فالشركات الكبيرة عادة تخطىء في حسابات مبالغ كبيرة من المال... والحاسبات الالكترونية تخطىء أحياناً، وهكذا دواليك.»

«ما زلت تريدين اللعب؟» اكتسى الوجه الجميل البارد بالحقد. «حسناً، سوف أجاريك في لعبتك لبرهة.» أصبح صوته هادئاً الآن، وكانت هذه النعومة الحريرية الباردة ترعبها أكثر من صيحات الغضب: «قبل اسبوعين من اتخاذك قراراً مناسباً بقضاء عطلة باهظة الكلفة خارج الحدود، اختفى خمسون ألف جنيه من صندوق الشركة، لم تكن قد دونت في الحسابات. وفي صباح اليوم التالي، وضع في حساب شقيقك المبلغ نفسه، ثم سحب من الحساب بعد خمسة أيام. ثم تبين، في اليوم الذي بدأ مدققو الحسابات عملهم أن تيم وقع مريضاً بشكل غامض وقد اختفى وكأنه تبخر في الهواء ولم يعرف عمك أين يمكن الاتصال بأي منكما...»

«لقد تركت عنواني مع تيم.» اعترضت إيلين بحدة، ولكنه تابع كلامه وكأنه لم يسمعها.

«كان كل شيء مدروساً بدقة، أليس كذلك؟ حبكت ونفذت بذكاء. ما أدهشني هو أن لديك الجرأة لتعودي الآن إلى هنا.» ضاقت عيناه حتى أصبحتا على شكل خط ثم تابع: «إلى ماذا تحتاجين؟»

«لقد طلب تيم أن أجمع له بعض الملفات. وقال إنه يريدها لينجز مهامه بعد أن اجتاز مرحلة المرض الشديد.»

«أنا واثق من أنه كذلك.» قال فيما كانت عيناه مثبتتين على وجهها الشاحب البياض. «ولكن الأسوأ سوف يحدث قريباً، يا عصفورتي الصغيرة. أكان من الضروري أن تحضري لأخذ الملفات في منتصف الليل؟ ألم يكن من الممكن الانتظار حتى الصباح؟»

«إنها ما تزال الساعة العاشرة والنصف، وكان تيم قلقاً يريد أن يبدأ بعمله. لقد وصلت من اليونان هذا المساء...»

«أنا لست طفلاً، ولذلك أرجوكِ ألا تعامليني كطفل.» مشى ليقف في مواجهتها من جديد ثم أردف قائلاً: «لقد حضرتِ في هذا الوقت من الليلة لاعتقادك بعدم وجود أحد، هنا، أو، وإذا وُجد أحد تصورت أن بامكانك أن تستغلي سحرك ليسهل لك الطريق. إنها الغلطة الأولى.» لمعت عيناه وهو ينظر إلى بشرتها الانكليزية الشاحبة، وشعرها الفضي الكثيف. «لا يؤثر بي السحر بسهولة.» ونظرت إلى الوجه القاسي القاتم وشعرت برجفة تسري في أعماقها وتساءلت عما قد ورطت نفسها فيه؟

«أما غلطتك الثانية فكانت حركاتك التي تظهر البراءة. أنا لا أحبها.» ثبت نظره للحظة على شفتيها الرقيقتين: «لقد علمت من عمك أنك وتيم توأمان، وقد أقر بأنكما متقاربان إلى أبعد حد بين شقيق وشقيقته. فهل أنت حقاً تتوقعين مني أن أصدق أنه قد يفعل شيئاً ما بهذه الخطورة من دون أن يطلعك عليه؟» زمّ شفتيه بحركة تنم عن الاشمئزاز: «وماذا عن إجازتك؟ لقد أخبرني عمك أنك تبحثين عن عمل كمدرسة دائمة منذ عدة شهور، وانك فقط تشغلين بعض الوظائف المؤقتة في الوقت

www.ewity.com

الحالي وبأجر لا يستحق أن يذكر في معظم الأحيان. فكيف استطعت تدبير أمر رحلة لمدة أسابيع؟»

«صديقة سددت لي بعض الديون المستحقة عليها.» لكنه عبس بشيء من الاحتقار فنظرت إليه وكأنها تناشده: «إنها الحقيقة! لقد قتل والدنا عندما كنا في السنة الأولى في الجامعة وقام عمي رونالد بتوظيف الميراث لحسابنا. وبعدما تخرجنا انتقلنا للسكنى في لندن، اشتريت شقتي في الوقت نفسه الذي اشترك فيه تيم في شراء منزله الحالي. وكانت صديقة لي في الجامعة قد وقّعت على فواتير كثيرة وأغرقت نفسها بالديون، فزودتها بما تبقى معي من أموال. لقد قدمتها لها بمثابة هدية وليس ديناً، لكنها أصرت على أن تعتبرها ديناً. ولم أعلم عنها شيئاً منذ سنتين، ثم عادت وهي متزوجة من مزارع اوسترالي ثري. وأعادالي الأموال مع كامل الفائدة. إنها الحقيقة.»

«هي بالطبع تستطيع أن تثبت صحة روايتك؟» سألها وهو غير مصدق، وكانت نظراته تراقب كل حركة من حركاتها.

«بالطبع.» أحنت رأسها وتابعت: «إنها تستطيع خلال اسبوعين على الأقل. لأنهما ذهبا في رحلة طويلة ولن يعودا إلى اوستراليا حتى نوفمبر /تشرين الثاني، لقد حصلت على عنوانهما و...»

«وفري عليك، يا آنسة مارسيل.» كان صوته بارداً خالياً من أي أحساسيس: «أنا الآن ولد كبير، والقصص الخرافية لا تؤثر بي كما في السابق. إنك غبية حقاً لتسرقي أموالي، غبية بالفعل. سوف تأخذينني إلى المكان الذي يختبىء فيه تيم.» ولم يكن ذلك طلباً.

«إنه ليس مختبئاً.» توقفت عن الكلام فجأة. فقد اتضحت لها الأمور التي حيرتها في السابق. شعور تيم الغامض بالفرج لدى عودتها من اليونان قبل موعدها المحدد بعدة أيام، واصراره المطلق على أن تذهب وتحضر له الملفات في تلك الليلة بالذات، ووجهه الشاحب وعيناه المضطربتان... أصبح الآن لكل ذلك نظرة مختلفة. لقد اعتقدت أنه كان قلقاً على عمله من دون أي داع لذلك، ولكن للحظة خلت، رأت كل تصرفاته تحت ضوء جديد. هزت رأسها وتساءلت عما كانت تفكر؟ فيجب ألا تسمح لهذا الغريب القاسي البارد أن يقنعها بأن تيم هو لص. إنه شقيقها، شقيقها التوأم المحب، وإكراماً للحب والمودة سوف تثق به وتأتمنه على حياتها.

رفعت ذقنها بحركة ثابتة وعزمت على أن تنهض عن المقعد، ولكن كورد أمسك ذراعها بيد فولاذية وقال بصوت كالجليد: «الأوراق؟ لا تقولي إنك نسيت ما أتيت لأجله؟ أو ربما أنك اكتشفت أنه لا ضرورة لهذه الأوراق الآن؟»

التقطت إيلين الأوراق التي طلبها تيم بيدين مرتجفتين، وأخذها كورد منها، ثم نظر بسرعة إلى محتواها. كان عابساً: «تماماً كما اعتقدت.» لم يوضح ونظرت إليه صامتة بائسة: «إنه الآن وقت الحساب، يا آنسة مارسيل. أنتِ وتيم لهوتما بما فيه الكفاية والآن يجب دفع الثمن. كم بقي من ذلك؟»

«ماذا؟» حدقت به وهي لا تستوعب ما يرمي إليه.

«المال، كم بقي منه؟» قال ببرود.

«أنا لا أعلم شيئاً عن أموالك.»

شتم من جديد بتلك اللكنة الأجنبية وأمسك بذراعها بعد أن

ريما
www.rewity.com

رمى بالملفات على المكتب، وتناثرت محتوياتها على الأرض وقال: «خذيني إليه.»

«ماذا تنوي أن تفعل؟» كان صوتها هامساً.

اختلس نظرة إليها، ثم من دون أن يوجه إليها أي كلمة، أخذ مفتاح مكتب تيم من بين أصابعها المرتجفة، وغادرا الغرفة وأقفل الباب بمفاتيحه الخاصة، ثم أدار جهاز الانذار في بهو المبنى. ولم يتكلم إلى أن أصبحا في الخارج في شارع لندن الهادىء، حيث لاطف هواء الصيف الناعم وجهها الملتهب، ولكن كان الدخان العابق من عادم السيارات يضفي لوناً خاصاً على ذلك الجو وبدت الأمسية كما في كل المدن الكبرى.

«سوف تكتشفين قريباً ما يجول في خاطري. قد يكون الجهل به الآن أفضل.» كان يمسك بذراعها بقبضة محكمة وهو يسير بها إلى حيث تقف سيارة بنتلي رائعة، كانت بانتظارهما في الشارع المحاط بالأشجار. «أدخلي.» نبرة صوته لم تترك مجالاً للمناقشة وفعلت كما أمرها، جلست على الجلد الثمين وهي تحدق مندهشة.

جلس كورد على مقعد السائق برشاقة، مختلساً نظرة إلى وجهها الشاحب، وعبس قبل أن يدير المحرك: «لا تطلبي الرحمة... أنت تعلمين أنك جلبت هذا لنفسك.» ولم تستطع أن تجيب لأن تفكيرها كان مضطرباً، هز كتفيه غير مبالٍ عندها بدأت السيارة بالانطلاق.

لقد كانت خائفة، حقاً خائفة الآن، ولكن جزءاً صغيراً في داخلها كان ما يزال على أمل أن يكون كل ذلك خطأ، وأن تيم قادر على توضيح الأمر بابتساماته المؤثرة ونكاته العرضية. إنها تثق به، تثق به مهما يقول هذا الوحش القابع إلى جانبها.

مات الأمل عندما توقفا أمام بوابة شقتها في الطابق الأرضي. وقف كورد إلى جهة واحدة من الممر، وثم دفع نفسه أكثر ليحتجب بظلام الليل في الظل عندما فتح تيم الباب. «أين مفاتيحك؟» بدا تيم وقحاً وغاضباً ثم ظهر كورد حاملاً المفاتيح بين أصابعه.

«هل تعني هذه؟»

تحول وجه أخيها الوسيم إلى صورة ممسوخة بفعل الصدمة المروعة والخوف والذعر، كذلك عانت إيلين من طعنة ألم مميتة وحادة، قطعت أنفاسها. لقد كان ذلك صحيحاً! إن شقيقها التوأم الحبيب لص. إنه أمر لا يصدق.

«هنالك ما يجب أن يقال، يا شاب وأنا أريد الحقيقة. لقد راوغتني شقيقتك ما يكفي، وهي تتجنب اعطائي الجواب الصحيح وحاولت أن تؤخرني طيلة هذه الليلة. لقد نفد صبري، فلا تراوغ.»

«سيد لاشوني...» أتى صوت تيم همساً ضعيفاً، ولكن العينين العنيدتين القاسيتين كالصوان كانتا عديمتي الرحمة.

«هو بعينه. تكلم.»

كانت الساعة التالية كابوساً. استطاعت إيلين من خلالها أن تصل إلى خلاصة: لقد كرهت كورد لاشوني بحيث أنها لم تتصور، أنها ستكره، يوماً ما، كائناً حياً إلى هذه الدرجة. كان وكأنه قدّ من حديد. بينما كان تيم يشرح متلعثما كيف أنه تورط مع مجموعة من المقامرين، وخسر مئات الجنيهات في ليلة واحدة مشؤومة وكيف استمر باللعب مرة بعد مرة كالأغبياء، ثم أسبوعاً بعد اسبوع وهو يحاول أن يستعيد المال الذي خسره، وكان ما جناه، أنه رزح أكثر وأكثر تحت

www.rewity.com

عبء الديون، أظهر الوجه القاتم الخالي من التعابير بعض التأثر عندما أخذ تيم يبكي ويطلب الرحمة، ثم تحول ذلك إلى احتقار وسخرية.

«ما بك؟ أنت لست رجلاً! إن الأولاد في قريتي في سن العاشرة يظهرون شجاعة أكثر منك! كيف تجرؤ وتطلب مني أن أكون متسامحاً؟ هل تعلم ما فعلت بعمك؟ هل تعلم؟ ولكنك لا تكترث له. كل ما يهمك هو نفسك فقط.»

نظر تيم إلى رب عمله يرجوه ورفع يديه بتوسل: «ولكنهم قالوا إنهم سوف يكسرون قدمي، كي أبقى مشلولاً طيلة حياتي.»

«لذلك خنتما ثقة الشخص الذي أحبكما وعاملكما مثل ولديه.» وراحت عيناه الضيقتان تتنقلان بين وجهيهما الصغيرين المضطربين في اشمئزاز واضح. «أنتما تشعرانني بالإشمئزاز. لولا صداقتي القوية لرونالد لكان أسعدني أن أرمي بكما إلى الذئاب. وربما الآن قد أفعل ذلك.»

نظرت إليه وقد أدركت ما الذي يحصل. لقد كان يلاعبهما كأنهما فأرتان صغيرتان أمام قط كبير، وقوي.

«إفعل ذلك الآن!» لم تعد إيلين تتحمل غرور هذا الرجل أكثر من ذلك ولا اعتراض تيم الشفوي المتلعثم. «اتصل بالشرطة وأنهي الموضوع. لا نستطيع اعادة الأموال، ولا خيار لديك. أليس كذلك؟» كانت تواجهه الآن عبر الغرفة الصغيرة وعيناها البنيتان تلمعان في وجهها الشاحب وزاد لون شعرها الفضي من شحوب بشرتها.

«إهدئي، يا عصفورتي. لا تستعجلي الكارثة.» أتى صوته ثابتاً كالفولاذ.

«لا أكترث! توقف عن تعذيبنا بهذه الطريقة. أنت تمسك الأوراق الرابحة. لقد أوضحت ذلك تماماً.»

«تشبيه غير مناسب في هذه الظروف.» كان صوته ساخراً الآن وبدا وكأنه يستمتع بحالتها الغاضبة.

«أنت...» واختفى صوتها إثر التعبير الذي بدا على وجهه.

«أنتِ ذكية جداً يا آنسة مارسيل، وأنا لا أسمح لأحد أن يشتمني.»

«لا بد أن الأمر يبدو... رائعاً عندما تشعر أنك نقي ونقي وفوق مستوانا نحن البشر.»

كان تيم ينظر إليها مشدوهاً وهي تنطق بتلك الكلمات في وجه كورد، فتقدم وأمسك بذراعها وهزها بعنف قائلاً: «توقفي عن هذا يا إيلين. أنت لا تدركين ما تقولين.»

«بل أنا أدرك ذلك.» استدارت لتواجه شقيقها مثل امرأة سليطة وأردفت: «أصمد في وجهه وقاومه، يا تيم! إن بقي عندك القليل من الكبرياء. لا تجعله يتغلب عليك. حتى السجن أفضل لك من أن تخسر احترام نفسك.»

«لا أستطيع يا شقيقتي.» قال وكأنه يهمس همساً وتابع: «هذا الأمر قد يقتلني. أنا لست مثلك. لا أستطيع مواجهة الأمر.»

«تماماً كما اعتقدت.» قطع ذلك الصوت الساخر معاناتهما المشتركة، مما جعل نظراتهما تلتقي بنظراته المحتقرة. وأردف قائلاً: «لقد شككت في كونك أنتِ كنتِ العقل المدبر خلف كل الأمور. هل كان الأمر يستحق فعلاً تحطيم قلب عمكِ من أجل قضاء عطلة خارج البلاد أو شراء بعض الملابس الجديدة؟» كان يوجه كلامه إلى إيلين مباشرة، ولأول مرة بدا أن تيم قد

www.rewity.com

أدرك أن شقيقته التوأم متهمة معه. حفر هذا الادراك خطوطاً ملونة فوق وجهه الشاحب.

تكلم من بين شفتين باردتين: «مهلاً لحظة. ليس لإيلين أية علاقة بالموضوع يا سيد لاشوني. أنا وحدي المسؤول.»

«لا تبدأ بالكذب الآن! فأنت ليس لديك الأعصاب لذلك.» بدا الصوت وهو ينطلق في الهواء وكأنه سياط.

«أنا أعني ذلك.» بدا تيم حائراً وهو يضيف: «لم تعرف شيئاً عن الموضوع. ولم تلمس فلساً واحداً من أموالك، كل المال ذهب لتسديد ديوني. أنا أعدك...»

صدرت عن كورد ضحكة فاترة ساخرة جعلتهما يجفلان وقال: «أنت تعدني؟»

«أرجوك.» كان تيم يرتجف لدرجة بدا وكأنه يجد صعوبة في الوقوف على قدميه: «إصغِ إلي. ليس لها علاقة بالموضوع. وسوف أحاول أن أسدد أموالك بطريقة ما.» لقد كان يائساً، ينطق بكلام غير واضح مما جعل قلب إيلين يفيض بمزيج من الغضب والشفقة والحب. ثم تابع: «سوف أفعل أي شيء.»

«هل تفعل؟» سأل كورد ذلك ثم حول نظره إلى إيلين: «وأنتِ؟ هل ستفعلين أي شيء؟» عندما نظرت إيلين إلى قامته القوية الكبيرة الواقفة أمامها، ترك نظراته تزحف ببطء من وجهها إلى كامل جسدها وهي تشير إلى اقتراحات مهينة. بدا لها الأمر وكأنها تقف عارية أمامه. تَطَلَّب الأمر قوة إرادة شديدة منها حتى لا تتشنج تحت وطأة نظراته المدركة: «كيف تسدد الفتيات مثلك ديونهن؟»

صفعته قبل أن يدرك أحد منهما ذلك، وكانت قد رفعت قدميها

قليلاً عن الأرض لتصل إليه واستجمعت كل قواها حتى تصفعه. مال رأسه إلى الخلف بفعل الصدمة، ثم بقي جامداً وكأنه منقوش في حجر، بينما أخذت آثار أصابعها تبرز بلون أحمر فوق خده.

«سوف تندمين على ذلك.» أتى صوته ناعماً، ولكن شيئاً ما في العمق، جعلها تشعر بأن جسدها خدر: «سوف أجعلك تركعين على قدميك قبل أن تدفعي الثمن.» لقد نسي تيم الذي كان يقف متجمداً من الخوف خلف إيلين، كل قواه وغله وحقده كان مركزاً على الفتاة الطويلة القامة، النحيلة والجريئة الواقفة أمامه. نظرا إلى بعضهما بعضاً مثل شخصين يقاتلان حتى الموت، كانا وكأنهما سوف يتعاركان، حتى استدار ومشى بسرعة إلى الردهة الصغيرة.

«أنتما الاثنان... في مكتبي! غداً في الساعة العاشرة.» بدا ظهره صلباً وهو يفتح الباب ثم قال: «ولا تعتقدا أن بامكانكما الفرار.» استدار للحظة بينما كان يهم بالخروج والشرر يتطاير من عينيه ويقول: «سوف أجدكما. فالعالم ليس كبيراً، كفاية، ليخفيكما.»

بعدما أغلق الباب خلفه، بقيا واقفين في صمت مطبق، مشدوهين للحظة طويلة، ثم سقطت إيلين أرضاً فوق السجادة، بعدما سمحت لها قدماها المرتجفتان بذلك. «إيلين...» ركع تيم بجانبها، وراح يربت على وجهها الشاحب من دون جدوى، عندما بدأت دموع حارة تسيل فوق خديها.

«أنا آسف يا إيلين...» وتمسكا ببعضهما بعضاً وهما يتشاركان مأساة واحدة لعدة دقائق ثم ساعدها تيم لتقف على

www.rewity.com

قدميها وكان وجهه متجهما وهو يقول: «ما كان يجب أن أرسلك هذه الليلة. لم يكن لدي أي شك في احتمال وجوده هناك.»

نظرت إليه مندهشة: «ما كان يجب أن تأخذ هذا المال في المقام الأول!» وكان صوتها حاداً وهي تضيف: «لا أستطيع أن أصدق أنك فعلت ذلك. ما بك يا تيم؟ هل جننت؟»

توهجت وجنتاه، وأصبح وجهه الوسيم مثل وجهها تعلوه حمرة من الخجل والحيرة وقال: «أنا أعرف، يا أختاه، أنا أعرف. لا يمكنك أن تقولي أي شيء أنا لم أعترف به لنفسي حتى الآن.»

حدقت في عينيه ذواتي الرموش الكثيفة، ولأول مرة شاهدت الضعف الموجود فيهما، والذي طالما رفضت أن تراه من قبل. ما دامت تستطيع أن تتذكر، فهو شيء طبيعي لكل منهما أن تكون هي في الطليعة ولم تتساءل يوماً لما ذلك. قفزت إلى ذاكراتها مئات المحطات الزمنية التي أوصلتها لهذه المحطة التي ترهق الأعصاب. لو أنها فقط أعطت نفسها لحظة للتفكر، لاستطاعت أن تدرك كل شيء. ولربما استطاعت أن تساعده كي يكون قوياً أكثر.

«ماذا سنفعل؟» إنها المسألة نفسها كما في السابق. هو يسألها ما العمل، وهي تتخذ كامل القرارات.

«سوف نذهب إلى مكتب رب عملك كورد لاشوني غداً. ونوافق على العقوبة، أنا متأكدة من أنه سيسر جداً بتعنيفنا.»

«ولكنه قد يستدعي الشرطة أيضاً.»

«واجه الأمر، يا تيم، لديه كل الحق في ذلك.» ارتجف صوتها بخفة ولكنها أخذت نفساً عميقاً لتهدأ. بينما رفعت

يدها لتلمس وجه أخيها الشاحب في حركة لتطمئنه: «لا تقلق يا تيم، سوف أكون هناك معك.»

«ولكن لستِ أنتِ من سيذهب إلى السجن، أليس كذلك؟» كان صوته لاذعاً.

«أعتقد ذلك، أنت تعرف هذا.» نظرت إليه نظرات باردة وغامضة وأردفت: «لن يصدق أحد منهم، انني لست متورطة. فليست لدي أية وسيلة لأثبت أن جيني أعطتني المال من أجل العطلة، أو على الأقل ليس في المستقبل القريب، عندما يكون الأمر ذا أهمية. لقد كنت في مكتبك الليلة وأنا أحمل ملفات تثبت إدانتي... أعتقد أنها تدينني، أليس كذلك؟» هز رأسه موافقاً ويائساً، ثم تابعت: «حسناً، ها أنت ذا. لا يبدو الأمر حسناً. هل يبدو كذلك؟»

«أنا آسف يا أختاه.» وبدا لها أخاها الصغير مجدداً مع أنها تكبره بعشر دقائق فقط: «لم أقصد أبداً أن أورطك في هذا الموضوع. أنت تصدقين ذلك، أليس كذلك؟»

«أعتقد ذلك... أجل، بالطبع أنا أصدقك.» عانقته بعفوية. وعندما التقت عيناه البنيتان الذابلتان بعينيها، سيطر عليها شعور من الشفقة، فكرت في أنه قريبها الوحيد بالإضافة إلى العم رون وزوجته، وهي تحبه مهما فعل. لقد كان نصفها الآخر وكان باستطاعتهما أن يقرآ أفكار بعضهما بعضاً في وقت واحد. وليس منذ فترة قصيرة بدأت تفكر بأسف على نفسها أكثر من تفكيرها بالشفقة!

«تعال يا تيم، لنحاول أن ننال قسطاً من النوم.» ودفعت به إلى الأريكة التي كانت تنوي أن تنام عليها تلك الليلة.

www.rewity.com

«أنت باستطاعتك أن تنام على ذلك الشيء؛ لا يوجد أي خطب بك سوى تحطيم كبير في خلايا عقلك الصغير!»

«حسناً.» أجاب مستسلماً، غير متذمر.

«يوجد مرتبة في الخزانة في الردهة وليس عليك إلا أن تتناولها لتنام هذه الليلة. الأريكة ليست مريحة، ولكنها أفضل مما سنجد أنفسنا عليه في ليلة الغد.»

«لا تفعلي يا أختاه، أنا لا أقوى على ذلك.» كان وجهه أبيض شاحباً.

«أنا آسفة.» شعرت بطعنة، إثر شعورها بالشفقة، عندما استدارت لتنظر إليه قبل أن تغلق باب غرفة نومها: «مهما يحدث، سوف نواجه الأمر معاً، يا تيم. هذا كل ما باستطاعتنا ان نفعله الآن. لا يوجد شيء نستطيع القيام به، ولا يوجد مكان لنختبيء فيه. يجب عليك أن تواجه المشكلة بجرأة.»

الفصل الثاني

تذكرت إيلين كلماتها الجريئة في صباح اليوم التالي، عندما كانا يجلسان صامتين، ينتظران خارج مكتب كورد لاشوني الضخم الذي يقع في الطابق العلوي من المبنى. غمر السكون المترف والفخامة العملية هذا الطابق الذي يختلف عن الطوابق الأخرى، حيث الضجيج والحركة طيلة اليوم.

بدت سكرتيرته وكأنها قد اقتطعت من إحدى مجلات الموضة كل شعرة في رأسها تلمع ومصففة باعتناء، كما وأن العيب لا يرقى إلى تبرجها. جالت نظراتها بين تيم وإيلين وكأنها تقيمهما، وأبعدت نظرها عنهما وكأنهما دون أية أهمية. بعد أن استعلمت عنهما بسرعة، اتصلت بمكتب كورد الخاص وأعلنت عن وصولهما وبعد ذلك تجاهلت وجودهما وركزت على عملها، وراحت تطبع بسرعة، مبرهنة على أنها تتمتع بالعقل والجمال.

استدار تيم منكمشاً على نفسه على وسادات المقعد الوثيرة، يتأفف متوتراً. وكان إلى جانب ذلك يلوي يديه المتشابكتين. انتاب إيلين شعور غريب من الهدوء في اللحظات الأخيرة، عندما أدركت بشكل تام، قوة وثروة كورد. إيمانها بالقضاء والقدر كان كالمخدر الذي أسكن حواسها إلى درجة أنها شعرت بالاسترخاء. لم تتوقع منه الرأفة ولن تطلبها.

«يمكنكما الدخول الآن.» قطع صوت السكرتيرة البارد أفكار

www.rewity.com

إيلين، التي رفعت رأسها عندما وقف تيم على قدميه. ونهضت ببطء وأمسكت بذراع شقيقها بقبضة محكمة.

«إنك متشوق للمذبحة.» لم تستطع أن تمنع نفسها من السخرية.

«أريد فقط أن انتهي من هذا الأمر.» كان صوته كئيباً بخلاف رعبه، وشعرت بالذنب لأنها تفوهت بتلك الكلمات. ففي نهاية الأمر، لقد أتت إلى هنا لتساعده.

«أنا أعرف ذلك.» قالت وشدّت ذراعه عليها. ونظر إليها بوجه شاحب، يبتسم ممتناً عندما فتحت السكرتيرة المتجهمة الباب.

«أنا مسرور لأكتشف أنكما تعتقدان أنه ما زال هناك شيء يستحق الابتسام.» كان صوت الرجل العميق بارداً كما تذكرته، وعندما نظرت في أرجاء الغرفة الضخمة رأته يجلس خلف المكتب المصنوع من خشب الجوز. شعرت بالحقد في صدرها، وأخفضت نظرها بسرعة كي لا يلاحظ حقيقة مشاعرها.

«شكراً لكِ يا جُون، هذا كل شيء، حتى الآن.» صرف سكرتيرته التي كانت واقفة بالباب تمسك بالمقبض، وبدا واضحاً أنها تتعجب مما يريد رب عملها الذائع الصيت من شخصين غير مهمين كهذين.

«سوف ينضم إلينا عمكما خلال لحظات، ولكنني أريد أن أكلمكما على انفراد أولاً.» قال ذلك ببرود أعصاب بعدما أغلق الباب: «يجب أن تستمعا إلى ما سوف أقوله لكما، دون أية مقاطعة. هل هذا واضح؟»

«طبعاً.» التقت نظراتها بنظراته ولم تكترث لاخفاء

مشاعرها الآن. ونظر إليها للحظات طويلة متفحصاً، ثم اختلس نظرة إلى تيم الواقف بجانبها بصمت.

«تعالا إلى هنا واجلسا.» فعلا كما طلب منهما، وغاصا في المقاعد الكبيرة المريحة، التي وُضعت إلى جهة واحدة من المكتب الضخم، مما جعلهما في وضع غير متساو، حيث عليهما أن ينظرا إلى أعلى، لمواجهة كورد الذي يجلس فوق مقعد يزيد ارتفاعه حوالى القدم. انضمامه إليهما بارتفاعه غير العادي، له تأثير مرعب. لم تشك إيلين لحظة في أن تلك كانت نية كورد.

«أنت أولاً.» نظر مباشرة إلى تيم الذي بدا منزوياً في مقعده: «من التقارير التي حصلت عليها، تبين لي أنك بالغ الذكاء... عندما تهتم باستعماله في الأهداف التي تدربت عليها.» كانت السخرية تنبعث من كلماته، ولكن انفرجت أسارير تيم فهو يستطيع أن يحظى بمديح من هذا الرجل، مهما كان ذلك بعيداً.

«سوف تستعمل تلك القدرة الآن لي أنا وحدي، تعمل ساعات أكثر بأجر أقل. وهذا لن يترك لك الوقت ل... نشاطات دنيوية. وحسب تقديراتي سوف يكلفك الأمر أربع سنوات حتى تسدد النصف الذي تدين لي به من المال مع ما أخصمه لك من مرتبك الحالي. وإذا أثبت أنك جدير بالثقة ويمكن الاعتماد عليك، سوف يزيد مرتبك إلى ما كان يمكن أن يكون عليه بعد أربع سنوات لو أن هذا الحادث السيىء لم يحدث. هل يمكنني اعتبار أنك تعلمت درسك؟»

هز تيم رأسه في صمت مطبق، وخيم على وجهه شعور بالدهشة: «هل هذا كل شيء؟» فهو لم يكن مصدقاً أنه خرج من

www.rewity.com

الموضوع بهذه البساطة ولا حتى إيلين تستطيع أن تصدق. لا بد من وجود كمين في مكان ما.

«كل شيء؟» كان الصوت البارد ساخراً: «هل فهمت العبارة من كل ما قلته؟ أنت سوف تمنحني السنوات الأربع القادمة من حياتك، يا شاب، عندما تصبح في الثامنة والعشرين سوف تصبح حراً لتحيا الحياة التي تختار، ولكن حتى ذلك الوقت، عليك أن تستجيب لندائي في كل لحظة من اليوم، إذا أنا رغبت في ذلك. وحتى في الليل أيضاً! هل أنت موافق؟»

هز تيم رأسه مجدداً: «أي شيء، سوف أقوم بأي شيء، أعمل في أي وقت...»

بدا الوجه القاسي وكأنه يريد الابتسام: «سوف أذكرك بهذا الكلام عندما يزوي حماسك الأولي للخلاص. إذا كنت حكيماً فباستطاعتك أن تحول هذه الحادثة الكريهة إلى فائدة حسنة. فالأمر يعود إليك. لقد أعطيتك الفرصة، ولكن إذا خدعتني...» لم يتغير وجهه، ولكن أصبح صوته بارداً جداً: «... سوف تكتشف أنني لا أصدر تهديدات من دون أن أنفذها.»

انتقلت العينان الرماديتان الصلبتان إلى إيلين: «والآن ننتقل إلى الجزء المختص بك يا آنسة مارسيل.»

نقل تيم نظره بينهما بقلق، وقال: «ولكنها ليست متورطة يا سيد لاشوني. حقاً، أنا...»

«لا تبدأ ذلك من جديد، لقد أخبرتك مسبقاً أنني لست رجلاً صبوراً.» قال ذلك ولم ينظر إلى تيم.

«دعك من ذلك يا تيم.» كانت إيلين ممتنة وبدا صوتها هادئاً مع أنها كانت تحترق في داخلها من الغيظ. أبقت نظراتها مواجهة لنظرات كورد الثاقبة، وكانت مصممة على

أن لا تخفض نظرها أمامه أبداً وتابعت: «لن يفيد ذلك أبداً.»

«بالضبط.» بدا صوته هادئاً وبدت شبه ابتسامة ترتسم على فمه القاسي: «الآن كما قلت الجزء المختص بك.» رفعت إيلين ذقنها قليلاً وبدت مستعدة لتواجه ما سوف يحصل، سجلت العينان الرماديتان تلك الحركة بأعماقهما الجليدية.

«لقد فهمت من عمك أنك تدبرت أمر استلام وظيفة تعليم، وسوف تستلمينها بعد عطلة الصيف في...» ونظر إلى بعض الأوراق الموجودة أمامه وقال: «أسبوعين؟» بقيت إيلين هادئة تماماً ثم سأل: «هل هذا صحيح؟»

«أنت تعرف أنها كذلك.» اصطدمت العينان المخمليتان البنيتان بالعينين الرماديتين.

«لا تغضبي يا آنسة مارسيل، فالغضب هو الصفة الأكثر تشويهاً للجمال.»

«أستطيع أن أفكر في الأسوأ.» لم يكن دفاعها مفيداً وكل منهما عرف ذلك. تنهد متعباً وكأنه يتعامل مع طفلة مشاكسة.

«لا أشك بذلك، ولكن لندع أفكارك خارج هذا الموضوع.» لم تستطع أن تتحمل هذا الاستسلام، فجأة وبسرعة نهضت على قدميها. لأنها، وهي واقفة تستطيع أن تعالج هذا الموضوع بشكل أفضل.

«إلى أين تعتقدين نفسك ذاهبة؟» فاجأها أن تجد الحيرة مسيطرة على وجهه وشعرت للحظة بالرضى.

«لا لمكان، أنا أفضل أن أقف.»

«وأنا أفضل أن تجلسي.» أشار إلى المقعد وقد بدا عنيداً، ولا سبيل لتغيير رأيه.

«لا أريد أن أجلس.»

www.rewity.com

«اجلسي!» زمجر صوته وكأنه نباح وحتى أنها شعرت أنها جرو صغيرة غير مطيع.

«أنت تستمتع بذلك، أليس كذلك؟» قالت وهي تجلس مجدداً على مقعدها، وشعرت بخديها يلتهبان من الاحتقار.

«آه في كل دقيقة.» كان صوته حاداً وهو يقول: «لا أستطيع أن أفكر في طريقة لقضاء وقتي القيم أفضل من مطاردة طفلين، وجدا طريقهما إلى أموالي التي أكسبها بصعوبة. إن أشياء كهذه تجعل الحياة ذات قيمة.»

«أعتقد أن العم رون كان اهتمامك الرئيسي؟» كان من الخطر أن تستفزه ولكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها عن ذلك.

نظر إليها نظرة حادة، جعلتها تثبت في مكانها للحظة طويلة ثم نهض ببطء عن مقعده ومشى ليقف في مواجهتها ثم انحنى إلى أن أصبح وجهه القاتم على مستوى وجهها. الآن هو قريب منها حتى أنها استطاعت أن تتنشق رائحة العطر الثمين الذي يستعمله بعد الحلاقة، وأن تلاحظ القوة في ساقيه الطويلتين عندما التصق البنطال بجسده وهو ينحني أمامها. وشعرت بالخوف يقطع أنفاسها فجأة. لقد أيقظت نمراً نائماً ولم تكن لديها القوة لتقف في مواجهته. نظرت إلى وجهه الخالي من التعابير، بعينين قائمتين اتسعت حدقتاهما، وقد احست بالتهاب في وجهها وانسدل شعرها فوق كتفيها مثل غيوم فضية لامعة.

«أي لسان أفعى صغير تحفظين في فم ناعم كهذا.» كان صوته هادئاً ولكن عينيه كانتا جامدتين: «سوف يسعدني ترويضه.» تجمدت من الخوف ومن مشاعر أخرى، نوع غريب من الأحاسيس جعلت الارتعاش يسري في عمودها الفقري

ويحدث ألماً غير طبيعي في معدتها: «سوف أجعلك طوع يدي قبل أن ننتهي من هذا الأمر.» كان كلامه تهديداً أكثر منه وعداً، وتحرك تيم بجانبها متململاً، لينظر بوضوح أنزعاجه وغضبه.

حدقا ببعضهما بعضاً للمرة الثانية ثم خفضت إيلين نظرها بعد أن شعرت بدموع تحرق عينيها. «أنا أكرهك.» كان صوتها هامساً ناعماً.

«أنا أعرف.»

وقف ببطء ومشى على غير عجلة حول مكتبه ليأخذ مكانه: «عندما يأتي عمكما بعد برهة قصيرة، علينا جميعاً أن ننفذ ذلك. لا أدري إذا كنتما على علم بذلك، ولكن قلبه لم يكن سليماً في المدة الأخيرة.» وعندئذٍ التقت عيونهما الحائرة بعينيه، فهز رأسه وقال: «اعتقدت أنكما لا تعلمان. لقد احتفظ رونالد بهذا الأمر لنفسه. مهما يكن، هناك مشكلة، ولا أريد أن أسبب له مزيداً من القلق أكثر مما عانى.»

انتقل نظره بسرعة إلى تيم: «سوف تشرح بشكل مفصل كل شيء عن المقامرة، وسبب غبائك. لقد أخبرته للتو أنك أتيت إليّ لتعترف، وهذا سوف يكون في مصلحتك. لن تبعده عن أوهامه... هل فهمت؟»

«نعم.» بدا صوت تيم حزيناً. استدار كورد إلى إيلين.

«عمك يصدق قصتك بشكل تام عن جيني الغامضة وزوجها الثري، مع أنه كان لزاماً عليه أن يعترف بأنه لم يسمع قط عن هذه الصديقة من قبل. إنه واثق من أن فتاته الصغيرة لا يعقل أن تكون متورطة في أمور كهذه، ولا أريد أن تجرحه الحقيقة أكثر من ذلك.» شعرت إيلين وكأن تلك النظرات الباردة قد اخترقت عقلها: «لذلك علينا أن نلقي بكل المسؤولية على كتفي

www.rewity.com

شقيقك.» ثم أضاف والاشمئزاز يعلو محياه: «ولكنك لن تتملصي بهذه السهولة، يا يمامتي الصغيرة. سوف تكتبين فوراً، رسالة لمدرستك، تخبريهم فيها أنه توجب عليك مغادرة البلاد بشكل مفاجيء، بسبب طارىء عائلي ولن تتمكني من تنفيذ العقد المتفق عليه. اعلميني إذا واجهتك أي مصاعب.»

نظر إليها بحدة، ثم أردف: «سوف تسددين الجزء المتوجب عليك من المال، بالعمل كمساعدتي الخاصة لمدة سنة في فرنسا في قسم الإستيراد والتصدير. أنا أنفذ مشروعاً جديداً هناك وطلاقة لسانك في اللغة الفرنسية ستكون مفيدة جداً، وكذلك اخلاصك التام لكل ما أطلب واحتاج.»

فتحت عينيها مندهشة فضحك ساخراً: «بالطبع، ضمن المعقول، لن أتطفل على أخلاقياتك، طبعاً.»

«أنت تريد عبداً.» كان صوتها خالياً من التعبير.

«هذا شيء درامي ولكنني أرى أنك تفهمين مغزى كلامي. طبعاً الأمر برمته يعود إليكِ. أحب أن أذكر أنك أنت وشقيقك تمثلان صفقة واحدة. إما الكل أو لا شيء، كما يقول المثل.»

«و البديل؟»

«ستجازفين بصحة عمك، وبمواجهة السلطات.»

«لا خيار لي، إذاً.» رفعت رأسها الأشقر بكبرياء ونظرت إلى وجهه: «لقد قبلت بشروطك يا سيد لاشوني وسوف أعمل عندك لمدة سنة بكامل قدرتي على العطاء الأفضل. سوف أعمل كل الساعات التي تطلبها وسوف أقوم بكل ما تريده، ولا يتعلق بالأمور الشخصية. ولكني أريدك أن تعرف هذا.»

انتظر، دون حراك، كي يسمع ما تريد أن تضيف، وكان وجهه قاتماً ومترقباً.

«لن أكون، أبداً طوع يديك، كما سبق وفسرت الموقف، ولن أسمح لك حتى بالتطفل على حقيقتي. أنت مستبد رذيل وأنا سوف أكرهك وأحتقرك طالما بقي نبض واحد في جسدي.»

بدا وكأن شرراً يتقد خلف عينيه عندما انحنى فوق مكتبه باتجاهها، ولكن بدا على وجهه تعبير من الرضى: «لا أستطيع أبداً أن أقاوم أي تحدٍ.» مد يداً سمراء ضخمة ليصافحها وقال: «أهلاً بك موظفة، يا آنسة مارسيل.»

حالما شعرت بأن يدها الصغيرة قد أسرت ضمن قبضته الثابتة الدافئة، أحست بشيء يشبه صدمة كهربائية تسري في ذراعها. «شكراً لك.» قالت ببرود. وضاقت حدقتا عينيها عندما لمحت السرور والسخرية تنبعثان من وجهه. «أنا آمل أن لا تعيش لتندم على هذه الشهامة.»

«أعتقد أن كلماتك الخمس الأولى تعبر عن مشاعرك الحقيقية يا آنسة مارسيل.» وذهبت كل البهجة عن وجهه وهو يمسك بيدها المأسورة في يده: «أنا لا أقوم بشيء وأندم عليه. وعندما تعرفينني على وجه أفضل، سوف تدركين ذلك.» كانت تلك الكلمات تحذيراً واضحاً، وقبلت بتلك الكلمات عندما حاولت أن تحرر يدها. ولسبب ما، كانت لمسته تحدث أشياء جنونية في داخلها.

«فقط كوني حذرة.» لقد بدا وكأنه كان يدرك تأثير لمسته عليها: «قد يغريك اللعب بالنار، ولكنني سوف أجهد على التأكيد لجعلها تحرقك تماماً. فأنا لا أسمح لأحد أن يخطىء مرتين.»

«أنا واثقة من أنك لا تفعل.» تمنت لو يترك يدها، لقد اعتراها فجأة، احساس أليم برجولته البدائية والمستبدة، رجولة مثيرة لا يمكن نكرانها، وشعرت بركبتيها تضعفان.

«هل أرعبتك؟ هذا حسن فهذا يبقيكِ دائماً... على الخط الصحيح.» لقد باتت متأكدة الآن من أنه يحمل في عروقه القليل من الدم الإنكليزي، هذا إذا كان يحمل أصلاً دماً انكليزياً. لا رجل، فيه قطرة دم انكليزية، يمكن أن يتفوه بعبارة مهينة كهذه، في هذه الأيام وهذا العصر ويؤمن بها. تستطيع أن تفهم الآن لماذا لم ينجح زواجه. فلا يوجد أية امرأة عصرية ترضى أن تعيش مع رجل متعصب عنيد مثله.

«كلا، أنت لا تخيفني يا سيد لاشوني، بل تشعرني، ربما، بالقرف ولكنك لا تخيفني.»

ابتسم وبدا الابتهاج على وجهه. وسرى الدم في عروقها، بارداً. عرفت بأنها وقعت في المصيدة التي نصبها لها والتي يدرك تماماً أنه لا يوجد أي مهرب منها.

عندما فتحت إيلين باب شقتها ورمت بأكياس البقالة المليئة على الطاولة الرخامية في المطبخ الصغير، فكرت بأنه لا يعقل أن يكون قد مر شهر حتى الآن منذ تلك الليلة في مكتب تيم.

لقد مرت الأحداث بسرعة تخطف الأنفاس بعد موافقتها على طلب كورد. لقد تأثر عمها بما دعاه. «فرصة العمر.»

«أنت حكيمة جداً لاستغلال الفرصة التي منحك إياها كورد يا عزيزتي.» هذا ما قاله لها عندما شرحت له عرض كورد في مكتبه وقد حدث ذلك تحت وطأة نظر كورد المراقب: «سوف تكون تجربة ممتازة لك، وبعد ذلك باستطاعتك أن تعودي إلى التعليم في وقت ما.» لقد بدا وجهه اللطيف المجعد حائراً قليلاً ولم تستغرب عندما حضر إلى شقتها في اليوم نفسه.

«هل كل شيء على ما يرام يا إيلين؟» سألها عندما جلسا

على الأريكة وهما يحملان فناجين الشاي. «لا تبدين فرحة بالعمل كما توقعت. هل ما زلت قلقة بشأن عمل تيم؟»

«كلا، أنا بخير.» كذبت وهي تبتسم له: «فقط لم أستطع أن ألتقط أنفاسي لكثرة تلاحق الأحداث في الأيام القليلة الماضية.»

قال عمها موافقاً: «أنا أستطيع أن أفهم ذلك. إنه لكرم كبير من كورد أن يرشحك لمنصب مترجمة في هذه الظروف. وهذا العمل بطبيعته هو الأكثر تطلباً للأمانة، فأنتِ سوف تعملين كمساعدته الخاصة، هذا ما فهمت؟ ربما هذه طريقته كي يؤكد لنا أنه ما زال على ثقته بعائلتنا.» استطرد عمها قائلاً ببطء: «أنا أعرف أن لا علاقة لك بعملية الاختلاس، ولكن مع ذلك... ما رأيك؟»

وضعت يدها الصغيرة فوق يده وهي تقول: «نعم، أنا متأكدة من أن الأمر كذلك. لقد تعلم تيم درسه يا عمي رون. وهو ليس فتىً سيئاً حقاً.»

«هل تعتقدين أنني لا أعلم ذلك؟» ربت عمها على خدها محاولاً تهدئتها وتابع: «مشكلته، أنه ينقاد بسهولة. لقد كان والدك مثله تماماً، بحيث توجب علي أن أرعاه دائماً. ولكن أصبح الأمر أسهل عندما التقى والدتك، فقد كانت امرأة رائعة.»

«أنا أعلم ذلك.» شعرت بغصة في حنجرتها وتابعت: «ما زلت أفتقدها كثيراً.» مسحت دموعها لأنها لو بدأت بالبكاء الآن فلن تستطيع أن تتوقف أبداً.

«ماذا تعرف عن كورد لاشوني؟» سألت وهي مثبتة نظرها على كوب الشاي، ثم أضافت ملعقتين من السكر فوق السائل البني اللون.

www.rewity.com

«لما تسألين؟» كانت عينا عمها تراقبانها باهتمام عندما رفعت رأسها أخيراً.

«لا لسبب خاص.» هزت كتفيها بخفة، غير مبالية، لكن الأحمرار الذي علا خديها، فضح ما يعتمل بنفسها. «كل ما في الأمر أنني سوف أقابله كثيراً في الشهور المقبلة وأردت أن أعرف أي نوع من الرجال هو. وإذا أمكنني القول، أستطيع أن أتجنب بعض المزالق.»

أخذ عمها كلامها على محمل الجد واستوى في مقعده وهو يقول: «إنه رجل حسن، واحد من أفضل الرجال... قاس لكنه عادل، هذا ما اكتشفته. وحتى أحذرك، أنا أعترف بأنني لم أرَ إلاّ الجانب الحسن منه. لقد قيل لي، إنه يتحول إلى رجل شيطاني عندما يُعارض.» وإلى أية درجة! تساءلت إيلين بأسى.

«أليس هو انكليزياً؟» سألت وهي تحاول جاهدة أن تبقي وجهها هادئاً.

«ليس باسم عائلة مثل اسم عائلته، لاشوني!» قال ذلك وهو يحاول مضايقتها ثم تابع: «حسبما فهمت، لقد كانت أمه انكليزية، لست متأكداً من جنسية والده، إيطالي أو اسباني، لا أعلم.» نظر إليها نظرة غريبة ثم سأل: «وكيف يؤثر ذلك على عملك؟»

«كنت أحب أن أعلم، هذا كل ما في الموضوع.»

قست ملامح وجه عمها واستوى في مقعده وهو يقول: «لا تهتمي له بشكل رومانسي يا إيلين. أنا أعرف أنه يبدو مختلفاً، بشكل مثير، عن الفتيان الذين كنت تخرجين معهم، ولكنه يا حبيبتي لا ينتمي إلى عصبتك. فعنده من النساء ما هو أكثر عدداً من الوجبات الساخنة التي حصلتُ عليها، ولا يدمن طويلاً. لا أريدك أن تتعرضي للأذى.»

فكرت إيلين يائسة، آه، يا عمي، لو تعلم ولكنها أرضت نفسها وأشعرته بالارتياح بعدما ربتت على ذراعه، مع أنها كانت تحب أن تبكي طويلاً فوق صدره الحنون: «سأذهب هناك لأعمل فقط، لا غير، أنا أعدك بذلك. إنه آخر رجل على وجه الأرض أفكر بأن أتورط معه، ولأكون صادقة معك، أنا حتى لا أستلطفه كثيراً.»

استمرا في الحديث لمدة ساعة، ثم تركها عمها مطمئناً إلى أن عالمه الصغير قد عاد إلى طبيعته بفعل قادر. فلوحت له مودعة بابتسامة مشرقة وقلب حزين.

خلال اسبوعين كانت قد استقرت في مبنى صغير في ضواحي بوالن، المدينة التجارية الفرنسية الجميلة، حيث تقع مكاتب كورد. ولم تندهش عندما علمت أنه اشترى المبنى لإسكان الموظفين الانكليز الذين حضروا معه مؤخراً، في ذلك الشهر. لقد بدا وكأنه يسيطر على كل شيء وعلى كل شخص.

ولم تكن قد رأته منذ ذلك اليوم في مكتبه، وكل الاجراءات كانت تتم مع سكرتيرته التي سلمتها لائحة بكل التعليمات وأطلعتها على أنه من مهماتها تسهيل الطريق للسيد لاشوني حتى يكون كل شيء جاهزاً عند وصوله.

اجتاحت فرنسا موجة من الحر الشديد في منتصف أيلول/ سبتمبر. لطالما تاقت إيلين لاكتشاف سحر الريف الفرنسي، ولكن الحر الشديد كان بغيضاً ومرهقاً، كانت تعمل من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل، تقوم بعمليات ضبط وتنظيم المكاتب الجديدة، وتحاول حل المشكلات قبل حلول نهاية الأسبوع وهو موعد وصول كورد.

ما أن يشارف يوم العمل على نهايته حتى يكون الارهاق

www.rewity.com

قد أخذ منها كل مأخذ وغالباً ما كانت تفوتها وجبات الطعام. كانت أحياناً تصل إلى شقتها عندما يلامس الغسق السماء بأنامله السوداء، كانت تعود تعبة لا تقوى على القيام بشيء، غير أن تستحم وتنام إلى أن تسمع صوت المنبه الصغير يوقظها في اليوم التالي. على الأقل إن العمل المضني، منعها من التفكير بشأن انكلترا، ولم يكن لديها الوقت لتفكر في تيم، إلا عندما يصادف أن يتصل بها مرة أو اثنتين أسبوعياً.

تركت المشتريات فوق طاولة الفطور، واستحمت بماء بارد في الحمام الفخم الحديث، فراحت المياه النظيفة المنعشة تجلو إرهاق وغضب اليوم. بعد أن أزالت المساحيق عن وجهها، غسلت شعرها، وتركته ينسدل فوق كتفيها ليجف على شكل غيمة فضية ناعمة، لفت منشفة الحمام الكبيرة حولها على شكل ساري هندي، عندما كانت تضع السلطة واللحم البارد. ما زال الجو حاراً جداً ولا تستطيع أن تأكل كثيراً. وبرغم النوافذ المشرعة، لم يكن هناك أي نسمة في الهواء.

ذعرت لرنين جرس الباب الحاد ولكنها استرخت عندما تذكرت السيدة كونسيلو، الأرملة الكبيرة التي استخدمها كورد كمشرفة على المبنى وتقيم في شقة في الطابق الأسفل. كانت قد طلبت من إيلين أن تشتري لها طعاماً لقطتها. وهي حتماً، أتت لتأخذ المشتريات، فأحضرت علبة الطعام من بين العلب الكثيرة الموجودة في الأكياس فوق طاولة الفطار وذهبت إلى الردهة، وهي تشد المنشفة حول جسدها النحيف بإحكام.

«هذا طعام موغ...» وماتت الكلمات في حنجرتها عندما ارتفعت نظراتها الحذرة أعلى فأعلى لتصل أخيراً إلى الوجه

القاتم الساخر لكورد لاشوني، الواقف أمامها وكانت نظراته تلمع بخبث عندما وقع نظره عليها.

«شكراً لكِ، ولكنني تناولت طعامي منذ قليل.» اندفع أمامها إلى الداخل حيث وقفت صامتة متجمدة. استطاعت أن تستنشق رائحة العطر المثيرة الذي يستعمله بعد الحلاقة، وفي الوقت نفسه أدركت أنه يبدو حسناً بشكل مذهل في القميص المقلم القصير الكمين والبنطال الأنيق اللذين كان يرتديهما: «ألاحظ أنكِ أنتِ لم تتناولي طعامك بعد.»

بينما كانت تتبعه إلى المطبخ لاحظت عبوسه عندما شاهد وجبة طعامها الضئيلة والتي كانت على وشك أن تبدأ بتناولها: «لا يمكن أن تعيشي على ذلك القدر، ولا يمكنك أن تتبعي حمية معينة وأنت لك مثل هذا القوام.» بدأ اللون الملتهب يغلي من أخمص قديمها في شكل تصاعدي: «ألا يكفي ما خصصته لك من أجل الطعام والمصاريف!»

«ملائم بشكل تام، شكراً لك.» بدا صوتها أجش... لقد جعل المسكن يبدو ضيقاً أكثر.

«أنت طبعاً تفضلين أن تموتي جوعاً على أن تطلبي مني المزيد إذا لم يكن كافياً، ألن تفعلي ذلك؟» وكان في نظرته تعبير لم تستطع إيلين أن تفهم معناه.

«لقد أخبرتك أنها ملائمة. لدي ما يكفي من الطعام يا سيد لاشوني، كل ما في الأمر، أني لا أستطيع أن أتناول الكثير من الطعام عندما يكون الجو حاراً جداً، كهذا.»

«لقد فهمت، حسناً، أرجوك تناولي طعامك، فلا أريد أن أقاطعك.»

«سوف أتناول طعامي في وقت لاحق.» وضعت الصحن في

www.rewity.com

الثلاجة قبل أن يتحرك ويستدير وعلى وجهه ابتسامة براقة مصطنعة. قالت: «أنا آسفة، كان يجب أن أقدم لك بعض المرطبات، هل تحب كأساً من الشراب؟»

«كم هذا لطيف.» كان في صوته بعض السخرية من الطريقة الرسمية التي تعامله بها. «هل تريدين مشاركتي الشراب؟»

«نعم، بالطبع، هل تمانع لو ذهبت وبدلت ملابسي؟»

«أرجوك، لا تفعلي ذلك لأجلي، فإن مظهرك اللائق يناسب أمسية حارة في المنزل.» لقد كان يحب ذلك، الثور الشرير! وهي مستعدة لدفع أي شيء مقابل أن تمحو ابتسامة التفوق عن وجهه الوسيم. وبينما كان عقلها يبحث عن جواب، شعرت وكأن الأرض قد انسحبت من تحت قدميها عندما تحرك بشكل مفاجيء ووقف أمامها ثم وبيد رقيقة لمس اللون القاتم تحت عينيها: «لم تكن هذه الدوائر موجودة عندما كنتِ في لندن. أنت تعملين بكد.»

نظرت إليه متعبة، إنها خدعة ثانية؟ إذا انكرت فهو حتماً سوف يسأل لِمَ لا، ولو وافقت على ملاحظته سوف تكون مخطئة. لكنه قرأ تعبيرها بشكل صحيح وأدهشها أنه ا ترخى فجأة وهو يضحك في خفوت مبتهجاً: «آه، هاتان العينان! تقولان الشيء الكثير. أنت لا تثقين بي أبداً، أليس كذلك؟ أنا آسف يا إيلين، لم يكن ذلك عدلاً.»

«إذاً ما هو الشيء الجديد؟» رفعت نقنها بتحد. فهو لا يحتاج لأن يعتقد أنه يستطيع استغباءها بالتقرب منها بهذا الأسلوب الرقيق. لقد كان مغوياً، خبيراً بالحياة والناس. تستطيع أن تتغلب على هذا الكابوس فقط إذا أبقت كل دفاعاتها على أهبة الاستعداد ولم تسمح للعدو باختراقها.

كان يراقبها بصمت، أخفضت نظرها وهي تتراجع إلى الخلف وتقول: «سوف أذهب وأبدل ملابسي.» عندما اجتازت الردهة إلى الأمان في غرفة نومها اعتقدت أنها سمعته مرة ثانية يضحك في خفوت؛ أغلقت الباب وراءها وأوصدته بالمفتاح وقد احمرت وجنتاها بشعور مزدوج من الغضب والاحتقار. إنه يختلف عن كل الأشخاص الذين تعرفت إليهم، ربما لأنه يحمل في عروقه دماً أجنبياً، لم تكن تعلم، وكان هناك سحر غامض حوله، يجعلها تفقد أعصابها. إنه رجل، أي رجل...

شعرت أنها تستطيع أن تسيطر على الوضع أكثر. بعدما ارتدت بلوزة خفيفة من دون كمين وبنطالاً قطنياً خفيفاً، سرحت شعرها وعقصته إلى الخلف ثم إلى أعلى رأسها، وتركت بضع خصلات صغيرة تنسدل منه، ولكنها لم تستعمل أياً من مساحيق التجميل. لأنها لا تريد أن يعتقد أنها تحاول التأثير عليه. وهي لا تهتم بما يعتقده أو يفكر به عنها.

عندما انضمت إليه في غرفة الجلوس كان قد سكب لنفسه كأساً من الشراب وجلس مجدداً على المقعد الواسع المريح وهو مغمض العينين. لقد بدا وكأنه يملأ الغرفة. لم يكن ذلك بسبب حجمه، وهو أمر يثير الاعجاب، ولكن كان بسبب نوع من قوة متفجرة غامضة، وجاذبية رجولية، بدت وكأنها تصل إليها وتنقلها إلى إدراك حسي. ولم تحب ما جعلها تشعر به. كيف تستطيع أن تعمل معه يوماً بعد يوم؟ جعلتها هذه الفكرة ترتجف، فتح عينيه الرماديتين فجأة، وكانت نظراته ثاقبة، فقال وهو يبتسم برقة: «هل ذلك أفضل؟»

كان وجهها حازماً وهي تقول: «نعم، شكراً لك.»

«استرخي يا إيلين، فأنا لن ألتهمك. لقد أخبرتك منذ قليل، أنني قد تناولت طعامي.» وأشار إلى كأس آخر موضوع على طاولة القهوة الطويلة: «لقد منحت نفسي بعض الحرية وسكبت لك كأساً أيضاً. كنت واثقاً من أن ذلك مسموح به؟» كانت لكنته الخفيفة وطريقة تركيبه للكلمات توحيان من جديد بأنه ورث هذه اللكنة عن بلد أجنبي، وتساءلت متى تعلم اللغة الانكليزية للمرة الأولى. لكنها أبعدت هذا الخاطر عن أفكارها وقالت لنفسها بحزم: ابقي متيقظة وحذرة لأنك سوف تحتاجين لذلك في تعاملك مع هذا الرجل.

«شكراً لك.» جلست بحذر عل حافة الأريكة وعلى أبعد مسافة ممكنة منه. لكنها قفزت عندما جلس فجأة ووجهه حازم وجاد.

«اسمعي يا إيلين...» تردد للحظة ثم تابع: «لقد حضرت الليلة إلى هنا لسببين. الأول لأرى إذا ما كنتِ قد انهيت الأمور بشكل حسن، ولأعلمك بأنني حضرت باكراً، وطبعاً لأشكرك على جهدك في العمل لمدة أسبوعين.»

«والسبب الثاني؟»

لقد كان جاداً حقاً الآن، وعندما التقت نظراته بنظراتها، استطاعت أن تدرك فجأة لِمَ تحول إلى رجل فاحش الثراء في عمر مبكر. لقد كان ذا قوة لا يُغفلُ عنها: «سوف نتعامل مع بعضنا بعضاً في الأشهر القليلة المقبلة، وسوف نكون قريبين من بعضنا بعضاً، لغتي الفرنسية... مقبولة، ليس أكثر من ذلك، وأنتِ سوف تكونين مفيدة لي في أكثر من ناحية.» لم يكن كلامه نفاقاً وكانت إيلين تصغي إليه بهدوء: «حتى تكون هذه العلاقة مفيدة فيجب علينا أن نتبادل الحديث على الأقل. هل تفهمين ما أعني؟»

«هل تطلب أن نعلن عن هدنة بيننا؟» كان تيم يقول دائماً أن بامكانها أن تكون غير لبقة، لكن عرضها الصادق جعل كورد لا يتفوه بكلمة للحظة. شعرت إيلين بشعور غريب ينتابها لأول مرة.

«أجل، أعتقد أن هذا هو تماماً ما كنت أحاول أن أقوله.» كان صريحاً تماماً مثلما كانت هي.

نظرت إليه بامعان ولاحظت فكه المربع الشكل وعينيه الصافيتين الثاقبتين وسألت بحذر: «هل أستطيع أن أثق بك؟»

«أعتقد أنه في ظل هذه الظروف، أنا من كان يجب عليه أن يطرح هذا السؤال.»

«هل أستطيع؟»

«نعم تستطيعين أن تثقي بي يا إيلين.» وبدا الأمر واضحاً أنه لا يحب أن تكون ثقته عرضة للتساؤل. فكرت إيلين وكأنها في معركة: حسناً، يا سيد لاشوني ولا أنا أحب ذلك أيضاً.»

«بما أننا وصلنا إلى اتفاق، أفضل أن ننسى ما مضى وأن نركز اهتمامنا على العمل الذي سوف نؤديه. هذا العقد مهم جداً بالنسبة لي وللأشخاص الذين يعتمدون عليّ في تنفيذه، وأنا لا أستطيع أن أسمح بأي الهاء. يجب عليّ أن أدير بعض الأعمال الأخرى من وقت لآخر لذلك أنا بحاجة لوجود شخص ما هنا أستطيع أن أعتمد عليه كلياً ويستطيع أن يستوعب كل ما يجري. حسناً، هل أستطيع أن أتكل على دعمك وأمانتكِ؟»

فكرت بما قال للحظات عديدة. وبسبب اعتقاده عما فعلت، بالمشاركة مع تيم، فإن هذا كان اقتراحاً عادلاً: «نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أقوم بذلك.» ابتسمت للمرة الأولى منذ وصوله ولمع في عينيها بريق دافيء ناعم.

أصبح هادئاً تماماً وهو يحدق بها، وركز نظره على خصلة

الشعر الصغيرة التي تدلت من الخصلات المعقوصة فوق رأسها: «إن شعرك الناعم وعينيك القاتمتين تشكلان مزيجاً غير عادي، خاصة مع لون بشرتك الشاحب.» كان صوته أجش: «رابطة الجاش ولكن هناك نار خلف هذا الهدوء.» حدقت به وهي تشعر وكأنها تحت تأثير منوم مغناطيسي فابتسم بازدراء قائلاً: «ولكنني أعتقد أن الكثير من الرجال قد قالوا هذا الكلام لك.»

«آه، المئات.» حاولت أن تبدو طبيعية ولكن صوتها أفسد تأثير المحاولة لأنه جاء حاداً بشكل واضح.

«هل هناك رجل معينٌ في حياتك الآن؟»

«لا.» أخفضت نظرها لتبعد عن نظره الثاقب وتابعت: «أنا لست مؤهلة لإقامة علاقة، وكان تيم يطلق دائماً علي الروح المتمردة. فأنا لا أحب هذه العلاقات عندما تميل الأمور إلى التأزم.»

«تفكير واحد.» كان صوته جافاً. «لا أستطيع أن أقول، حتى يفرق الموت بيننا، ولا يستطيع الطرف الآخر أن يقوم بشيء لأجلي.»

«آه، أنا لا، لست ضد فكرة الزواج.» مشت إلى النافذة المفتوحة ووقفت وظهرها إليه وراحت تتنشق الهواء الساكن الغني بشذا الصيف. امتد أمامها بستان مزروع بشكل رائع، عبر الطريق الضيقة المؤدية للمبنى المؤلف من أربع طبقات. كانت الأشجار مثقلة بثمار الكرز والمشمش والخوخ والتفاح وأنواع أخرى من الفواكه، والجو يعبق برائحة الثمار الناضجة، واستنشقت الأريج الفواح. إن العمل هنا، في هذه الظروف له تعويضه.

«أنت لا تمانعين؟» أعادها كلامه الفضولي إلى حديثهما وهزت رأسها نفياً من دون أن تنظر إليه.

«كلا، لا أمانع. ولكن لم ألتق شخصاً أستطيع أن أتحمل العيش معه بقية حياتي، وحتى ذلك الوقت أفضل أن تبقى كل علاقاتي سطحية.»

«م م، هل هذا يعني أنك لم... تكوني على علاقة مع أحد من قبل؟»

استدارت وواجهت نظراته: «هل تسأل إذا كنت قد أقمت علاقة مع رجل؟» سألت وفي صوتها شيء من الجدية.

«لا يستطيع أحد أن يتهمك بالانحلال والابتذال، أليس كذلك؟» لم تكن متأكدة في ما إذا كانت كلماته تلك، نقداً أم إطراءً.

«اتمنى أن لا يحدث ذلك.» نظرت إلى وجهه مباشرة وتابعت: «رداً على سؤالك الذي لم يُطرح، كلا، لم أقم أي علاقة مع رجل من قبل. لست خجلة من ذلك، وقد يبدو لك الأمر غريباً. لقد كان لدي الفرص لذلك.»

«هذا أمر أستطيع تصديقه.» أجابها ببطء، وضاقت حدقتاه فلم يعد باستطاعتها أن تقرأ التعبير في عمقهما الرمادي القاتم. مشى إليها قبل أن تدرك ما كان يفعل، وأبعد الرباط عن شعرها حتى تساقطت الخصلات الفضية الكثيفة اللامعة فوق كتفيها بشكل فوضوي: «أحبه عندما يكون منسدلاً.» كانت نظراته متحدية وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على زاوية فمه: «حسناً، حسناً. إذا كنت صادقة، فأنا أرى أمامي فتاة جميلة، عذراء في الرابعة والعشرين من العمر. وقد أخبروني أن زمن المعجزات قد ولّى.»

www.rewity.com

«سترى المعجزات لو أمعنت النظر.»

أمسك خصلة شعر بين أصابعه الطويلة ولمسها برقة ثم قال: «كنت أعلم أنها كالحرير.» تكلم وكأنه يحدث نفسه، أما هي فكانت عاجزة عن الحركة أو الكلام. كان في صوته خشونة وفي نظراته بريق جعلها تشعر بجفاف في فمها وبخفقات قلبها السريعة القوية.

«أنت امرأة محببة.» رفع ذقنها بيد قوية وهو ينظر إلي عينيها: «ولكنك يا يمامتي الصغيرة لست مقنعة أبداً. إن ما يراه المرء ليس تماماً ما يدركه، من أنت حقاً؟» كان صوته مثل همس ناعم يضرب على ما تبقى من تماسك أعصابها وشعرت بقوة مغناطيسية في داخله تجذبها إليه. لم تعرف هذه المشاعر الحسية من قبل. وقد اذهلتها، كانت مثل كائن حي، يجعل عضلات معدتها تنعقد وترسل نبضات ايقاعية في كافة انحاء جسمها.

حرك يده ببطء فوق وجهها الملتهب وراح يرسم حدود شفتيها بأنامل متكاسلة.

«إيلين، إيلين...» ردد اسمها وهو يضمها إليه ويعانقها. ولكن رنين جرس الباب جعلهما يبتعدان عن بعضهما البعض بصمت، وللحظة وقفت مرتجفة تنظر إليه بعينين واسعتين قاتمتين.

«أعتقد أنه من الأفضل أن تجيبي.» قال ببطء عندما راح الرنين يضج في الشقة بالحاح، وعندما استدارت ومشت مضطربة بقدمين مرتجفتين، التقط كأس الشراب الممتلىء إلى النصف واجترعه دفعة واحدة.

«مرحباً، سيدة كونسيلو.» شعرت بدوار عندما نظرت إلى

المرأة المبتسمة الواقفة في الرواق: «لقد جلبت لك طعام موغ... دقيقة من فضلك.» مدت يدها إلى الطاولة الصغيرة وأخذت الكيس من حيث وضعته عند وصول كورد: «أموالك المتبقية في الكيس.» دهشت إيلين كيف أن صوتها بدا طبيعياً مع أن داخلها كان يهتز بصورة لا يمكن السيطرة عليها.

«هل ذهبت؟» سأل بصوت بارد قاسٍ بعدما أغلقت الباب، وهذا ما جعلها ترفع عينيها بسرعة إلى أعلى لتقابل نظراته. تقدم ليقف أمامها، كان وجهه القاتم، قاسياً وصلباً: «بالنسبة لفتاة لا تعرف الكثير عن الرجال، فأنت حتماً تحتفظين بعدد كبير منهم.»

لم يصدقها، وألجمها الألم عن الكلام.

قال بصوت قاسٍ: «دعيني أقدم لك نصيحة. إذا أردت أن تلعبي فاختاري أشخاصاً من جيلك للعب معهم. فأنا قد تخطيت تلك المرحلة منذ زمن بعيد، وأنت قد نلت الليلة أكثر بكثير مما كنت تتوقعين. هل تفهمين؟ أو ربما قد توقعت ذلك؟»

انتظر ليسمع جوابها وعندما لم تجب مشى ببطء إلى الباب وقال بصوت حاد وقاس: «لا تعتقدي أن هذا الحدث الصغير يعني شيئاً بالنسبة لي، هل تفعلين؟ أنت لا تتخلصين من الصنارة بسهولة. تذكري أنك أنت هنا معي لفترة محددة من الوقت.» ثم فتح الباب واستدار في الرواق، وكانت حدقتاه ضيقتين وهو ينظر إلى وجهها الشاحب المذهول: «لقد التقيت بالكثير من النساء اللواتي حاولن أن يلعبن لعبتك ليصلن إلى مرادهن، وذلك لم ينفعهن؛ إنني مدرك لكل تلك الحيل. لو كانت تلك هي ورقتك الرابحة فلقد كشفتِ أمرها.»

كانت كلماته وكأنها سياط تضربها، وعندما أغلق الباب

خلفه بهدوء وتركها وحيدة مع أفكارها، انهارت على مقعدها وهي ترتجف وتحتضن وجهها بين يديها. كيف أمكنها أن تكون ضعيفة وغبية بهذا الشكل؟ ما الذي، بحق السماء سيطر عليها وجعلها تتصرف بتلك الطريقة؟ شعرت بوجهها يحترق من الهوان فيما تتابعت أمام عينيها صور ما حدث.

لقد اعتقد أنها كانت تستدرجه ليقيم معها علاقة، ثم يشعر أنه مضطر إلى إعفائها من العقد المتفق عليه بينهما. ومن اعتقد أنها تكون؟ جعلها الجواب تئن بصوت مسموع وهي تتلوى في مقعدها. كيف أمكنها أن تتجاوب بهذا الشكل مع شخص لا تعرف عنه الكثير؟ لقد كان شيئاً بعيداً عن الأخلاق أن تشعر بالسعادة لسيطرته بسهولة على مشاعرها.

يجب عليها ألا تتخلى عن حذرها ابداً. إن ما حصل كان تحذيراً لها وقد استطاعت أن تخرج من هذا الموقف تقريباً دون أي ضرر. بعدما أوت إلى فراشها تلك الليلة، شعرت بالراحة للأفكار التي تواردت إلى ذهنها. فمن الآن فصاعداً عليها أن تكون حذرة. أدركت فجأة أنه لم يكن أمامها عدو واحد فقط: لقد تبين لها أن العدو الأكثر غدراً كامن في مكان ما في أعماقها، وإذا أرادت أن تتخطى هذه المأساة بكبرياء، وغير مهانة ومشاعر غير جريحة يمكن أن تنساها، عليها أن تراقب كل كلمة تقولها، وكل حركة تقوم بها، وأن لا تسمح له أبداً بمعرفة حقيقة تأثير قوته عليها.

الفصل الثالث

كان كورد في غرفة مكتبه عندما وصلت إيلين في الصباح الباكر إلى المؤسسة. إنها تستمتع دائماً بالقدوم سيراً على الأقدام إلى العمل خاصة على طريق المدينة النظيفة، المشرقة تحت أشعة الشمس قبل أن يتحول الطقس إلى جو حار بشدة مزعج للحركة. كانت معظم الأبنية، منازل سكنية، والبيوت الصغيرة محاطة بحدائق جميلة كبيرة، والبساتين الصغيرة الغنية بالثمار منتشرة هنا وهناك.

كانت ترتدي ملابس محتشمة بقدر ما يسمح الطقس الحار بذلك: بلوزة قطنية، عالية القبة، قصيرة الكمين، وتنورة طويلة جداً تصل إلى كاحليها. فكرت وهي متجهمة بأنها لا تريد أن تمنحه أية فرصة ليشعر بأنها تتباهى أمامه. صففت شعرها على شكل ضفائر على الطريقة الفرنسية وحتى تخفي نفسها تجنبت استعمال مساحيق التجميل. لم تكن تدرك أن بشرتها الشاحبة البراقة وعينيها الواسعتين المشرقتين الكثيفتي الأهداب، ذواتا جمال ونضارة لا يمكن إخفاءهما.

«م م م... محتشمة جداً.» نظر إليها ساخراً عندما دلفت داخل المكتب حيث كان جالساً خلف طاوله المكتب. كان ضوء الشمس ينعكس فوق شعره الأسود، ولون القميص الأبيض الذي يرتديه يتضارب مع لون بشرته الداكن. بدا أجنبياً، وخطيراً. شعرت بقلبها يقفز إلى حنجرتها، لكن بعد ذلك التعليق بدا منهمكاً بالعمل وهكذا أصبح ذلك الصباح مليئاً بالنشاط.

لدهشتها، وجدت أنها في نهاية ذلك اليوم، قد استمتعت بالعمل. فقد كان شيئاً مرضياً أن ينظم كل شيء خلال الأسبوعين المنصرمين وكذلك أن تتمكن من تخطي كل العقبات الصغيرة التي اعترضت سير العمل، ولكن لا سبيل لأن يقارن ذلك مع عالم الصراع الداخلي الذي قادها إليه كورد بالإكراه. كان يوزع أعباء العمل مما جعل الجميع يبقون على أهبة الاستعداد والعمل بجدية.

«هل هو هكذا دائماً؟» سألت سايمون أحد أعضاء الفريق الذي أحضره كورد من انكلترا.

«دائماً!» كان وجه سايمون الوسيم ينم عن الأسى وأضاف: «لهذا الأمر حسناته، فأنت لا تشعرين بالملل. فأعماله مسلية جداً وهو دائماً يقوم بمجازفات جديدة. وأنا سوف أكره العمل مع شخص آخر.»

لم تقل إيلين شيئاً، ولكن نظراتها كانت تحمل الكثير من المعاني.

«سوف تعتادين على ذلك.» ضحك سايمون من عبوسها الذي عبّر عن عدم تصديقها لما سمعت: «إن كل أعضاء فريق العمل الانكليزي سوف ينزلون في المبنى نفسه معكم، هل ترغبين في الانضمام إلينا للذهاب سيراً على الأقدام إلى المبنى؟ سوف نبدل ملابسنا ثم نقصد مكاناً ما لتناول الطعام. لقد سمعت عن وجود مطعم صغير رائع بالجوار وأنت على الرحب والسعة إذا أحببت الانضمام إلينا، نحن...»

«أنا آسف، جداً، يا سايمون.» الصوت العميق الصادر من خلفهما جعل إيلين تجفل بتوتر ثم أضاف: «سوف أكون في حاجة إلى الآنسة مارسيل وقتاً أكثر من الجميع. وسوف

أوصلها إلى المنزل عندما ننجز العمل.» تكلم كورد بهدوء ورقة وكان وجهه لطيفاً وهو ينظر إلى الموظف، لكن استعمال اسمها الثاني أضاف تحذيراً إلى كلماته التي لم يفهمها الموظف.

«حسناً، حسناً، في وقت آخر، إذاً.» نظر سايمون إلى إيلين باضطراب وهو يستدير مسرعاً. لقد كانت تعلم أنه يقول ذلك مراعاة للأدب ولم يقدم أي اقتراحات أخرى. لقد جعل كورد الأمر واضحاً، إنها من أملاكه الخاصة وفي صباح الغد سوف يكون الجميع قد علموا ذلك.

انتظرت حتى خرج الجميع وأصبحت المكاتب خالية، فطرقت باب مكتب كورد الخاص بشده: «نعم؟» كان يجلس على حافة مكتبه، يقرأ تقريراً ولاحظت وهي تلتقط أنفاسها أنه قد حل ربطة عنقه وفك زر القميص الأعلى حيث برز لون بشرته القاتم. كان جسده الضخم هادئاً مسترخياً، ونظر إليها متسائلاً عندما لم تتفوه بكلمة: «هل تريدين أن تقولي لي شيئاً؟»

«هل كان ذلك شيئاً ضرورياً؟» كان وجهه هادئاً ولطيفاً ولكنها لم تُخدع بذلك. إنه يعلم بالضبط ما كانت تعني.

«أن يبعد سايمون بتلك الطريقة، الطريقة التي عبرت بها... أنت تعلم بالضبط ماذا سيعتقدون. سوف يدعونني وأنت...» وتوقفت عن الكلام.

«نعم؟» وأيضاً لم يكن هناك أي تعبير في صوته.

«أنت تعلم ما أريد أن أقول. هل كان هذا جزءاً من العقاب؟ أن لا يُسمح لي بالاختلاط مع أحد ولا أن يكون عندي...»

«لا تكوني طفلة.» قاطعها بصوته البارد: «لقد صادف وجود عمل كثير ذي طابع سري ويحتاج إلى إنجاز الليلة. أنت وافقت

www.rewity.com

على العمل كمساعدة خاصة لي، إذا استطعت أن تتذكري، وذلك يعني أن لا تراقبي مرور الوقت. والآن إذا انتهيت من هذيانك، سوف نبدأ العمل.»

نظرت إليه مطمئنة وتنهدت بصمت. فلا فائدة من محاربته لأنه كان دائماً متقدماً خطوة عليها. إن سيف ديموقليس لا يزال مسلطاً فوق عنق تيم، جاهزاً لقطع عنقه عند أول ميل إلى العصيان من جهتها. لمَ، آه، لمَ سمحت له بأن يعانقها تلك الليلة؟ لا بد وأنها كانت مجنونة! ماذا ألم بها؟

مهما يكن الأمر، فقد عاودها الألم بكل قوته في تلك الليلة. بعد أن انهمكت في العمل في تقرير فرنسي معقد مليء بالمرادفات التقنية وبذلت الجهد لترجمة الملاحظات الضرورية، وكتابتها بخط يدها. اتكأت إلى الخلف متعبة وأغمضت عينيها. لقد كانت تعبة جداً. وحتى الجو الحار القاسي كان جافاً بشكل لا يحتمل.

«هل انتهى كل شيء؟» كان يقف بقرب الباب وهو يراقبها عندما فتحت عينيها بسرعة وتابع قائلاً: «أحضري حقيبتك، سوف نذهب للبحث عن طعام نتناوله.»

«لا!» كان رفضها عفوياً وقد احمرت وجنتاها عندما لاحظت أن عينيه الرماديتين القاسيتين قد ضاقتا. «أعني، لا، شكراً. هذا لطف منك، ولكن حقيقة لا ضرورة لذلك، فأنا متعبة و...»

«إذاً السبب الرئيسي للأكل في الخارج هو توفير وقت تحضير الطعام في المنزل.» لاحظت إيلين نغمة حادة في صوته. وحتى الآن علمت الكثير عنه لتعرف أنه شيء واحد سواء كان طلبه دعوة مهذبة أم أمر. وكانت اللكنة الغريبة في صوته أقوى من أي وقت، مما جعلها تدرك أنه منزعج.

«هل تصل دائماً إلى ما تريد؟» نطقت تلك الكلمات قبل أن تستطيع أن تمنع نفسها عن الكلام وقد لاحظت أن حدقتيه قد اتسعتا لشدة دهشته.

«دائماً.» وابتسم وهو يقول: «وأقول معترفاً إن ذلك يشعرني بالبهجة في أكثر الأحيان. أنا لا أحب أن يعارضني أحد. يمكنك أن تلومي دمائي التي تعود إلى أصل كورسيكي.»

«أنت كورسيكي؟» لم تستطع أن تمنع وميض البهجة الضعيف من تلوين صوتها، وقد تمنت لو أنه لم يلاحظ ذلك.

«جزئياً.» قال وهو يبعد شعره الأسود عن جبهته ثم تابع دون أن يبعد نظره عنها: «كانت أمي معلمة مدرسة، شابة وخجولة، تزور كورسيكا في إجازة عندما قابلت والدي.» ضحك ساخراً وأردف: «تبدو مثل وضعك، أليس كذلك؟» وشعرت بوجهها يلتهب لتلك الملاحظة الساخرة، لكنها لم تقل شيئاً.

«كان ذلك حباً من النظرة الأولى، لو كنت تؤمنين بهذا الشيء النادر، وبعد ذلك لم تعد إلى وطنها الأم. لقد فهمت أن عائلتها عارضت كثيراً هذا الأمر. ولكن في النهاية حضروا الزفاف. مضطرين. فوالدي ما كان أبداً ليسمح أن تبتعد عنه.»

الطريقة التي نطق بها كلماته الأخيرة بعثت قشعريرة في عمودها الفقري، سواء من الخوف أم الفرح.

«أما يزالان يعيشان حتى الآن في كورسيكا؟»

«لقد قتلا في حادث سيارة عندما كنت في الثامنة من عمري. وكنت طفلهما الوحيد.» لم تستطع أن تبعد نظرها عن وجهه الداكن الأسمر. وأصبحت المزايا الموروثة عن العروق الكورسيكية مسيطرة على محياه. قالت برقة: «أنا آسفة، لا بد وأن ذلك كان محزناً بالنسبة لك.»

هز كتفيه غير مبال وقال: «كل شيء ذهب الآن.» وشعرت أنه لم يكن يقول الحقيقة: «جدي وجدتي في انكلترا حضرا ليأخذاني للأقامة معهما. وطبعاً لم يكن ذلك سهلاً ولكن في النهاية عقد اتفاقاً مع أقاربي الكورسيكيين. على أن أقضي معظم أيام السنة في انكلترا وأقضي شهرين من فصل الصيف كل سنة في كورسيكا عند والدَيّ أبي.»

«لا بد وأن ذلك لم يكن حسناً بالنسبة لولد صغير.» نظرت إليه وهو ما زال واقفاً قرب الباب وسألت: «هل وجدت الأمر قاسياً؟»

«الحياة صعبة. ولا يمكن أن تتعلمي ذلك الأمر باكراً.» بدا في نظراته شيء عميق جعل دمائها تتجمد.

«ألم يزل أحد من أجدادك على قيد الحياة؟»

«لا.» أنهى الحديث بحركة سريعة فيما هو يستدير فجأة وكأنه يكره أن يقول المزيد. شعرت أنه لم يكن معتاداً على التحدث عن نفسه أمام أحد وانتابها شعور بالفرح لأنه سمح لها أن تعرف شيئاً قليلاً مما جعله الشخص الذي هو عليه اليوم.

تبعته إلى الرواق ووجدته ينتظرها داخل المصعد: «هل تحبين الطعام الفرنسي؟» وهكذا وصل حديثهما... من القلب إلى القلب... إلى نهايته.

في السيارة... وقد اختار هذه المرة سيارة رياضية فخمة عوضاً عن سيارة البنتلي... قاد كورد عبر الشوارع المظلمة المضاءة بالمصابيح وأضواء المقاهي والملاهي. راقب الطريق بوجهه المتجهم، دون أن يتكلم.

كان الفندق الصغير مميزاً عن الفنادق الأخرى بالحدائق

الغناء التي تحيط به من كل الجهات. سرّت إيلين عندما وجدت أن بعض الطاولات الصغيرة قد وضعت تحت أشجار النخيل الضخمة، حيث جلس معظم الزبائن في الهواء الطلق يستمتعون بأوقات راحتهم في ذلك الجو العبق. عندما مشيا إلى حيث الضوء كان النادل يقف بجانبهما بمهارة يبدو معها وكأنه فنان. بناءً على طلب كورد قادهما إلى مائدة لشخصين قريبة جداً من أغصان مزهرة ذات رائحة فواحة وكانت تلك الأزهار على شكل نجوم صغيرة تتماوج بين اللون الأحمر القرمزي واللون الزهري الشاحب الشفاف.

«إنه رائع.» قالت متأثر وعيناها تجولان بإعجاب في كل مكان.

«لقد اعتقدت أن هذا المكان سيعجبك.»

«هل أتيت إلى هنا من قبل؟»

«مراراً.» قال باختصار، فأنهت الموضوع ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عمن قد أحضر معه في المرات السابقة. ثم رفضت أن تفكر في هذا الأمر. وما الفائدة من ذلك؟ فهو آخر رجل يجب أن تهتم لأمره.

عندما كانا بانتظار تلبية طلبهما، أحضر النادل زجاجة من شراب الورد المنزلي، الذي أكد لها كورد أنه ممتاز. بالفعل كان كذلك. إن المزيج المكون من النسيم الناعم الدافىء والثرثرة باللغات المختلفة التي تصل إليهما بصعوبة من الطاولات الأخرى المنتشرة في أرجاء المكان، والعطر الساحر الذي يفوح من مئات الأزهار المتنوعة، بالإضافة إلى الشراب الرائع، جعلت إيلين تشعر وكأنها في كوكب آخر وليس في فرنسا.

www.rewity.com

مد كورد قدميه بتكاسل ولامست إحدى ساقيه الطويلتين ركبتها فقال: «آسف.» وعندما شعر أنها سحبت قدمها قال لها هازئاً: «أنت هنا بأمان...» لوح بيده وهو يقول ذلك وكانت نظراته خبيثة.

«أعرف ذلك.» توهجت وجنتاها وحاولت أن تغير الموضوع فنظرت إلى المائدة وسألت: «لم يوجد غطاءان فوق المائدة؟»

ملأ كأسها مرة ثانية قبل أن يجيب ونظراته الساخرة تتجول ببطء وإمعان فوق خديها المتوردين وعينيها اللامعتين: «ألم تزوري فرنسا من قبل؟»

«لا... حسناً، نعم.» ترددت وحاولت تنظيم أفكارها، إن اختيار هذه المائدة المخصصة لشخصين في هذا الجو الحميم لم يساعد في تهدئة أعصابها البتة. «لقد أتيت في رحلة استرخاء بعد الامتحانات، ولكن العائلة التي أقمت معها لم تكن تخرج قط وكنا دائماً نتناول الطعام في المنزل، لقد بقيت هنا لمدة شهر.»

«إن هذا محزن.» كانت عيناه داكنتين وهو ينظر إليها بكسل: «يجب أن أقوم معك بجولة خلال وجودك هنا.» لم تقل شيئاً فتابع بعد لحظة: «معظم المطاعم في فرنسا تفرش الموائد بغطاء من ورق، يُبدل في كل مرة يجلس إليها أحد الزبائن. وغالباً ما تفرش فوق الأغطية القماشية كما هي الحال الليلة. هذه الأغطية الورقية لنا، أتعرفين.» ونظرت إليه مندهشة: «انظري إلى بعض الموائد الأخرى.»

فعلت كما طلب منها، واختلست نظرة إلى الموائد المجاورة، استطاعت أن ترى في الضوء المنبعث من المصابيح أن معظم

الزبائن الفرنسيين كانوا يرسمون على الأغطية الورقية أمامهم، مختلف الأشياء وغالباً بكثير من المرح: «إنها عادة جميلة، طبعاً إذا كنت تستطيع أن ترسم.» قالت وهي تبتسم برقة.

«لست بحاجة لأن تكوني بيكاسو.» قال مستهزئاً، ثم تابع: «لقد قيل لي إن بعض أفضل رسائل الحب وأغرب طلبات الزواج شعراً، قد كتبت على هذه الأغطية.»

«حقاً؟» شعرت بالارتياح لأن الطعام حضر وقد أصر كورد على أن تتذوق حساء السمك الذي طلبه لنفسه، فوجدته لذيذاً. كان الوعاء الذي يُسكب منه الحساء مقدماً مع طبق من الخبز المحمص، مع بعض الجبن المبشور وصحن من الصلصة الحارة، وجدتها قوية حادة، فعلت مثلما فعل كورد، نشرت قطعتين من الخبز المحمص مع الصلصة ووضعتهما في قعر الوعاء ثم أضافت الحساء فوقهما. نثرت القليل من الجبن فوقها وكانت النتيجة طبقاً شهياً. وكذلك كانت شرائح اللحم مع التوابل التي تلت. رفضت تناول الحلوى مما أزعج كورد. إن شرائح اللحم المبهرة كانت دسمة جداً وطازجة مما جعلها تأكل بشهية إلى آخر لقمة ولم يعد هناك متسع لأي شيء آخر.

راقبته إيلين باندهاش وهو يلتهم كمية كبيرة من حلوى الفريز والآيس كريم، ثم طبقاً آخر من جبنة الروكفور المفضلة لديه، مع الخبز الطازج. «أنت تعرفين أنك لا تستطيعين الحصول على هذه الجبنة في العديد من الأمكنة الأخرى؟» قال فيما هو ينادي النادل من أجل طبق آخر: «وأقول رأيي بتواضع، إنه أفضل جبن في العالم.»

«أنت حتماً تستمتع بطعامك.» قالت وهي تبتسم عندما عاد

www.rewity.com

وجلس على مقعده. كانا متخمين وهما يرتشفان القهوة وقد لفهما نسيم الليل البارد.

«أنا أحاول أن أستمتع في كل شيء أقوم به.» قال بصوت أجش ولكنه غيّر صوته وهو يقول كلمة «كل شيء» مما جعلها تبدي استمتاعاً بمشاهدة المائدة التي تبعد مسافة قصيرة عنهما. حاولت أن تتجاهل ضحكته الخافتة التي تبعت كلامه ولكنها شعرت بخديها يتوهجان.

«كانت الوجبة لذيذة، شكراً جزيلاً لك.» قالت بعد بضع لحظات، وهي ترفع نظرها إليه. كان لون شعرها الفضي يلمع بشكل يبرز لون أعماق عينيها الداكن.

«كان ذلك من دواعي سروري.» لكنه أفسد عبارته المؤدبة عندما أردف: «مع أن أي شيء كان سيبدو أفضل من طعام الأرانب الذي بدا وكأنك مصممة على تناوله. الانكليز فقط يستطيعون تحضير وجبة طعام من أوراق الخس!» نظرت إليه بحدة لكنه تجاهل نظرتها وتابع: «لقد خسرت بعضاً من وزنك منذ قدومك إلى هنا، أليس كذلك؟ وسوف تذوبين قريباً.»

نظرت إليه مصدومة من المفاجأة، غير قادرة على إخفاء لون اللهب الذي أحرق خديها وجعل عينيها تبرقان: «أنت وقح يا سيد لاشوني، أنت وقح حقاً!»

«لا أشك في ذلك ولا للحظة، ولكن لِمَ تذكرين ذلك الآن؟» جلس مسترخياً ومتكاسلاً في مواجهتها، لكنها لاحظت أن عينيه الرماديتين كانتا حادتين كعيني قط أسود كبير.

«آه، أنت...» أخذ صوتها يرتجف وتوقفت عن الكلام. أخذت نفساً عميقاً ثم حدقت به مجدداً. كان يجب عليها أن تدرك أن هذا السحر لم يكن إلا مظهراً خادعاً، فالنمر لا يستطيع أن يغير

جلده المرقط بين ليلة وضحاها: «لديك الجرأة لتنتقد هيئتي، بينما افتقارك التام للاحساس هو الذي جعلني أعمل منذ انبلاج الفجر وحتى وقت متأخر من الليل لعدة أسابيع! ربما لم آكل كما يجب، ولكن لا يمكن أن يكون الأمر مفاجئاً، أليس كذلك؟ إنني أتساءل كيف أجد الوقت لأتناول الطعام، مع كل ما لدي من عمل.» كان صوتها وكأنه همس.

ارتسمت على فمه ابتسامة برغم أن الدفء لم يظهر في نظراته الثاقبة المثبتة على وجهها. وانحنى فوق المائدة وأخذ بين يديه إحدى يديها الشاحبتين. أي شخص صدف أنه يراقبهما، يعتقد أن الباعث على تلك الحركة هو الحب. كان صوته رقيقاً وهو ينظر إلى عينيها ويقول: «أعتقد أنني ضربت وتراً حساساً، هذا إذا أردنا أن نقول الحقيقة. أنت لا تتحملين ذلك لأنني لم أركع أمامك وأعبدك، أليس كذلك؟ هل تجرأت وقلت إن تحولك ليس حسناً؟ واه، واه.» أبعد نظره عن وجهها ثم عاد ونظر مجدداً إلى عينيها: «أنا لم أكن أقول ذلك، في الواقع، وأنا واثق من أنك تعلمين أنك رائعة القد.» انحنى أكثر إلى الأمام: «دعينا نوضح شيئاً واحداً يا إيلين، أنت واخوك قد خرجتما من الورطة بسهولة.» كان صوته ما يزال رقيقاً، بينما كانت نظراته جامدة كالمعدن: «أنا أكره اللصوص. أكره الغش والنساء المتآمرات. وأنت تدفعين الدين عنكما الاثنين ولا تحاولي خداعي ولو للحظة. لا تعتقدي أنه بامكانك أن تجعليني خاتماً في أصبعك، كما أنا متأكد من أنك فعلت مع أشخاص كثيرين في حياتك. فأنت يجب أن تبقي حذرة في التعامل معي أيتها المعلمة الانكليزية الشابة، وإلا سوف تندمين كثيراً.»

www.rewity.com

حدقت به وهي تشعر وكأنها فاقدة الحس. إن حقيقة كونه قاسياً تكمن في قوة وعيده.

«هناك أمر آخر. لا أريد أن تسببي المتاعب بين بقية الموظفين عندي، هل هذا واضح؟ وهذا يعني أنه عليك أن تبقي براثنك الصغيرة بعيداً عن الشبان الساذجين أمثال سايمون، إذا أردت فعلاً ابقاء حقيقتك خافية. إنه فتى حسن، ولن يعلم ما يصيبه.»

«ماذا تعتقد أنني أكون؟»

قال شيئاً ما بلهجته الكورسيكية المحلية وبدت كلماته وكأنها تحمل معنىً سيئاً. حاولت أن تبعد يدها لكنه شد قبضته عليها حتى شعرت وكأن أصابعها تكاد تُسحق: «لقد أخبرتك من قبل يا إيلين. إن كُلاً منا يعلم ما أنت، فلا تدفعيني إلى أن أظهر لك الجانب السيىء من شخصيتي.»

«هل تعني أن كل ما رأيته حتى الآن هو الجانب الحسن؟» منعها القليل مما تبقى لها من كبرياء من الاذعان له كلياً.

«أنت لا تعلمين النصف. ففي بلدي أنت سوف تكونين...» توقف عن الكلام فجأة: «على أي حال هذا ليس بلدي، ولكن سوف تفعلين كما أخبرتك. لقد حذرتك في لقائنا الثاني من أنك سوف تكونين طوع يدي قبل أن يصل اتفاقنا إلى نهايته. الآن، هذا يمكن أن يُنجز بكثير من الألم أو...» تراخت قبضته الحديدية وأدار يدها بين يديه وطبع قبلة على النبض السريع في معصمها: «... أستطيع أن أكون سيداً لطيفاً. الاختيار لك يا عزيزتي. وأي اختيار سوف يكون تسلية ممتعة لي، ويكون تعويضاً لي عن خيانتك.»

تأثير قبلته على معصمها جعلها ترفع رأسها بقوة وكان

لمسته قد جعلت عظامها تنصهر مع بعضها بعضاً. فنظرت مباشرة إلى نظراته الباردة والمحتقرة ولاحظت القساوة في عينيه وهو يراقبها باهتمام: «وأنا أخبرتك أنني أكرهك. لن تستطيع أن تهزمني... لن أسمح لك، حتى مع كل ذلك الجيش الذي يخضع لسيطرتك.»

«آه، أنا لا أحتاج إلى جيش.» اتسعت حدقتاه في براءة ساخرة ولاحظت أنه كان يستمتع بهذه المشادة: «إذاً، هي حرب. ولكن يجب أن أعترف أن جزءاً ما في داخلي كان يأمل أن لا تختاري الطريق السهل. الشابات الطائعات الهادئات لهن فوائد، ولكن...» توقف للحظة ثم أردف: «... السيئات منهن أكثر تسلية.»

كانت تدرك حتى فيما هو يتكلم أنه أراد تأنيبها بملاحظات ساخرة ومستفزة في أعماق صوته، ولكن رأيه بها كان يؤلمها مثل طعنة سكين. يجب عليها مواجهة الأمر. لقد انجذبت إليه بشكل يختلف عن أي رجل قابلته. من بين كل الرجال، الرجل الذي قُدر لها أن تحب كان رجلاً يمسك بها وهو يتفوه بعبارات الاحتقار.

جعلتها تلك الأفكار، تخفض رأسها حتى تخفي عينيها عن ذلك العقل الثاقب والحاد. وتساءلت بأسى، لقد وقعت في حبه، أليس كذلك؟ أخذ قلبها ينبض بسرعة وشعرت بدوار لشدة خوفها. قالت لنفسها بصمت: ابقي كل دفاعاتك على أهبة الاستعداد، لو علم أنك منجذبة إليه فسوف تضيعين.

نظرت إليه عندما استوى في مقعده، فكانت نظراته ما تزال باردة ومتفحصة. «إذا أردت قتالاً فسوف يكون لك ذلك، يا سيد لاشوني.» كان جامداً، عيناه فقط كانتا تلمعان تحت الضوء

www.rewity.com

وتابعت: «ولكنك لن تربح. في نهاية الأشهر الأحد عشر، أستطيع أن أرحل وذلك ما سوف يحدث، وينتهي أمساكك بي إلى الأبد.»

«سوف نرى.» تغير ثانية، كانت تعابيره لطيفة وطبع لثمة صغيرة على زاوية فمها وهو يقف: «بالمناسبة، يمكنك أن تنسي ذلك السيد لاشوني، لأن ذلك بدأ يزعجني. أنا لست مدير المدرسة، اسمي هو كورد.»

ألقت نظرة عليه وهو يقف أمامها، صورته الكبيرة القوية مخيفة بالملابس التي يحسن ارتداءها، ووجهه القاتم القاسي كان هادئاً وراضياً. لا، يجب عليها أن تعترف، لم يكن كأي مدير مدرسة رأته من قبل. وخطرت على بالها فكرة أزعجتها، تخيلت أنه تلاعب بها ثانية لأهدافه الخاصة، وتلك الفكرة جعلتها تزم فمها الصغير.

حسناً، لتبدأ المعركة، قد تكون خسرت بضع نقاط حتى الآن. ولكنها ستصلي حتى تستطيع أن تواصل المعركة حتى النهاية.

أمسك بذراعها وهما يغادران المطعم وكانت تدرك أن أكثرية النساء تراقبهما، آه لو يعلمن! وعضت على شفتها حتى تمنع ابتسامة ساخرة من أن ترتسم فوق شفتيها. اولئك الغبيات، الجالسات وراءها لا بد وانهن يحسدنها، وهن لا يعرفن أنها وبكل رضى، توافق على أن تبدل مكانها بمكان إحداهن في هذه اللحظة.

عندما استيقظت باكراً في الصباح التالي قبل طلوع النهار بعد ليلة مزعجة مقلقة، سمعت أصواتاً غير مألوفة. إنها تمطر! قفزت إلى النافذة ونظرت وهي تشعر بالامتنان إلى قطرات الماء المتساقط على الزجاج. الآن أصبح الطقس

بارداً وانخفضت الحرارة عدة درجات، وخفت الحرارة البغيضة الشديدة الرطوبة التي كانت تسبب لها الوهن. لم تكن يوماً في حياتها مسرورة هكذا لرؤية المطر. جلست إلى جوار النافذة قرابة الساعة بعد أن حضرت القهوة، فيما زحف لون الفجر الرمادي الشاحب عبر السماء القاتمة ليبدأ يوم جديد. إن شدة كراهية كورد لها أصابتها بصدمة الليلة الماضية، ولكنها تغلبت على ذلك، هذا ما قالته لنفسها. لا تقولي أبداً ها هي النهاية، كما كانت أمها دائماً مؤهلة لقول ذلك.

كانت هناك صدمة ثانية تنتظرها في العمل عندما وصلت إلى المكتب قبل الساعة التاسعة: «أين طاولة مكتبي؟» وقفت في المكتب الخارجي الكبير لتخلع معطفها الخفيف وتضع مظلتها قبل أن تذهب لتعلم كورد في مكتبه الخاص عن وصولها، ووقفت وهي تنظر حائرة إلى المكان الخالي حيث كانت طاولة مكتبها.

«السيد لاشوني أمر بنقل المكتب إلى مكتبه الخاص.» أجابتها ويندي التي تعمل على الآلة الكاتبة، ونظرت باستغراب إلى إيلين ثم قالت: «ألا تعلمين ذلك؟»

«كان يجب أن يذكر شيئاً عن هذا.» حاولت أن تتكلم بصوت خال من الاتهام. لا بد وأنه كان يحاول أن يمنعها من أن تؤثر على بقية الموظفين. حاولت أن تهدىء من غضبها. فهو لن يستطيع أن ينتصر عليها!

«إيلين، هل باستطاعتك أن تسلميه لائحة المصاريف هذه ليتحقق منها قبل أي شيء؟» ناولتها ويندي ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة: «سوف يكون مشغولاً بعض الشيء لاحقاً.»

www.rewity.com

وابتسمت ويندي إلى سايمون ابتسامة ذات مغزى، وغمزها بعينه إشارة إلى أنه فهم ما ترمي إليه.

«هل فاتني شيء؟» ونظرت إلى وجه ويندي المشرق بوضوح.

احمرت وجنتا الفتاة الثانية وخفضت نظرها، وهزت كتفيها قائلة: «ليس تماماً، كل ما في الأمر أن كلوديا سوف تصل اليوم برفقة والدها.»

«كلوديا؟» كانت تدرك أن كل فريق العمل الانكليزي يراقبها وهي تتكلم، مع أنهم بدوا وكأنهم منهمكين بالعمل.

«ألا تعرفين من هي كلوديا؟» كانت ويندي مندهشة وقد تلونت وجنتاها بلون أحمر.

«ليس لدي أية فكرة، أنا آسفة، هل كان يجب أن أعلم؟»

«حسناً، اعتقدت، أنه بسبب علاقتك بالسيد لاشوني...»

وتوقفت ويندي بعدما أدركت ما يعنيه كلامها: «أنا أعني...»

«اعتقدت أنني أخذت فكرة حسنة عمّا تعنين.» واختلست عيناها الجليديتان نظرة إلى وجه سايمون الذي بدا عليه الاحساس بالذنب، ثم رقت نظرتها عندما نظرت إلى ويندي. إنها غلطتهم على أي حال. لقد تسرعوا بالاستنتاج الذي كان كورد يريده: «هل أستطيع أن أوضح شيئاً واحداً لأول وآخر مرة؟» انصب اهتمام الجميع عليها، ومع أنها كانت تتكلم بصوت خافت إلا أن الموظفين الفرنسيين كانوا يرفعون رؤوسهم ليشاهدوا ما يجري: «أنا هنا موظفة مثلي مثل أي شخص منكم ولا شيء أكثر ولا شيء أقل. أستطيع أن أفهم، لم أخذتم انطباعاً خاطئاً ولكن هذا هو الأمر... انطباع خاطىء. أنا أعمل عند السيد لاشوني، وضعوا نقطة على نهاية السطر.»

«آه، لقد فهمت.» قالت ويندي ذلك بسرعة ونظرت منزعجة إلى سايمون الذي كان يحني رأسه: «أنا آسفة، يا إيلين، لم أكن أعني أن...»

«لا بأس.» قاطعت اعتذار الفتاة الأخرى وهي تبتسم ابتسامة دافئة ثم قالت: «والآن، من هي كلوديا هذه؟»

«عندما ترينها مرة واحدة لن تنسيها أبداً!» انضم سايمون إلى المحادثة مرة ثانية بعد أن اختلس النظر إلى باب مكتب كورد ليتأكد من أنه ما يزال موصداً: «إنها صديقة السيد لاشوني، وآكلة رجال حقيقية!» ثم نفخ على أصابعه وكأنها تحترق: «والدها هو شريك السيد لاشوني في أعماله في هذا المشروع الفرنسي، إنها إمرأة مميزة.»

«حسناً، إنها ليست حقاً فتاته، أليس كذلك؟» أضافت ويندي ببطء: «فهي لم تظهر في الساحة منذ شهور لقد اعتقدنا أن كل شيء قد انتهى. لقد جاء وقت، منذ سنتين عندما كانت تتصل به باستمرار عبر الهاتف وقد وصل به الأمر، إلى حد أنه طلب من سكرتيرته عدم تحويل مخابراتها إليه.» واستنتجت إيلين أن السكرتيرة لم تكن كتومة كما يفترض بها.

«ولكن ذلك لا يعني أنه أنهى علاقته بها، أليس كذلك؟» قال سايمون وتابع: «السيد لاشوني فعل ذلك لأنه كما تعلمين يحب أن يفصل بين العمل واللعب.»

«حسناً، أنا أعتقد أنه أدرك أي نوع من النساء هي، إنه ليس غبياً.»

«أي نوع من النساء هي؟» حاولت إيلين أن تتجاهل انقباض عضلات معدتها وتسارع ضربات قلبها. وأصبح من الممكن سماعها.

www.rewity.com

«قطة حقيقية!» هزت ويندي رأسها بحركة تنم عن الاشمئزاز.

«آه، ويندي كوني عادلة، يجب عليك أن تعترفي بأن لديها الكثير مما يجعلها مميزة.» قال سايمون وهو يوبخها بمرح.

«أنت تعني أنه بالاضافة لجمالها، وثرائها وابتذالها، فأنا لا أستطيع أن أفكر في شيء آخر.»

تركتهما إيلين وهما يتناقشان بحدة، ومشت عبر الغرفة، وفتحت الباب المؤدي إلى مملكة كورد. الغرفة التي دخلتها كانت غرفة استقبال خارجية، مجهزة بعدة مقاعد مريحة، وطاولة للقهوة منخفضة الارتفاع، وسجادة مترفة حتى تكاد شعيراتها أن تصل إلى علو ركبتيها. رأت مجلات عديدة متنوعة على أحد الرفوف وتنهدت بارتياح عندما رأت أن طاولة مكتبها قد نقلت إلى إحدى زوايا تلك الغرفة. فهو لم يتوقع أن تعمل معه في الغرفة نفسها، هذا شيء حسن.

يتفرع من هذه الغرفة بابان. الأول يقود إلى غرفة جلوس صغيرة مجهزة بمقاعد مريحة وخزانة صغيرة مليئة بأنواع المشروبات، وفي الغرفة حمام خاص، أما الباب الثاني فكان يؤدي إلى مكتب كورد وكان صورة مصغرة عن المكتب الموجود في انكلترا. يصل بين الغرفتين الداخليتين باب آخر، يضفي عليهما تكاملاً ذاتياً.

نظر إليها كورد نظرة خاطفة عندما دخلت إلى مكتبه بعدما طرقت على الباب وقال: «صباح الخير يا إيلين، لقد لاحظت أنني أمرت بنقل طاولتك إلى الغرفة المجاورة لغرفة مكتبي، هذا بسبب الأعمال الكثيرة التي تقومين بها والتي سوف تتسم بطابع السرية. فضّلت أن تكون الأمور على هذه الصورة، لأنك

سوف تقومين بمكالمات هاتفية وبترجمة الوثائق دون أن تقلقي من الآذان المسترقة السمع والنظرات الفضولية. أيوافقك الأمر؟» إن ترتيب الأمور على هذا النحو يبدو منطقياً، فهزت رأسها موافقة ومشككة. لو أنه لاحظ شكوكها بالنسبة لأهدافه من وراء هذا التصرف، فهو حتماً سوف يتجاهل ذلك. بدا اليوم وكأنه زعيم قوي وكأن الليلة الماضية لم تحصل أبداً. عمل الجميع بسرعة متناهية طيلة الصباح مما زادها إعجاباً بمهارته وحدة ذكائه. فهو لم يسمح لنفسه بأن يفقد أعصابه، وبدا هادئاً وقادراً على تولي زمام الأمور، والتعامل مع عدة أشياء دفعة واحدة.

رن جرس الهاتف، قبل حلول وقت الغداء، فيما كانت تجلس إلى طاولتها. كان كورد قد قرر أن تحول جميع المخابرات الهاتفية الواردة له إلى ايلين أولاً، وجاءها الصوت النسائي على الطرف الآخر من الخط بنبرة تدل على الانزعاج من التأخر بالتقاط السماعة، وقالت بلهجة آمرة: «السيد لاشوني من فضلك.»

«حالاً! من يتكلم؟»

«صليني به فقط، هلا فعلت ذلك؟ إنه يتوقع اتصالاً مني.»

«أنا آسفة. ولكن يجب أن أسأل عن اسمك أولاً.» ودُهشت إيلين من ذلك الصوت الهادىء الحازم.

بعد صمت طويل قالت: «الآنسة أسڤانا، كلوديا أسڤانا، هل أنت راضية؟»

«لحظة من فضلك.» شعرت إيلين بمعدتها تدور عندما اتصلت بكورد الذي استغرق عدة لحظات ليجيب. لقد كان صوت كلوديا بشعاً: «الآنسة أسڤانا موجودة على الخط، وأنا أخشى أنها غير مسرورة مني.» شعرت إيلين أنه سيكون أمراً ثقيلاً لو

www.rewity.com

تكلمت عن نفسها أولاً. وشعرت أن كلوديا لن تختار كلماتها عندما تصف تصرف إيلين.

«كلوديا؟ ما خطبها؟ ماذا فعلتِ الآن؟» كان صوته منخفضاً وينم عن الغضب وحاولت إيلين أن تسيطر على أعصابها بصعوبة: «لم أفعل أي شيء. لقد طلبت أن أصلها مباشرة بمكتبك، وأنا أخبرتها أنه يجب عليّ أن أسأل عن اسمها أولاً. أنت أخبرتني...»

«نعم، نعم، أنا أعرف ماذا طلبت منك.» قاطعها بنفاد صبر: «مهما يكن، في حالة كلوديا يمكنك أن تصليها مباشرة، إنها ليست من نوع النساء الذي ينتظر.»

«آه، لقد فهمت.» لقد علمت إيلين أنها سوف تندم على الكلام الذي سوف تقوله، ولكن لا يوجد قوة على وجه الأرض تستطيع أن تمنعها من الكلام.

«حسناً، ربما لو أحببت أن تترك لي لائحة بأسماء صديقاتك، مرتبة حسب الأولوية مع تسجيل لأصواتهن، عندها أستطيع أن أتبين من هن دون أن أسأل عن أسمائهن، ولن أقوم بالخطأ نفسه مرة ثانية.»

خيم هدوء مطبق للحظة ثم سمعت إيلين صوتاً ينتج عن وضع الهاتف فوق طاولة مكتب كورد، وفي اللحظة نفسها فُتح الباب بسرعة. ووقف في المدخل يحدق بها. رفعت إيلين رأسها في تحدٍ وحدقت في وجهه مباشرة، وأجبرت نفسها على الابتسام بطريقة عذبة وقالت: «هل أنت مستعد لأخذ مخابرتها الآن؟»

تشابكت نظراتهما لدقيقة كاملة دون أن يتفوها بأي كلمة، وأجبرت نفسها على أن لا تشيح ببصرها عنه. لقد كانت محقة

في هذا الموضوع، لن يرهبها أو يطبق عليها أحكاماً قاسية. كانت تستعد لهجومه، عندما سبقها وأطلق ضحكة عالية، وقد أشرق وجهه تعبيراً عن مفاجأة مبهجة.

أتى صوته دافئاً وينم عن الاعتذار عندما قال: «هذا حسن يا فتاة، لقد كان صباحاً طويلاً وأنا كنت مخطئاً. وأنك محقة في رفض تحويل المكالمة مباشرة إلى مكتبي. أعطني دقيقة وبعدها سوف أزيل هذا الإشكال.» أغلق باب مكتبه من جديد، وبعد عدة لحظات التقط سماعة الهاتف. استطاعت أن تتصور كلوديا وهي تعتقد أنها قد تدبرت أمر هذا التأخير ولم تحاول أن تكلمها ثانية، بل حولت المخابرة وهي تتنهد تنهيدة صغيرة حمداً وشكراً.

اتكأت على مقعدها متعبة وهي تفكر أي رجل غريب هوا لن تستطيع أبداً أن تفهمه؛ وردة فعله لتحديها كانت آخر ما تتوقعه، ولكنها تُظهر قوة شخصية هي ترفض إن تعترف بها لنفسها. كان والدها دائماً يقول، إن الرجال العظماء هم الذين يستطيعون أن يعترفوا بأنهم على خطأ، وهي لا تريد أن تفكر في كورد بتلك الطريقة لأنها تريد أن تكرهه. إنها الطريقة الوحيدة التي تعرفها إيلين لتحمي نفسها.

بحلول المساء كان المطر قد توقف، وكانت الشمس الذهبية تختلس النظر من خلف الغيوم الوردية الشفافة. بقي كورد كامل فترة بعد الظهر منغلقاً على نفسه في غرفة مكتبه وهذا ما جعلها تشعر بالامتنان لأن ذلك يعطيها الفرصة لتستجمع قواها من جديد.

كانت تنظم مكتبها قبل أن يعلم أنها مغادرة، عندما فُتح

الباب من دون أن يُطرق عليه. وحدقت مندهشة في المرأة الواقفة أمام الباب، جامدة لا تتحرك وكأنها صورة.

قالت المرأة: «لا شك أنك إيلين.»

ميزّت إيلين الصوت فوراً: «نعم هذا صحيح.» ابتسمت بأدب ولكن لم يكن هناك رد على الوجه البارد الوسيم الذي كان يراقب إيلين بامعان. أدركت إيلين أمرين في وقت واحد عندما تقدمت المرأة لتقف أمام مكتب إيلين، الأمر الأول هو أن كلوديا... لأن تلك المرأة كانت هي دون شك... كانت ملفتة للنظر، جمالها غير عادي وحسب تقديرها يمكن أن يجده الرجال جمالاً لا يقاوم. أما الأمر الثاني، لو لم يكن شيئاً سخيفاً لكانت أقسمت على أن الحقد هو الذي كان يشع من العينين الزرقاوين القاتمتين المركزتين على وجه إيلين.

كانت كلوديا أسڤانا طويلة القامة، يبلغ طولها حوالى ست أقدام، نحيفة، رشيقة القوام. كانت أناقتها بارزة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها المنتعلتين حذاء جميلاً. غمرت عيناها ذواتا الحور الكبيرتان محياها، لا بسبب اتساعهما أو أهدابهما الكثيفة، بل لأنهما تفتقران إلى لون محدد. كان لونهما يتراوح بين الأزرق أو الرمادي وإن كانتا تبدوان وكأنهما لؤلؤتان ملونتان، برّاقتان.

«عندما أتصل في المرة المقبلة، عليك بتحويل المخابرة مباشرة. فأنا لست موظفة مكتب صغيرة حتى تدعيني أنتظر.» وللحظة لم تكن إيلين واثقة من أنها سمعت بشكل صحيح، لأن الكلمات قد انبثقت من بين تلك الشفتين المطبقتين.

«أنا آسفة يا آنسة أسڤانا، أنا كنت أتبع تعليمات السيد لاشوني فقط.» قالت إيلين رداً على ذلك العداء غير العادل،

ولكنها أجبرت نفسها على التكلم بهدوء وروية ثم نظرت بعيداً، بعدما أنهت كلامها. تظاهرت وكأنها تقوم بترتيب بعض الأوراق الموجودة على طاولتها. فقد كانت نظرات المرأة الأكبر سناً تصيبها بدوار.

«سوف تأسفين لو عاندتني! تذكري أنك تعملين هنا. أستطيع أن أصرفك من العمل هكذا!» وسحبت كلوديا أنامل طويلة بيضاء، فأحدثت عدة أصوات رنانة ثم تابعت: «ابقي ذلك في ذاكرتك عندما تفكرين بمركزك في المرة المقبلة.»

اختلست إيلين نظرة خاطفة إلى أعلى. لقد كان في ذلك الصوت الحاد تلميح خبيث جعلها تدرك أنهما كانتا تناقشان قضية أكبر من قضية الاتصال الهاتفي. ولسبب ما كانت كلوديا أسڤانا قلقة بشأن علاقتها مع كورد. يا للسخرية! فلو كانت إيلين آخر إمرأة موجودة على وجه الأرض فهو لن يريدها.

«قد ترغبين بمناقشة الموضوع مع السيد لاشوني؟» حافظت إيلين على صوتها هادئاً ووجهها لطيفاً وقد لاحظ كورد كلاً منهما عندما فتح الباب وسمع كلمات إيلين الأخيرة.

«تناقش ماذا مع السيد لاشوني؟» وتنقلت نظراته بينهما ثم خيم الصمت للحظات ولكن بعد ذلك ابتسمت كلوديا ابتسامة عذبة وفتحت ذراعيها وهي تتقدم إلى الأمام.

«عزيزي... لقد مضى وقت طويل. لم أستطع أن أقاوم حضوري إلى هنا لأرى أين يعمل صديقي القديم، السيىء الطباع.»

عندما وصلت إلى كورد الذي لم يحرك ساكناً، وضعت ذراعها حول ذراعه واستدارت ووجهت ابتسامة مشرقة إلى إيلين: «كنت أشرح لسكرتيرتك الصغيرة أنها ليست مضطرة

إلى التعامل معي بشكل رسمي. نحن صديقان منذ زمن بعيد، ألسنا كذلك؟»

أبعد كورد ذراع كلوديا برقة وقادها إلى مكتبه وهز رأسه باتجاه إيلين وهو يتبع كلوديا وقال: «إيلين ليست سكرتيرتي كما وصفتها يا كلوديا. أعتقد أنني شرحت لك عن مركزها هنا هذا الصباح. إنها مساعدتي الخاصة تهتم بشكل رئيسي بـ...»

ولكن باغلاق الباب اختفى صوته الأجش، عندها تنهدت إيلين من أعماقها ووقفت على قدميها لتكتشف أنهما ترتجفان. لقد تأكدت في الأيام المنصرمة من قناعتها في أن تيم نال الجزء الأفضل من هذا الاتفاق.

«شكراً لك يا تيم، سيكون عملك مناسباً أكثر بعد أن تحول كل هذا إليّ.» تمتمت ووقفت، وبحركة لا مبالية هزّت كتفيها لترتدي المعطف الذي ما زال رطباً بسبب الأمطار الغزيرة التي تساقطت عند مجيئها في الصباح. شعرت بالوحدة القاتلة والحنين الغريب إلى الوطن. حتى هذا الوقت كان من الممكن أن تكون منهمكة بالعمل في مهنة التدريس في انكلترا، العمل الذي انتظرته لفترة طويلة. إنها تحب العمل مع الأطفال، ولكان ذلك أفضل من المصارعة مع أكوام من المستندات، ومقابلة وجوه جديدة غريبة وطباعة الرسائل الغريبة التي كانت تتسم بطابع السرية لدرجة أنه يصعب على الموظف العادي أن يعالجها، باصبعين فقط فوق الآلة الكاتبة التي كانت شيئاً غريباً لديها غير الخبيرتين بمثل هذا العمل. محت دموع الشفقة على نفسها التي كانت تحرق جفنيها. فهي لا تستطيع أن تبكي هنا، يجب عليها أن تنتظر حتى تعود إلى شقتها.

«إلى أين أنت ذاهبة؟» جعلها الصوت الحاد تستدير بسرعة:

«لقد أخبرتك من قبل أنني سوف أوصلك إلى المنزل عندما أطلب منك أن تتأخري في العمل.»

وقفت كلوديا خلف كورد وقد بدا واضحاً فوق وجهها الحانق كل ما كانت تعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها في هذا التدبير بينهما، وتقدمت أمامه ثم توقفت لتلمس ذراعه مودعة: «سوف أراك في ما بعد، في المنزل. أبي يريد أن يجهز العشاء في الساعة الثامنة، لذلك يمكنك الحضور قبل ذلك الوقت من أجل تناول الشراب الذي قال إنه أتى به من الكروم الإيطالية ونستطيع أن نقارنه مع الشراب الفرنسي.»

وجهت نظرة تنم عن الحقد إلى إيلين قبل أن تغادر مخلفة وراءها موجة من العطر الغالي الثمن وصوتاً عالياً من أثر ملامسة كعبي الحذاء فوق الأرض.

نظرت إيلين إلى كورد وهي تشعر بالأسف وقالت: «أنا لا أعجبها.»

قال وهو يوجه إليها نظرات حادة: «لا تكوني سخيفة، لا يوجد شيء يُدعى إعجاب أو غير إعجاب.»

فكرت إيلين بامتعاض، حسناً ذلك يعطيها حقها بينما كانت منتظرة حتى يغلق المكاتب ويدير جهاز الإنذار ولم يتكلم ثانية إلى أن أصبحا داخل السيارة فاستدار إليها دون أن يدير محرك السيارة وسألها: «لِمَ تبدين يائسة هكذا في هذه اللحظات؟»

لم تكن تتوقع سؤاله، فحدقت به بصمت لا تعرف ما تقول: «هل أنا كذلك؟»

«هاتان العينان قاتلتان.» لمس خدها الملتهب بأصبعه وسأل: «حسناً؟»

«أعتقد أنني أشعر بالحنين إلى الوطن.» لكنها كانت تراوغ وأبعدت عينيها عن نظراته المحدقة: «لقد تلقيت رسالة مطولة من العم رون في الأمس ومع شيء آخر...»

«أيتها الطفلة المسكينة...» كان في صوته نغمة مما جعل جسدها يذوب ولكن في الوقت نفسها كان عقلها يصرخ، إنه يتلاعب بها من جديد. فيما هي تجلس بجواره، أدركت كم يؤثر عليها جسده القوي الكبير بكتفيه العريضتين وهيئته القوية. وشعرت برائحته تملأ أنفها وبذلك الانقباض في معدتها الذي طالما كان قربه منها يوقظه.

«أنا بخير.» لقد حاولت أن تبدو واقعية، ولكن الرجفة الخفيفة في صوتها فضحت الدموع التي ظهرت في أسفل عينيها.

«ما هذا؟» رفع ذقنها بإحدى يديه لينظر مباشرة إلى أعماق عينيها القاتمتين، وللحظة رأت تعبيراً غامضاً لطّف الوجه القاسي وجعل قلبها يقفز خارج صدرها. لقد ذهب كل ذلك في لحظة ولم تستطع أن تفسر ذلك التعبير. ومرت غمامة فوق العينين الرماديتين.

«ألاعيب جديدة؟» كان الصوت المتحجر مشككاً، ولكن إيلين شعرت بالتعب الشديد وبالألم يعصر قلبها. لقد آلمها ذلك أكثر مما اعتقدت أن وجوده مع كلوديا سيؤلمها. في هذه الليلة كانت أضعف من أن ترد بسرعة بديهة. والتقت نظراتهما وكانا كأنهما مجمدان يلتقطان أنفاسهما بصعوبة، بينما كان الهواء من حولها يبدو مثقلاً بسبب الانتظار.

«إيلين... من أنتِ؟» كان صوته رقيقاً ولكنه لم يتحرك بل كانت نظراته تدخل إلى أعماق عينيها وكأنه كان ينظر إلى روحها ثم سأل بصوت أجش يحمل في أعماقه غصة ألم: «من

أنت؟ من أنتِ حقاً؟ إن قلبي يقول لي شيئاً واحداً ولكن عقلي يقول شيئاً آخر. اعتقدت أنه بعد سبعة وثلاثين عاماً على وجه هذه الأرض أن كل جنس النساء قد رُوّض ولكن لست أدري...» وهز رأسه ببطء ثم تابع: «إما أنك ممثلة بارعة أو...» وتوقف فجأة.

همست وهي ترتجف وكانت الدموع تتلألأ كالبلور فوق أهدابها السوداء: «أنا، لم أشأ أن يحصل شيء من هذا، أرجوك أن تفهم...»

كانت عيناه قاتمتين تلمعان في الغسق الرمادي الذي حول العالم خارج السيارة إلى كتلة من الظلال التي لا حدود لها. لقد بدا وكأنه يحارب معركة داخلية صعبة عندما مال برأسه إلى الخلف ببطء وأبعد يده عن وجهها.

«أنا لا أفهمكِ يا إيلين، تلك هي المشكلة.» كان وجهه حازماً ومتجهماً: «ولكنني سوف أفعل، أعدك بذلك، قبل أن ينتهي الاتفاق بيننا سوف أعرف ما هو بالتحديد الشيء الذي يجعلك مميزة.» تضمنت كلماته تهديداً، فارتجفت قليلاً، فيما الحزن يسيطر عليها مثل كفن ثقيل.

أدار المحرك بسرعة دون أن يضيف شيئاً بل كان وجهه قاسياً وهو ينطلق بالسيارة من الموقف إلى الطريق الرئيسي.

لم يلاحظ أيٌّ منهما السيارة البيضاء التي انطلقت خلفهما من حيث كانت مختبئة، وهي تتبعهما من مسافة بعيدة طيلة الطريق إلى المبنى حيث تقع شقة إيلين. كان وجه كلوديا عابساً وقاسياً وهي تجلس خلف عجلة القيادة ونظرها مثبت باحكام على السيارة أمامها، ولا أحد في تلك اللحظة يمكن أن يقول إنها حسناء.

www.rewity.com

الفصل الرابع

«هل ستأتين للسباحة بعد العمل؟» دعا سايمون إيلين وهزت رأسها مشجعة. كان عبء العمل قد خف قليلاً في الأيام القليلة الماضية، فأخذت إيلين تغادر العمل مع بقية الموظفين، وغالباً ما كانت تعود إلى مسكنها مع بقية العاملين الانكليز، عبر شوارع المدينة الصغيرة الهادئة، فيما نسيم أيلول الدافىء يلطف أنفاسها.

غالباً ما تتوقف مجموعة منهم لتناول الشطائر الطازجة والسمك المحمر بالليمون والتوابل، ودائماً كانوا ينهون وجبتهم بتناول كأس أو اثنين شراب محلي من عصير العنب الأسود.

لدهشتها وجدت إيلين نفسها تستقر على رتابة ممتعة، وزال اليأس الذي شعرت به لأول وهلة.

كان كورد مهذباً، ولكنه أبقى على مسافة في ما بينهما، بعد الحديث الذي تبادلاه في السيارة، وكلوديا كانت تحضر بشكل مفاجىء في أي وقت من النهار، بعينيها الضيقتين المراقبتين بشكل دائم ولسانها اللاذع، إلاّ في وجود كورد فهي تصبح لطيفة ورقيقة. تجاهلتها إيلين قدر المستطاع مما جعلها تشعر أن المرأة الأخرى كانت تتزعج من أمر كهذا، ولكن تلك كانت الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها التعامل مع حقد كلوديا المتزايد واستعادة توازنها.

«كوني جاهزة في الساعة الخامسة.» تابع سايمون بعد أن

هزت رأسها موافقة وخمد صوته تدريجياً عندما ظهر كورد بجانبها، وقد بدت على وجهه ملامح القسوة المعتادة.

«هل أفهم أنك تخططين لسهرة الليلة يا إيلين؟»

سألها بدقة وهو يتجاهل وجود سايمون الذي تراجع إلى الخلف.

«نعم.» دفعت إيلين بخصلة شعرها المنسدلة فوق جبينها وهي تجيب، لقد استيقظت متأخرة في ذلك الصباح ولم يكن لديها الوقت لأن تصفف شعرها ضفائر كما اعتادت. بل انسدل في موجات فضية لامعة ولامس كتفيها، مما جعل عينيها تبدوان قاتمتين مثل بركتين عميقتي الأغوار، وجعل لون بشرتها الصافية أكثر نقاءً.

«أنا آسف، ولكنني سوف أحتاج إلى وجودك هنا لفترة متأخرة وذلك لأنني أنتظر حضور اثنين من العملاء الذين سوف نتعامل معهم في المستقبل، عند الساعة الثالثة، وقد تحتاج المفاوضات إلى وقت طويل.» نظر إلى فمها للحظة قبل أن يستدير ويختفي في مكتبه مغلقاً الباب خلفه بهدوء.

«لا أعرف كيف تتحملينه فهو معظم الوقت يعاملك وكأنك عبدة له.» قالت ويندي بامتعاض ولكن إيلين نظرت إليها مبتسمة وهي تستدير. قالت إيلين في نفسها: عبدة، لقد أصابت ويندي الهدف من دون أن تعي ذلك. وتذكرت إيلين محادثتهما في ذلك اليوم في مكتبه في انكلترا. تلك هي طريقته في تذكيرها بواجباتها، إنها ليست موجودة هنا لاكتساب الأصدقاء، إنها عبدة.

في الساعة السابعة من تلك الليلة كانت المفاوضات ما زالت تتأرجح وبعد ساعة كاملة شعر الفريقان أنهما قد وصلا إلى

www.rewity.com

اتفاق يرضي الطرفين. عندما رحل الرجلان الفرنسيان بعد وداع لطيف، مال كورد إلى الخلف ومدد جسده بكسل وهو يتنهد. فبرزت عضلاته تحت قميصه القطني. أشاحت إيلين نظرها بعيداً بسرعة، لأن منظر ذلك الجسم الرائع وهو يظهر تحت القميص يقطع أنفاسها.

«أنت تلاحظين أنني كنت فعلاً في حاجة لك هنا؟» نظرت إليه وهي تجلس فوق المقعد الجلدي فلاحظت أن خصلة صغيرة من شعره الأسود منسدلة فوق جبينه فبدا جذاباً بشكل لا يمكن انكاره.

قالت بحذر: «نعم، بالطبع.»

«لقد كوّنت انطباعاً أن أصدقاءك في الخارج يعتقدون أنني لست عادلاً.» قال وهو يشير برأسه باتجاه المكاتب الرئيسية. احمرت وجنتاها خجلاً.

قالت بسرعة: «لا، أبداً.»

سألها وهو يبتسم: «لا؟ إذاً هم لا يدركون الأسباب الحقيقية لظهورك المفاجيء في مؤسستي، أليس كذلك؟»

«ولا أنت أيضاً. حسبما أرى.» حدقت به بكبرياء وقد ضاقت حدقتاها.

«هل ما زلت تدافعين عن براءتك؟ كنت أعتقد أنك بدأت تملّين هذا الموضوع.»

«أنا لا أجد الحقيقة مملة أبداً.»

«اصمتي، يا عزيزتي مارسيل، أنا تعب جداً ولا أريد تقاذف الكلمات معك الليلة.» ووقف وهو يقول: «أحضري سترتك، سوف نذهب لتناول الطعام.»

كانت تعلم أنه من الأفضل أن لا تجادل، فتبعته صامتة إلى

السيارة. اختلس نظرة إليها وهي تسترخي على المقعد الجلدي وتطلق تنهيدة صغيرة. أدار المحرك وانطلقت السيارة، لكنها فوجئت عندما تجاوز المطاعم والمقاهي التي تقع على الطريق العام وحيث أخذ الناس بالتجمع، واجتاز أيضاً البيوت الصغيرة والحدائق المزروعة المجاورة. اختلست نظرة إلى وجهه القاسي ولكن وجهه كان خالياً من التعابير واهتمامه مركز على الطريق الممتدة أمامه، ويداه تمسكان بعجلة القيادة بخفة.

قاد السيارة حوالى العشرين دقيقة خارج حدود المدينة ثم إلى التلال المنحدرة التي بدت مظلمة بعدما أصبحت أضواء المدينة خلفهما. مرا بجداول مياه جارية ولمحت على مسافة من الضفة بيت حجري كانت أنواره مضاءة وكأنها منارة في الظلام. لقد تاقت لأن تسأله إلى أين يأخذها ولكن ما تحتفظ به من كبرياء يمنعها من ذلك. تزايدت نظراتها الحادة، وازداد توترها. وتكلم أخيراً بصوت ينم عن السخرية: «إيلين، استرخي، فأنا لم أنطلق بك بعيداً وأنا أبيت نوايا سيئة.»

ارتبكت مشاعرها ولكنها لم تقل شيئاً. وارتسمت على فمه القاسي ابتسامة ساخرة: «أحياناً تجعلينني أشعر أنك بريئة حقاً كما تدّعين، ولكن أحياناً...» رفع يده، عندما حاولت الإجابة إشارة إلى أنه لم ينه كلامه، واستطرد: «أنا فقط لا أستطيع أن اتحمل فكرة الجلوس في مطعم وتبادل الأحاديث في حين كل ما أحتاج إليه بالواقع هو حمام بارد. أنا أشعر بالحر، أنا مرهق ولست في حالة تسمح لي بلقاء الناس. سوف أطهو لكل منا عندما نرتاح.»

«أنت سوف تطهو؟» قالت بصوت واهن، وقهقه عندما لاحظ اهتزاز رباطة جأشها.

www.rewity.com

«نعم، أنا سوف أطهو، ولك أن تعلمي... أنني أطهو بشكل حسن، هذا ما يُقال لي.»

شعرت إيلين أن خوفها الذي كان يتزايد مع استطراد الأميال القليلة المتبقية، قد أخذ يقفز قفزاً.

«اسمع، أنا حقاً لا أعتقد...» بدأت تتفوه بعبارة يائسة، ولكنه قاطعها بحدة.

«هذا حسن، لا تعتقدين، أنا أفضل الأمور على هذا النحو.»

رمته بنظرة قاسية، ولكن تلك النظرة ذهبت هباءاً لأن نظره كان مركزاً على الطريق أمامه.

«أنت الشخص الأكثر تجاهلاً وغطرسة...»

«أرجوك يا إيلين، لقد سمعت كل هذا من قبل، أحبك أن تصمتي مثل فتاة صغيرة حسنة وتتأدبين.»

«آه!» تأوهت وهي تكتم غضبها ثم جلست في صمت مطبق إلى أن صارت الطريق منحدرة وقاد كورد السيارة على مفترق صغير، اعتقدت إيلين في البداية أنه طريق فرعية ضيقة ثم أدركت أنه ممر خاص يقود إلى ما بدا أنه منزل كبير على بعد مسافة.

«لقد استأجرت هذا المنزل لعدة أشهر. إنه مكان مريح.» كانت هذه الجملة نوع من الملاحظات الكلاسيكية المبطنة التي توقعت أن تسمعها منه. لم تكن تدرك أنهما مسافران باتجاه الساحل، ولما كان الضوء قد أفاض بنوره وغمر البيت الحجري الضخم تبين لها أن الحديقة الكبيرة الخضراء تؤدي إلى شاطىء خاص من الرمل الأبيض الناعم.

أوقف كورد المحرك. وبعد أن هدأ ضجيجه استطاعت إيلين أن تسمع صوت تلاطم الأمواج الخفيف الذي وصل إلى مسامعها من نافذة السيارة. «لقد بني البيت حديثاً، ولكنه صمم

على طراز قلعة لوشز قديمة مشيدة منذ القرن الخامس عشر.»

«إنه... رائع جداً.» لقد شعرت بأن روعة المكان تخطف أنفاسها: «لو لم تخبرني، لما عرفت أنه ليس أصيلاً.»

«إن المالك سيكون مسروراً لقولك هذا، لقد صرف أكثر من مليون فرنك ليؤكد هذا. هل تحبين أن تسبحي؟» لاحظ أن عينيها تتطلعان بشوق إلى الأفق البعيد.

«لم أحضر معي ما ارتديه...» وأشارت إلى جسمها وابتسم بفتور.

«أستطيع أن أجد لكِ ثوباً إذا أصررتِ على ارتداء واحد. إن المكان آمن جداً هنا، يوجد منحدر طويل يؤدي إلى المياه العميقة ولا يوجد أي صخور ناتئة، فقط بعض الأصداف وما شابه.»

«سوف أحب ذلك.» لم تستطع أن تخفي حماسها الذي بان على وجهها بوضوح فنظر إليها متمعناً، ولاح على وجهه ذلك التعبير الفضولي الذي كانت قد لاحظته أكثر من مرة، في السابق.

«السباحة في البحر أفضل بكثير من السباحة في الحوض، لقد اعتاد كل من أمي وأبي أن يأخذانا إلى الساحل لمدة شهر تقريباً كل صيف، لقد كنا نستأجر كوخاً و...» تلاشى صوتها وهي تتذكر الأيام المفعمة بالبهجة والسعادة. لاحظ الحزن المفاجيء الذي حوّل لون عينيها إلى لون داكن.

«ألا تمانعين أن يبتل شعرك بالماء؟» حاول أن يلطف الأجواء، وتجاوبت مع محاولته وضحكت وهي تجيب: «لا، لأنه يجف سريعاً.»

«يا للروعة، أنتِ لستِ واحدة من اللواتي يصرخن ويركضن

بحثاً عن مأمن إذا سقطت قطرة ماء فوق وجههن.» كان صوته ينم عن السخرية وهو حتماً يعني شخصاً آخر بكلامه، أملت إيلين أن تكون كلوديا.

«تعالي لنرى ماذا بامكاننا أن نجد.» أمسك يدها في حركة رقيقة ضمن قبضته عندما صعدا الدرجات الحجرية، فأخذ قلبها يئن بين أضلاعها. توقفي، توقفي. قالت لنفسها محذرة... أنتِ تعرفين أن ذلك لا يعني شيئاً.

بعدما فتح كورد الباب الضخم المصنوع من خشب السنديان ودفعها برقة إلى الداخل وأضاء النور، وقفت في المدخل مسحورة: «هذا المكان رائع الجمال.»

«نعم، إنه لكذلك.» اختفت من صوته نبرة اللامبالاة المعتادة، عندما رفعت رأسها ونظرت إليه اكتشفت أنه يحدق إلى وجهها وتابع: «جميل جداً...»

ابتسمت وتقدمت إلى داخل القاعة الكبيرة التي كانت أرضها مرصوفة من مجموعة أشكال قرميدية متقنة الصنع بصورة مذهلة. وانتشرت على جوانب الجدران عدة كراسي طويلة منجدة بنسيج قديم مزين بالرسوم والصور، وبرغم ألوانها البالية، كان سحرها يخطف الأنفاس.

«هل بقية المنزل كهذه الغرفة؟» نظرت إليه بعينين مندهشتين فضحك برقة.

«لا، عليّ أن أعترف أنها ليست كذلك. أردت أن أترك انطباعاً خاصاً لديك، وهذه القاعة تترك تأثيراً مميزاً لأول وهلة، أليس كذلك؟» هزت رأسها بصمت ثم تابع كلامه: «لقد كان للمالك حرية تصرف كاملة على هذه الغرفة فاستغل الموقف إلى أقصاه. ولكن زوجته تبنت تأثيث الغرف الباقية

قائلة إنها تفضل أن تعيش في القرن العشرين، مع السجاجيد الملائمة ومع كل شيء مدروس بدقة! غرفة الجلوس في هذا الجانب مريحة جداً، والأبواب الفرنسية تقود إلى الحديقة مباشرة. لقد قضيت معظم وقتي هنا.»

إنها غرفة جميلة مزودة بمدفئة حجرية تحتل نصف مساحة أحد الجدران وحيث كانت قطع من الحطب معدة للاستعمال في الليالي الباردة. على الرغم من أن الأثاث كان من الطراز القديم، والصور التي تزين الجدران كانت مبتكرة، إلا أن الجو كان دافئاً مريحاً.

«هل جميع الغرف الأخرى فائقة الجمال كهذه الغرفة؟» سألت بصوت يشبه الهمس وابتسم فجأة وأخذ بيدها التي كان قد افلتها عند دخولهما.

«يمكنك أن تحكمي بنفسك.» أخذها في جولة على أرجاء البيت الفسيح، وعندما انتهى، أخذ رأسها بالدوران، ليس من روعة الغرف التي لا تنتهي فحسب، بل من لمسة يده على يدها ومن حضوره القوي بجانبها.

«إذاً، الآن.» لقد انتهت جولتهما عند إحدى غرف نوم الضيوف الرائعة بلوني الكريم والذهب، تحتوي على سرير ذي قوائم أربع ضخمة ومغطى بالحرير الناعم.

«لا بد من وجود شيء ما يناسبك.» أشار إلى الخزانة الضخمة وهو يمشي باتجاه الباب وأضاف: «حاولي إيجاد ثوب سباحة يناسبك، ثم انضمي إليّ في غرفة الجلوس.»

«سوف أضيع.» شعرت أنها صغيرة جداً وضعيفة في وسط الغرفة الكبيرة وابتسم برقة عندما لاحظ الحدقتين المتسعتين والشفتين المرتجفتين.

www.rewity.com

«سوف أجدك.» بدا قاتماً وغريباً وهو يقف بجانب الباب المطلي باللون الكريمي الشاحب. اختفى الجانب الانكليزي منه وبقي الجانب الكورسيكي. شريراً، قوياً، ومفعماً بالحيوية. كان اشعاع قوته شيئاً أحست أنها تستطيع أن تلمسه.

«لا بد أنني مجنونة، مجنونة بشكل تام. كيف حضرت إلى هنا؟ لِمَ لمْ أمنع ذلك؟» وجدت إيلين أنها كانت توبّخ نفسها وهي تتجه إلى درج ملابس السباحة حيث كانت كل قطعة، اصغر وأكثر شفافية من القطعة التي سبقتها. «لا أستطيع ارتداء أي منها.» شدت ذراعيها فوق وسطها وهي تحاول أن تخفف حدة ألألم الذي كان يهدد بالسيطرة عليها: «سوف تكونين بخير، سوف تكونين بخير.» يجب أن تجد شيئاً يسترها قبل نهاية هذا الكابوس! إن فكرة ظهورها أمامه وهي ترتدي شيئاً من هذه الملابس سيجعل وجنتيه تلتهبان توهجا ويديها باردتين خدرتين.

استبدلت ملابسها بأكثر الأثواب حشمة بعد لحظات من المعاناة، وعقصت شعرها من الخلف على شكل ذيل حصان بعد أن اختارت رباطاً من درج آخر، ووضعت فوق جسدها النحيل منزراً منشفة وضمتها أكثر قبل أن تغادر الغرفة، وتتجه إلى الطابق السفلي. غمرها شعور من الخجل لم تشعر بمثيل له خلال سنواتها الأربع والعشرين.

عندما دخلت غرفة الجلوس وجدته جالساً بانتظارها، وجسده البرونزي اللون، القوي العضلات، عارياً ما عدا قطعة صغيرة من ملابس السباحة، تابع نظراتها المضطربة وابتسم قائلاً: «أنا عادة لا أهتم.» وكان يشير إلى قطعة الملابس الصغيرة التي تستر جسده وهو يضيف: «ولكنني لا أريدك أن

تركضي خارج المنزل وأنت تصرخين في هذا الوقت من الليل، قد يسيء الناس تفسير الأمر.»

ابتسمت بوهن: «أشك في ذلك فأنت هنا معزول تماماً.»

ضاقت حدقتاه وهو يقول: «تلك هي. هل وجدتِ شيئاً مناسباً؟ أعرف أن ساندي تترك عادة مجموعة كبيرة في كل غرفة.»

«ساندي؟» تشبثت بالإسم كما تتشبث امرأة غريقة بقشة.

«ساندي وميتش، الثنائي اللذان استأجرت البيت منهما. إنهما صديقان قديمان؛ صداقتي مع ميتش تعود إلى فترة بعيدة. لقد ذهب إلى جزر الهند الغربية لممارسة هواية الغوص وذهبت ساندي معه. لقد اجهضت مؤخراً، واعتقد ميتش أن فترة من الراحة قد تفيدها بعدما اصبحت حالتها سيئة للغاية.»

«آه، لقد فهمت.» أحست عندما وقف على قدميه بأن تنفسها قد توقف في مكان ما في حنجرتها، وقد تحول إلى كرة صلبة قاسية. يبدو جسده مغرياً وهو في ملابسه، أما الآن وهو شبه عارٍ فيبدو رائعاً. لا يوجد أي ترهل في تلك القامة الطويلة النحيلة الصلبة، بل عضلات مفتولة فحسب، أضافت على طوله الفارع قوة واعطت معنى جديداً لعبارة مهيب.

«هل نذهب؟» أخذ بذراعها وقادها إلى الباب الكبير الذي يقود إلى الحديقة، حاولت إيلين إجبار نفسها على أن لا تسيء تفسير لمسته الرقيقة التي كانت تحرقها. وعاودها فجأة ذلك الشعور بأن هذه الليلة ستكون طويلة جداً، وتذكرت تهديده منذ أسابيع قليلة: «سوف أجعلك تصبحين طوع يدي قبل أن ينتهي الاتفاق بيننا.» لم يكن إحضارها إلى تلك المنطقة

المعزولة صدفة، بل كان تطبيقاً ما لاخضاعها عقلاً وجسداً ويجب عليها أن تكون حذرة كل الوقت. هذا الرجل لم يكن صديقها، إنه يشكل خطراً أكثر من أي وقت مضى، خاصة عندما يسترخي ويصبح ناعم الملمس. ولو نسيت ذلك سوف يكون الأمر خطراً عليها.

«يمكنك أن تتركي المنشفة هناك، فالمياه لا تعلو أكثر من ذلك.» وضاقت حدقتاه من الدهشة وهو يقف عند حافة الماء ليراها تقف على مسافة غير قريبة منه مترددة، تحرك الرمال بأصابع قدميها وتنظر إلى حدود الشاطىء المهجور. لقد لاحظ ارتباكها وكان يستمتع في كل لحظة من ذلك، فكرت إيلين وهي شاحبة، الوغد!

«رائع.» أخذت نفساً عميقاً وأبعدت المنشفة عن جسدها وتحركت لتنضم إليه برشاقة طبيعية.

«جميل، جميل جداً.» لم تتظاهر أنها لم تفهم ما عنيَ وتحركت عيناه تتفحصانها في ذلك الثوب الذي يظهر ساقيها الطويلتين النحيلتين ثم إلى خصرها النحيف ثم إلى صدرها وأخيراً إلى وجهها الملتهب: «جاهزة للسباحة؟» سألها برقة وهزت رأسها موافقة ومذعورة لأنها وجدت أن نظراته الدافئة جعلت قلبها يخفق بسرعة غريبة.

نزلت إلى المياه الجليدية وهي تلتقط أنفاسها وعندما سمعت صوته يضحك في خفوت تمتمت بمرارة وهي تسبح بضربات ثابتة وقوية: «أنا أكرهك يا كورد لاشوني. أنت تدرك تماماً ما الذي تفعله بي. وتستمتع به في كل لحظة.»

كانت المياه باردة رائعة وناعمة كالحرير بالمقارنة مع بشرتها الملتهبة وخلال دقائق قليلة نسيت إيلين كل شيء إلا

الشعور الذي يسري في جسدها من دون توقف، في أعماق المياه الزرقاء القاتمة، بينما كانت الأمواج تتضارب في إيقاعات متناغمة.

«أنت تسبحين جيداً.» نبرة صوته الحادة، حملت تعبيراً من الدهشة، استدارت فالتقت عينا كورد الذي تابع قائلاً: «مثل رجل.»

«هل هذا إطراء؟» ولم تستطع أن تمنع صوتها من أن يكون لاذعاً في ضوء ما حدث لها معه في السابق. ولاحظ ذلك بسرعة.

«لا تقولي إنك من الداعين إلى المساواة بين الجنسين... أنا حقاً لا أستطيع تصديق ذلك.»

برغم أن شيئاً ما في داخلها كان يقول لها إنه يحاول أن يثير أعصابها، فلم تستطع إلا أن ترد على نغمة الاستنكار الرقيقة في صوته، وحاولت أن تجعل صوتها رقيقاً.

«إذا كان مفهومك للمرأة المطالبة بالمساواة هو أنها التي تعرف قيمة نفسها وسعيدة بها، فالجواب نعم، وهذا ما أنا عليه.» لكن تأثير صوتها لم يكن كما توقعت عندما ارتفعت الموجة وقذفت الماء المالح إلى داخل فمها مما جعلها تهتز وتتمتم بشكل غير مفهوم لعدة لحظات.

انتظر حتى استعادت توازنها بتحريكها قدميها إلى أعلى وإلى أسفل لتتجنب الغرق وضاقت حدقتاه وقال: «أنتِ حقاً شيء آخر، ألست كذلك؟» واختفى من صوته أي أثر للدهشة وكانت كلماته وكأنها تخرج من بين أسنانه: «أليس لديك أي خجل من طريقة تصرفك؟ أبداً؟ أي نوع من النساء أنتِ لتصرخي عالياً؟ لقد اعتقدت أنني قد التقيت بأحسنهن في زماني، ولكن

أنت بالطبع تنالين جائزة ألا يوجد حتى أي أثر للشعور بالذنب تجاه عمك؟»

«لقد أخبرتك وأخبرتك، لم أقم بأي شيء.» قالت يائسة وهي تشعر برجفة لا علاقة لها بحرارة الماء تسري في عمودها الفقري: «لا علاقة لي بعملية الاختلاس؛ أنا لا أريد أموالك...»

توقفت عن الكلام عندما لاحظت تعبير السخرية القوي في العينين القاسيتين اللتين لا تبعدان عن عينيها إلا مسافة قصيرة.

«يجب أن أكون في طفولتي الثانية حتى أصدق ذلك. حتى لو كان ما حدث في انكلترا من نسج خيالي، والذي أنا أكيد منه كالجحيم فهو ليس كذلك. المشاعر المتبدلة بين حرارة وبرودة وبين برودة وتوهج، هنا عندما تقابلين الجنس الآخر بشكل عام، تقول عنك أكثر مما تدركين.»

حدقت به مذهولة، كلماته لم تكن عادلة وللحظات لم تكن قادرة على التكلم لشدة دهشتها وتابع كلامه: «قد تكونين جيدة في لعبة الحب يا يمامتي الصغيرة، ولكنني أكره أن أخبرك، أنك لست جيدة بما يكفي. فلا أحد يخدع كورد لاشوني مرتين. أنت لا تخدعينني ولا للحظة.»

ثم غاص تحت الماء قبل أن تتمكن من أن تجمع أفكارها لترد عليه، لقد كان جسده الطويل النحيل أبيض بين الأمواج الزرقاء المتضاربة. وصلت الأنوار المتلألئة من المصابيح على الشاطىء خفيفة إليها، لكنها كافية حتى تلاحظ رشاقته التي جعلت تنقلاته تبدو مثل رقصة سمكة كبيرة أنيقة في الأعماق وتماماً في مكانها الملائم.

«صدق ما تشاء.» لقد كانت تكلم نسيم الليل الدافىء. وفقدت

السباحة فجأة سحرها فسبحت عائدة باتجاه الأضواء وهي تتمنى من كل قلبها لو أنها لم تسمع أبداً اسم كورد لاشوني.

انضم إليها بعد عدة لحظات على الرمل الدافىء حيث كانت تجلس بانتظاره، بدا جسده رطباً لامعاً من مياه البحر: «جائعة؟» كان صوته رقيقاً ونظراته ودية وهو يمد يده ليساعدها على الوقوف.

«قليلاً.» قالت إيلين بهدوء. نظرت إليه بحذر فيما هما يمشيان باتجاه البيت. حاولت أن تقتدي بتصرفاته الطبيعية ولكنها كانت تدرك بشكل يحرقها وجود ذلك الجسد القوي يتهادى بجانبها برشاقة حيوان. انساب نسيم الليل بارداً فوق بشرتها الرطبة، وشعرت بصعوبة تنفسها وهي تلاحظ قوته فشدّت المئزر الرقيق حولها باحكام ثم أدخلت ذراعيها... بين طياته المخفية واحكمت الرباط حول خصرها.

«هل تشعرين بالبرد؟» لاحظ حركاتها ولكن ما أسعدها هو أنه لم يدرك السبب الحقيقي لمثل تلك التصرفات.

«ليس تماماً، الطقس دافىء جداً، ولكن حمام حار سيكون شيئاً رائعاً. إن الملح يجعل شعري بغيضاً.»

«يمكنك أن تأخذي ما تشائين من الوقت.» وصلا إلى البيت وانحنى من ورائها ليفتح الباب فلامس بصدره الصلب وجهها وقال: «سوف تجدين الكثير من المساحيق والمستحضرات في غرفة الحمام الخاصة بغرفة النوم حيث توجد ملابسك. أعتقد أن هناك شيئاً ما يناسبك. إن ساندي وميتش معتادان على حسن الضيافة وأنا حتى الآن لم أجد ما يعيب في ضيافتهما للآخرين.» استرخى نظره للحظة فوق الشعر الفضي الكثيف الذي تجمع في ضفائر رطبة حول عنقها الأبيض. شعرت إيلين

بحرارة حيث وقعت نظراته، وبدت فوق الوجه القاسي ملامح من الكآبة لم تستطع إيلين أبداً أن تدرك كنهها، لكنها بدأت تفهم تململ النمس فزعاً عندما تراقبه العينان المفترستان لقط كبير.

مرا عبر غرفة الجلوس وخففت إيلين من مشيتها عندما اقتربا من الدرج، لكنه توقف، أوما لها لتصعد الدرجات قبله: «السيدات أولاً.» لقد كان أصعب شيء تقوم به في حياتها هو أن تمشي أمامه. إن شعور الإلفة الذي سيطر عليها في تلك اللحظة جعل تنفسها يبدو متقطعاً وجعل ركبتيها تصطكان، وتساءلت عما يمكن أن يحدث لو لمسها؟ لكنها قالت في نفسها مشجعة: توقفي عن ذلك يا إيلين وركزي اهتمامك على الوصول إلى تلك الغرفة.

«سوف أكون في الطابق السفلي عندما تصبحين جاهزة. هل تفضلين شرائح اللحم والسلطة؟» كان صوته رقيقاً وطبيعياً لكن في الأعماق شيء ينم عن السخرية، ويخبرها بأنه مثل قطة، تلعب مجدداً قبل الانقضاض على الفريسة.

«شكراً لك.» أومأت برأسها من دون أن تستدير ثم خطت بسرعة إلى غرفتها وصفقت الباب خلفها بقوة وأسندت ظهرها إليه وهي تلهث كأنها كانت تركض في سباق فيما الدماء تدق بقوة في أذنيها. إنها مجنونة لحضورها إلى هنا. وكأن كل مرامها أن تبحث عن المتاعب.

أخذت بالاسترخاء عندما لسعت المياه الحارة جسدها، وزالت عنه بقايا الرمل والملح. انسابت المياه دافئة فوق جسدها المتشنج. فأخذت تترنح تحت الماء لدقائق حتى بدأت أعصابها المتوترة بالاسترخاء ثم استعادت توازنها. سوف

يكون كل شيء على ما يرام. سوف تتناول طعامها وتسأله أن يعود بها إلى المنزل. بكل هذه البساطة.

إن الشامبو المعطر الذي وجدته في خزانة غرفة الحمام كان مخصصاً للشعر الأشقر وقد أضاف نعومة جذابة إلى شعرها وعندما وجدت مستحضراً للبشرة مفعماً بذات العطر الثمين راحت تدلك بشرتها منه وهي تشعر بالراحة تحل مكان الآلام التي شعرت بها من قبل.

بعدما ارتدت ملابسها، وانتهت من تجفيف شعرها، وشدته إلى الخلف مرفوعاً إلى أعلى من دون أن تترك أية خصلة ناعمة منسدلة منه، وثبتته بملقطين كبيرين. يجب ألا تترك أي شيء يثير الاغراء هذه الليلة، هذا ما فكرت به وهي تقاوم رغبتها في وضع بعض مساحيق التجميل على الوجه الشاحب الذي كان ينظر إليها في المرآة البيضاوية الشكل.

تبعت صوت صفيره المرح فيما أخذت طريقها إلى الطابق السفلي لتجده في المطبخ يمزج السلطة بمهارة إلى جانبه زجاجة من المرطبات مع كأسين مليئين أمامه: «في الوقت المناسب.» اشعرتها الابتسامة التي وجهها إليها بالتوتر: دفؤها كان يوحي بالإلفة التي لا وجود لها بينهما: «اجلسي وراقبيني وأنا أعمل.»

«هل أستطيع المساعدة؟»

«لا.» قدم لها كأساً من المرطب وهو يتكلم ثم تفقد شرائح اللحم الحارة، المثيرة للشهية التي كانت تُشوى فوق نار خفيفة، ثم رفع حاجبيه بشكل ساخر وهو ينظر إلى كأسها الذي لم تمسه: «ألست عطشى؟» ولمعت عيناه بنقد لاذع وسخرية عندما جال بنظره فوق وجهها الخالي من أي أثر

للمساحيق وعلى شعرها المصفف ببساطة، ابتسمت برقة وهي تحاول أن تبقى هادئة.

«يجب أن أتناول الطعام أولاً.» جلست بحيوية على الكرسي العالي الذي أشار إليه ورشفت قليلاً من المرطب المبرد. إنه لذيذ، يجب أن يكون كذلك، لأنه هو الذي اختاره.

«أولاً؟» كانت نظراته مزعجة وهو يحدق بخديها الموردين.

قالت بسرعة: «أنتَ تعلم ما أعني بـ أولاً، أي قبل أن أدخل أي مشروب إلى معدتي الفارغة.»

«ألا تسترخين أبداً؟» نظرت إليه للحظة، مضطربة للجدية التي حلت مكان الإستفزاز. وتابع كلامه: «أم أنك تعرضين عدائيتك هذه أمامي فقط؟ لقد مرت أوقات كنتِ تذكرينني بقطة فارسية برية صغيرة، يكسوها وبر فضي ناعم ولها مخالب حادة جاهزة لتستعملها عند أدنى حركة تثير غضبها. أنت تثورين بسرعة يا إيلين.»

«هل أنا حقاً؟» لم تكن غاضبة، بل كانت تتكلم بصوت هادىء يعبر عن رباطة جأشها: «حسناً، لا بد أنك أنتَ السبب، أنا في طبيعتي هادئة.»

كان صوته العميق غريباً وهو يقول: «إننا دائماً نصمم على أن نصف بعضنا بعضاً بوضوح، أليس كذلك؟ لِمَ تعتقدين هذا؟ صدقي أو لا تصدقي لقد عنيت ما قلته في تلك الليلة الأولى هنا. لقد أردت فعلاً أن نعمل معاً بشكل سلمي وأن ننسى الماضي، ولكن نوعاً ما... لا أعلم. أنتِ دائماً تحاولين استفزازي.»

«هل أنا حقاً؟»

وافق ساخراً: «نعم أنت تفعلين ذلك، الليلة مثلاً عندما نزلت إلى

الطابق السفلي فزعة حتى الموت وشعرك معقوص إلى الخلف بشدة حتى أنني متأكد من أن فروة رأسك تصرخ طلباً للرأفة. أنا آسف يا إيلين، فأنت لا يمكنك أن تخفي جمالك بتلك الطريقة.»

«أنا لم...»

قاطع اعترافها بانحناءة منه عبر الطاولة، وفي الحركة التالية تحرر شعرها من رباطه وانسدل في حركة دائرية من اللون الفضي اللامع.

«آه!» رفعت إحدى يديها إلى رأسها مندهشة وابتسم بمرح، وبدا فجأة وكأنه أصغر بعشر سنوات عندما رمى الملقطين على الطاولة بشكل مفاجىء.

«لا يوجد أي مكان للاختباء، وأنا أفضل شعرك منسدلاً.»

«اختباء؟» حاولت أن تبقي صوتها ثابتاً ولكنها فشلت: «أنا لا أعرف ما تعني.»

قال ساخراً وهو يجول بنظره بامعان فوق وجنتيها الملتهبتين: «سامحيني، اعتقدت أن تسريحة الشعر مثل ناظرة المدرسة والمظهر البسيط كانا موجهين لاخماد ميولي.»

«لا أعرف عمّا تتكلم.» كذبت، وجرعت كأسها وهي تشعر بالغيظ. انحنى بصمت وملأ كأسها ثانية دون أن يبعد نظره عن وجهها.

«إنك غامضة، أيتها اليمامة الصغيرة، ولكنني مصمم على اكتشاف سر هذا الغموض.» لم تكن تقوى على الإجابة لأن صوتها كان سجيناً في حنجرتها؛ وتابع كلامه: «هناك أشياء كثيرة حولك، لا يمكن أن تُجمع وكان الحساب هو مادتي القوية في المدرسة. لن أسمح أن أجعل هذه المشكلة بشكل خاص تنال مني.»

www.rewity.com

«لا يوجد أية مشكلة.» قالت بوهن ورماها بنظرة ثاقبة، بينما كان يسند ظهره إلى كرسيه ثم راح يحرك نظره فوق شعرها وبشرتها ببطء وقال بشكل متعمد: «آه، نعم هناك مشكلة، أكبر بكثير من أن يكون بمقدورك أن تتكهني بشيء عنها في هذا الوقت. لا أعرف حتى الآن كيف أعالجها، ولكنني أعمل على ذلك.»

نظر إليها بتمعن للحظة طويلة، ثم شعرت بالراحة عندما استدار ليتفقد شرائح اللحم مرة ثانية. إن هذا سيكون أسوأ بكثير مما توقعت؛ وعلى ما يبدو فهو يراها قادرة على كل أنواع الخطط والأهداف الخبيثة. لِمَ لا يدعها وشأنها؟ إنها تعمل له، ألا تقوم بكل ما يطلب منها؟ ما هو السبب الذي يقوده ليحطمها تماماً؟ وأدركت بشكل حدسي مفاجيء أنه قد قرر، أن لا يرضى إلا عندما يراها تتكسر وتتحطم أمام قدميه، وفي اللحظة نفسها، جعلها قلبها تواجه الحقيقة التي كانت تتجنبها لعدة أيام، وهي أنها تحبه.

أنّت بصمت وأخذت جرعة كبيرة من كأسها. لا تستطيع أن توهم نفسها من جديد بأن ما تشعر به هو انجذاب حسي، لقد أحبته. دفعت شعرها عن وجهها بيد مرتجفة، الآن عليها أن تضاعف من حذرها، لأنه لو لاحظ أية اشارة بسيطة لما تشعر به نحوه عندئذٍ سيكون بين يديه السلاح الذي يبحث عنه ليدمرها بكل ما للكلمة من معنى، ولن يتردد عن القيام بذلك ما دام يحمل رغبة كورسيكية وحشية للانتقام.

الفصل الخامس

تناولت إيلين الطعام من دون شهية ولكنه هدأ من حدة توتر أعصابها وأبعد عن رأسها التشويش الذي أحدثه الشراب، وبرغم ذلك كانت تعاني من وعيها لوجود الشكل الكبير والقاتم، الجالس في مواجهتها عبر الطاولة. لقد فضلت أن تأكل في المطبخ الفسيح، معتقدة أن الجو لن يكون حميماً كما في بقية الغرف، ولكن بعد أن انتهيا من تناول الطعام وقف وأمسك بذراعها ليساعدها على الوقوف.

«اذهبي واجلسي في غرفة الجلوس. لقد أشعلت النار وسوف نرتشف القهوة في جو أكثر راحة. لا بأس بهذه الكراسي العالية لوقت قصير ولكنك بحاجة إلى جلد الكركدن ليحتمل الجلوس عليها لأكثر من عدة دقائق.»

لم يكن هناك شيء لتقول ولذلك وقفت مترددة أمام الباب بينما أخذ كورد يحضر القهوة بحركات كالعادة، واثقة تنم عن رباطة جأشه. عضت إيلين على شفتيها وهي تراقبه، فقد كان رجلاً ضخماً يملك الرشاقة التي تقوي الانطباع العام لحيوان بري شرس.

«تعالي، أنتِ، حتماً، لست في حاجة إلى أن أرشدك إلى الطريق؟» أخذ بيدها مرة ثانية بينما تركت إيلين نظرها منخفضاً إلى الأرض. كانت نبرة صوته تنم عن الاستفزاز بطريقة مرحة، ولكنها لم تستطيع أن تقوم بمثل تصرفاته فيما هو يقودها إلى غرفة الجلوس. اتجهت بنظرها إلى المقعد

www.rewity.com

المزدوج الموجود في مواجهة قطع الحطب المشتعلة. ولم تع وجود هذا المقعد باكراً. اختلست نظرة إلى وجهه فلمحت السخرية الخبيثة تطفح منه. لقد ادرك بما كانت تفكر، تماماً.

«إيلين ألن تجلسي؟» سألها برقة، ولمّا لم تجب ضحك وأردف: «أتعلمين، انك تجعلينني أشعر وكأنني، نوعاً ما، مثل انسان الكهوف في العصور الحجرية. وكأنك تتوقعين أن أنقض عليك في أي لحظة وأمسك بك بالقوة. والآن، لِمَ تعتقدين ذلك؟»

«لست أدري، أنا لست مسؤولة عن نزواتك الحسية.» أجابت بسرعة بينما كان قلبها يدق بقوة بين أضلاعها.

«أنت تعلمين انك كذلك.» رفع يده ولمس خدها الملتهب برقة ملاطفاً. وتحولت أنامله لترسم على شفتيها، لكنها أجبرت نفسها على أن تقف ثابتة، مع أن كل عصب وكل شريان في جسدها المرتجف كان يصرخ طلباً للراحة: «إنك واحدة من أجمل ما رأيت من النساء.»

«هل أنا كذلك؟» اصبحت بعيدة جداً عن أي تفكير منطقي. أمسك بها الذعر بقبضة مرعبة.

«أنت تعلمين أنك كذلك. حتى من دون استعمال مساحيق التجميل وبشعرك معقوصاً إلى الخلف على تلك الصورة السخيفة، تبدين رائعة، ولكن عندما يكون منسدلاً كما هو الآن...» رفع خصلة حريرية كانت قد التفت على نفسها بشكل حلقة واسعة: «أنت حساسة.» ضمها أكثر إليه وتابع: «هل تستسلمين يا ايلين؟ أم أن كل هذا لعبة؟»

«لا أعلم ما تعني.» قالت وهي تتلعثم عندما ملأت أنفاسها الرائحة الزكية الدافئة التي تفوح منه، إنها مزيج من الشمس والبحر والعطر الثمين الذي يستعمله بعد الحلاقة. وتحركت

يداه برقة على ظهرها في حركات ملاطفة لم تكن تهددها ولكنها شعرت أن قدميها لا تقويان على حملها.

«اعتقدت انك تحضر القهوة؟» حاولت أن تجعل كلامها يبدو طبيعياً ومعبراً عن رباطة جأشها ولكنها تفوهت بها وهي ترتجف، وكأنها تتوسل.

رماها بنظرة عميقة متفحصة ثم أطلق سراحها وقال بمرح: «السيدة تريد قهوة، سوف تحصل السيدة على القهوة. فقط لا تختفي قبل عودتي.» بعد أن رحل غاصت في المقعد وهي تشعر بالفرح للدفء المنبعث من الحطب المشتعل. يجب ألا تسمح له بالتأثير عليها كما الآن... إنه جنون، يجب عليها أن تسيطر على حبها له قبل أن يسيطر هذا الحب عليها.

عاد خلال دقائق وهو يحمل صينية كبيرة. «هل تضيفين سكراً وكريماً إلى القهوة؟» هزت إيلين رأسها موافقة فابتسم وتابع كلامه: «هذا ما ظننته.» ناولها بعناية كوباً من سائل يتصاعد البخار منه ثم سكب لنفسه كوباً من القهوة السوداء. وقال محدثاً وهو يضع الصينية في جهة واحدة: «يمكنك الحصول على كوب من القهوة الممتازة في كورسيكا، إنها تقدم في كؤوس رفيعة وهي كثيفة كالدبس ولكن لها طعم لا يضاهى.»

انتظرت وهي تحبس أنفاسها أن يجلس بجانبها ولكن بدلاً من ذلك، جلس فوق السجادة بجانب قدميها، رأسه الأسود محاذٍ لساقيها. فكان لذلك تأثير مثل صدمة كهربائية عليها. جلسا بهدوء، وصمتا، حيث أخذت النيران تتأرجح في رقصة خيالية ملقية ظلالاً متحركة على الغرفة المظلمة التي لم يكن ينيرها إلا اللهب الأحمر الراقص.

أدركت أنه قد أعد هذا الجو الدافىء الحميم ولكن ذلك لم

يطرد القلق المروع الذي أمسكها بقبضته. لما فرغت من ارتشاف قهوتها جهزت نفسها بإرادة فولاذية كي تطلب منه العودة بها إلى منزلها.

«لديك أساليبك الخاصة يا آنسة مارسيل.» جعلها صوته تجفل وأملت أن لا يكون قد لاحظ ذلك. «ويمكنها أن تزحف فوق أي رجل في ساعة غفلة.»

نظرت إلى مؤخرة رأسه الأسود وحاولت جاهدة أن تجعل صوتها رقيقاً وهادئاً: «لا أعتقد أن شيئاً أو شخصاً ما يستطيع أن يأخذك على حين غرة.»

استدار عندما تكلمت إيلين وكان في عينيه الرماديتين القاسيتين وميض من المرح وتعبير يعكس الندم على شفتيه القاسيتين. «أنت ترينني وكأنني السوبرمان.» ضحك برقة وتابع: «حسناً، حسناً.»

اعترضت إيلين وقد أدهشتها سخريته. «لا ليس السوبرمان، فقط...» ولكنها توقفت فجأة. فقد كان الصواب أن لا تتابع.

«فقط؟» تلاشت ابتسامته ليحل محلها الاستفسار الهادىء.

«لتبين ذلك.»

«كورد، أرجوك، لقد حل الظلام. قدمت لي وجبة طعام رائعة ولكني حقاً يجب أن أعود الآن.» تقلصت ملامح وجهه وظهر عليه ذلك التعبير الذي يدل على تصميم، عرفته إيلين جيداً. وبعد أن عملت معه في الأسابيع القليلة الماضية أدركت أن المراوغة لا تنفع.

قال بصوت ينم عن السخرية: «لقد احسنت الكلام وأنا افصح عن رأيي بك. إنه دورك الآن.»

«أفضل أن أترك هذا الأمر، فبعض الأمور من الأفضل أن لا تقال.» لقد كرهت نفسها لمحاولتها تهدئته ولكنها أدركت بشعورها الفطري أن الحال سيكون أسوأ لو دخلت في مناورة كلامية معه.

«حقاً؟» تحرك فجأة حتى أصبح راكعاً أمامها، حيث اضحى وجهه محاذياً لوجهها وكانت عيناه الضيقتان تلمعان بوهن: «إذاً لنتجنب الكلمات ونجرب الطريقة القديمة جداً في تبادل الآراء. فتلك الطريقة لا تفشل أبداً.»

قبل أن تتمكن من الإجابة كان قد سحبها إلى السجادة بجانبه، وبحركة سريعة واحدة كان جسده القاسي يُضعف قوتها. حتى انها لم تستطع المقاومة. لأن وزنه الثقيل وقوته جعلاها ترقد بلا حول ولا قوة. كان وجهه القاسي يبعد ما يقارب مسافة صغيرة عن وجهها، وبقي ثابتاً فيما كانت عيناه معلقتين في عينيها وكان شريان صغير ينبض على خده الأسمر.

«هل أنتِ مستعدة للكلام؟» أي رد كانت سوف تجيب به كان ليضيع عندما عانقها. لقد توقعت منه أن يكون وحشياً، ولكن تلك الرقة غير المتوقعة افقدتها حواسها. ارتفعت ذراعاها لا شعورياً وطوقت عنقه في استسلام صامت. وشعرت بمزيج من الخوف والانتظار. إنه يريدها بقوة. على الأقل ذلك كان شيئاً أكيداً.

«أنا أريدك يا إيلين.» قال وكأنه يجيب على أفكارها: «أنا لم أرد أحداً بتلك القوة منذ زمن بعيد... إبقي معي هنا الليلة. دعيني أقيم علاقة معك.»

لقد كانت تلك الجملة «أقيم علاقة معك.» هي التي انتزعتها

www.rewity.com

عن حافة الاستسلام التام، فهو لم يقل: «أحبك» لم يكن يدعي انها تعني له شيئاً أكثر من قضاء ليلة معها... لم يقضها.

وثبت مثل أحد آلهة الحقول والقطعان عند الرومان مذعورة. فأخذته الدهشة. «إيلين؟» وجلس على قدميه عندما قاومت لتقف على قدميها مذعورة مصدومة للقوة المخيفة التي تسيطر على هذا الرجل، يجب عليها أن توقف هذا، إنه خطأ، خطأ فظيع. «إيلين ماذا في الأمر؟» وحاول أن يلمسها لكنها ابتعدت وكأنه سوف يحرقها.

«لا تلمسني!» لقد بدا الخوف والذعر في صوتها أصبحت عيناها كبيرتين في وجهها الشاحب: «فقط ابق بعيداً.»

تبدد كل الاهتمام ليحل محله الاحتقار وقال بصوت كالجليد: «أرجوك، من دون تصرفات درامية. ما كنت أريد أن أمسك بك ضد ارادتك، أليس كذلك؟» وحدقت به وهي تشعر بالاهانة والاعياء، ولحظتئذٍ أخذ الغضب يغلي في عروقها المرتجفة، ليثبت قدميها المرتجفتين ويبعث القوة في صوتها: «أنت وغد حقاً، ألست وغداً من الصنف الأول؟» انفجرت غاضبة وتلاشى اللون عن وجهها.

«تمهلي الآن فحسب للحظة ملعونة.» وقف أمامها في حركة واحدة بحجمه الضخم حيث حول الغضب وجهه القاتم إلى وجه شيطان: «الآن أنا لا أعلم ما هي لعبتكِ ولكن لا تحاولي أن تخبريني أنك لم تستمتعي بتلك اللحظات القصيرة، فلا فائدة من ذلك، فقد كنت بالقرب منك وكل شيء كان يدل على انسجام تام بيننا.»

«أنت تشعرني بالاشمئزاز!» رمت بالكلمات في وجهه تعبيراً عن استهجانها فيما هي تحاول سحق احتقارها لنفسها

وجعلتها الصدمة تبحث عن طريق لتؤلمه كما كان يؤلمها. «الرجال أمثالك يجعلونني أشعر بالمرض. أنت تريد شيئاً واحداً، شيئاً واحداً فقط.»

«وأنا لا أشك للحظة واحدة في أنك خبيرة في الرجال من كل الأشكال والأحجام، انك تلعبين لعبتك مهما كلفك الأمر، أليس كذلك؟ أنتِ دائماً تجعلينني أعتقد... آه، ما الفائدة؟» قال ذلك بألم ومرارة وكان شاحب اللون من حدة غضبه عندما حدق بها.

«لقد كان كل ذلك جزءاً من عقابي، أليس كذلك؟» أشارت بيدها باتجاه السجادة وتابعت: «كيف يمكنك أن تقوم بشيء كهذا في برودة أعصاب؟»

«لا أستطيع تصديق ذلك.» كان في صوته مزيج من الشك المرعب والغضب الأسود، جعل كل ما يقال بعد ذلك أكثر من همس: «لقد سمعت عن علاقاتي توصف بعبارات متنوعة، ولكن أبداً لم توصف بأنها قاب ماذا تعتقدين انني بالضبط؟ سادي منحرف؟» خطت إلى الوراء عندما تحرك باتجاهها. «وعلى أية حال من تعتقدين نفسك؟ كنت آخذ ما هو معروض، ما هو معروض منذ أسابيع. لا تلومينني إذا دعوتك لتنفيذ تهديدي. لقد أخبرتك مسبقاً بأنني كبير بما يكفي للعب الألعاب. وفري هذه إلى الأغبياء الصغار أمثال سايمون ولكن لا تجربي هذه الألاعيب معي.»

«هذا ليس صحيحاً وأنت تعلم ذلك!» صرخت في وجهه ثم أضافت: «لا شيء مما تقول صحيح. أنت تقلب الأمور كلها من جديد.»

«من جديد؟» كان صوته ما يزال منخفضاً وبدا هادئاً

www.rewity.com

مسيطراً على نفسه بطريقة غريبة أوقدت المزيد من غضبها. ضاقت عيناه وهو ينظر إليها بطريقة مهينة. «ها قد وصلت إلى حيث تخبريني أنك لن تحلمي في أخذ فلس واحد ليس من حقك، أليس كذلك؟ انك فقط فتاة مسكينة عاملة سيء فهمها وأنك طاهرة كالثلج! حسناً، وفري ذلك إلى المساكين الآخرين الذين تتعاملين معهم. أنت غاضبة مني لأنني أستطيع قراءة أفكارك مثل كتاب مفتوح، لا يعجبني ما كتب فوق صفحاته. لا أدري كم من الرجال عرفت ولا يهمني ذلك، ولكنني سوف أعدك بشيء واحد: لن ألمسك حتى بعصا مكنسة.»

مط شفتيه بعيداً عن أسنانه ليحدث صوتاً ساخراً لاذعاً وحدقت به من دون أن تتفوه بكلمة، وتبخر غضبها وهي تواجه هذا الحقد. تساءلت عما قالت أو فعلت حتى تثير مثل هذه الكراهية؟

خطت إلى الوراء وهي تجهش بصوت مخنوق دون أن تبعد نظرها عن وجهه وبما انه بقي واقفاً وكأنه منحوت من حجر، استدارت وركضت نحو النوافذ وفتحتها ورمت بنفسها إلى الحديقة فيما أخذت الدموع تنهمر فوق وجهها الشاحب. لقد كان وحشاً، وحشاً ضارياً!

كانت تتعثر وهي تركض عبر الممر إلى الشاطىء المهجور. ظلت تجري حتى غابت الأنوار الآتية من المنزل والصوت الوحيد الذي كان يسمع هو صوت وقع أقدامها وصوت تلاطم الأمواج الخفيف وهي تقوم برحلتها الايقاعية على الرمل الأبيض.

كانت السماء السوداء مرصعة بمئات النجوم المتلألئة مثل حبات ماس صغيرة فوق مخمل أسود. ولكنها كانت صماء

وعمياء عن ذلك الجمال الطبيعي من حولها، وأفكارها تهتز فيما كلماته تطن بوضوح تام، تكراراً في رأسها المتعب. بدا وكأنه يكن لها كراهية لا تمت بصلة إلى خسارته المالية. انهارت فوق الرمال الدافئة الناعمة عندما لم تعد تقوى قدماها على حملها. آلمتها أفكارها وتساءلت إلى أين يمكن أن تذهب؟ لا يوجد أي مكان لتلجأ إليه، وحتى لو وجدت وسيلة ما للهرب، فهي لا تستطيع أن تختبىء من نفسها ومن واقع حبها له. أنّت وانطوت على نفسها مثل كرة صغيرة علها تجد الراحة التي لم تكن موجودة.

«آه، يا أماه...» لأول مرة منذ سنوات شعرت بخسارة أمها. تماماً كما شعرت في تلك اللحظات الرهيبة الأولى عندما علمت بموت والديها. لقد شعرت أنها في مكتب المدير مجدداً شاحبة مرتجفة وتيم بجانبها، وأصبح الألم فظيعاً وحياً تماماً كما في الماضي.

ارتعش جسدها من المعاناة وخبطت على الرمل الناعم بكلتا قبضتيها، وغطت وجهها الرطب عندئذٍ شلّ تفكيرها من الارهاق.

بدأت تسترخي شيئاً فشيئاً عندما خدّر هدير الأمواج الثابت الرقيق روحها المجروحة ورفعها إلى كوكب آخر حيث لا شيء حقيقياً إلا المادة الناعمة الباردة تحت وجهها ولمسات النسيم الرقيقة تداعب شعرها في ملاطفة رقيقة. وآخر شيء تذكرته قبل أن تغفو أنه كان يتوجب عليها أن تحضر حقيبتها قبل أن تغادر، مما يعني أنه عليها رؤيته... وذلك كان شيئاً لا تريد القيام به مرة ثانية، أبداً.

• • •

www.rewity.com

«أين كنت بحق الجحيم؟ لقد بحثت عنك الشاطىء بأكمله! ألم تخبرك أمك أبداً انه لا يتوجب عليك أن تبقي بمفردك في الظلام؟» انتزعها ذلك الصوت الساخر الحاد فجأة من نوم عميق خال من الأحلام ولكن للحظة لم تكن تقوى على أن ترفع رأسها أو أن تجيب. وفي اللحظة التالية جثا كورد على الرمال بجانبها وقد فر اللون من وجهه. «إيلين؟ كلميني. هل أنتِ بخير؟ ماذا حصل؟»

«رأسي يؤلمني.» حاولت أن تجلس ووضع ذراعيه حولها ورفعها إلى صدره الصلب.

قال بحدة: «لقد اصبتني بالهلع، هل تدركين أنك غادرت المنزل منذ ساعتين؟ هل آذيت نفسك؟»

«لا، أعتقد أنني قد غفوت.» ورفعت نظرها إلى وجهه القلق. «أنا آسفة، يا كورد، لم أكن أعني أن...»

«أنت أبداً لا تعنين!» قاطع صوتها المتلعثم فجأة وتمتم بشتيمة فيما أصابعه تمسح الدموع الجافة على وجهها. «تبدين وكأنك حورية ضائعة قذفت بها الأمواج إلى الشاطىء.» كان صوته خالياً من التعبير وحاولت أن تتبين تعابير وجهه عندما مرت سحابة وحجبت نور القمر الساطع للحظة. وقف ببطء. «تعالي، فأنت ترتجفين حتى الموت.»

بعدما ساعدها على النهوض ترنحت قليلاً على قدميها الواهنتين والمجلدتين، وقبل أن تدرك ما هو بصدده رفعها بذراعيه بخفة وكأنها طفلة صغيرة. «لا، ارجوك، لا تفعل.» كان صوتها ضعيفاً وكادت تذرف الدموع من جديد عندما رماها بنظرة غاضبة.

«إخرسي يا إيلين، إخرسي.» بدا في أوج غضبه فمالت إلى

صدره العريض بينما أخذ يشق طريقه باتجاه المنزل. لقد كانت تعبة جداً لا تقوى على الجدال، فشعرت بالراحة لكونها قريبة منه وكانت دقات قلبه على خدها الرطب محسوسة، تعيد إليها الطمأنينة.

لم تكن مدركة للمسافة التي قطعتها بعيداً عن المنزل، وفي رحلة العودة إلى المنزل بمحاذاة الشاطىء الرملي تملكها شعور بالفزع لإدراكها بأن المسافة تبلغ على الأقل نصف ميل: «أستطيع أن أمشي الآن.» أصبح المنزل على بعد مئات الياردات وبدأت تشعر بالارتباك لما تسببت به.

قال من دون أن يخفف سيره: «لن انزلك حتى نصل إلى داخل المنزل. إذا هربت مرة ثانية لن أتحمل مسؤولية تصرفاتي عندما أجدك في المرة التالية.» واختلس نظرة إلى عينيها الواسعتين الدامعتين وإلى شعرها المنثور فوق ذارعه مثل حرير مغزول. شتم برقة في لهجته المحلية، وأردف: «ومن أجل التذمر، توقفي عن النظر إليّ بتلك الطريقة، فهذا كل ما أستطيع تحمله يا إيلين وأعتقد أن صبري قد بلغ ذروته منذ ساعة.»

لم تقل شيئاً، بل خفضت رأسها وأغمضت عينيها ومالت برأسها إلى صدره الدافىء. شعرت بعضلاته القوية تقسو ثم تنهد بعمق وبدا النعاس في عينيه الرماديتين. «بنظرة ثانية إلى الأمر، قد تكونين في أمان أكثر وأنت تمشين.» كان صوته مليئاً بالسخرية اللاذعة من نفسه وهو ينزلها عند أسفل المنحدر المؤدي إلى المنزل. «لا أعتقد أن سيطرتي على نفسي هي مئة بالمئة في هذه اللحظات.»

«ماذا؟» بلعت ريقها بتوتر عندما تكلمت وتساءلت. ما الخطأ الذي اقترفته الآن؟ وعندما وقفت نظر إليها بإمعان نحيلة تبدو

كطفلة شاردة فهز رأسه الأسمر في حركة تنم عن عدم التصديق. «لا يمكن أن تكوني حقيقية، حقاً لا يمكن أن تكوني، ألا تعلمين ماذا تفعلين بأي رجل؟ أنا فقط إنسان مهما اعتقدت خلاف ذلك، وفي هذه اللحظات أتمنى أن أضمك فوق هذه الرمال حتى الصباح.» ونظر عابساً إلى عينيها الواسعتين. «الآن، قد لا يكون ذلك ما تودين سماعه في ضوء هذه الظروف، ولكن هذه هي الحقيقة، فإذا... إذا كانت ردة فعلك كما أظن أنها ستكون، هلا تفضلت وبدأت بالسير؟»

فتحت فمها لتتكلم ونظرت إلى وجهه وهو يحدق إليها بصمت، أغلقت فمها وبدأت تسير على قدمين ما تكادان تحملانها.

«اشربي هذا.» كانت تجلس في سريرها في غرفة نومها بعدما أخذت حماماً حاراً وشعرت بالدفء من رأسها حتى أخمص قدميها، وارتدت ثوباً خفيفاً وجدته ملقياً على الوسادة بعدما خرجت من الحمام. نظرت بدهشة إلى وجه كورد القاسي. وهو يقرب كوب الحليب الدافىء الممزوج بقليل من الشراب من يدها.

«لا اريده. لا أحب الشراب.»

أغمض عينيه بسرعة ثم شتم بهدوء. «قد تختبرين مدى صبر قديس يا يمامتي الصغيرة، وكما نعرف نحن الاثنان أنا لست قديساً. أنا لا أطلب منك أن تشربيه، أنا آمرك. لقد كنت شبه مجمدة عندما وجدتك على ذلك الشاطىء في هذه الساعة من الليل. لا أريدك أن تصابي بالرشح أو أي شيء أسوأ من ذلك. والآن أرجوك لأجلنا معاً، افعلي ما يُطلب منك ولو لمرة واحدة واشربي هذا الشراب.»

«حسناً، أنا آسفة، يا كورد.» شربت الكوب وهو يراقبها.

تأوه وهو ينظر إليها بوجنتيها المتوردتين وبشعرها المنسدل فوق كتفيها في خصلات شقراء ملتفة. وبعينيها العسليتين المليئتين بالاعتذار.

«ايتها الغبية الملعونة...» وطبع قبلة صغيرة فوق شفتيها، ولكن عندما لاحظ اضطرابها قال: «أعتقد انه من الأفضل أن أخرج من الغرفة فوراً.»

غادر الغرفة قبل أن تتمكن من الاجابة، وأغلق الباب بخبطة حازمة كشفت عن عذابه الداخلي. فقط لو كان ما يجذبه أكثر من الرغبة الحسية. فقط لو... وسدت الطريق الذي كانت أفكارها تسلكه. فليس بالأمر الحسن التفكير بتلك الطريقة. لأن فكرته عنها لا يمكن أن تكون أدنى مما بيّنه بوضوح هذه الليلة، وذلك أبعد ما يكون عن الحب. سوف تتخطى هذه المحنة، فكثيرون غيرها، تخطوا ما هو أسوأ.»

غاصت تحت الغطاء وتنهدت تنهيدة صغيرة متوقعة أن تستلقي مستيقظة لساعات وهي تستعيد الفشل الذريع لتلك الأمسية، ولكن عندما فتحت عينها مرة ثانية كان الصباح الباكر مشرقاً وضوء الشمس الذهبي اللامع يشع فوق وجهها الذي يغلبه النعاس.

استدارت بكسل وللحظة شعرت بالضياع، لا تعرف أين هي، ما أن استعادت ذاكرتها في فيضان حار ومذل، جلست فجأة وهي تتأوه من الخوف. ليكن كل ذلك حلماً، حلماً مربكاً مرعباً! ولكن غرفة النوم الفخمة جعلتها تدرك أن الأمر ليس حلماً. كيف أمكنها أن تخدع نفسها بتلك الطريقة. كان بامكانها أن تنتزع نفسها من هذا الوضع من دون أي متاعب، إنه معتاد على

www.rewity.com

النساء الناضجات الضليعات اللواتي هن على استعداد لأن يحولهن الرفض إلى رضى. وكانت متأكدة من أنه ليس عليه أن يتأقلم مع ذلك الاحتمال في الغالب، إذا كانت كل الشائعات من حوله صحيحة. تأوهت برقة، لقد تصرفت مثل فتاة مدرسة في موعدها الأول. بأي شيء يفكر بها هذا الصباح؟ «لِمَ أحضرتني إلى هنا في الليلة السابقة يا كورد لاشوني؟» همست يائسة في الغرفة الصامتة. «إذا أردت أن تثبت أنني لست نظيرة لك، فأنت حتماً قد حققت نجاحاً أكبر من كل توقعاتك.»

اختلست نظرة إلى ساعتها ووجدت أن الوجه الذهبي الصغير يشير إلى السادسة. فنهضت من سريرها وخطت إلى الباب الكبير الذي يؤدي إلى شرفة طويلة ضيقة تحاذي الغرفة. وسحبت الستائر المخملية فرأت طاولة وكراسي تستدفىء في الشمس، وعندما خطت إلى الأرض المكسوة بالقرميد أحست بحرارة السطح اللامع تحت قدميها العاريتين.

سوف يكون يوماً آخر مشرقاً. فقد تألقت السماء الصافية بتموجات اللون الأزرق، وهب الهواء نقياً نظيفاً فوق وجهها. وفي أسفل الحديقة النائمة ظهر الرمل مثل سجادة ذهبية احتضنتها مياه البحر بشوق. شعرت للحظة بالرغبة في السباحة ولكنها تذكرت العينين الرماديتين القاسيتين، وأبعدت الفكرة باشمئزاز. على أي حال هذا يوم عمل ومن الأفضل أن تستعد.

بعد حمام دافىء ارتدت ملابسها بسرعة ونزلت بهدوء إلى الطابق السفلي. اتجهت إلى المطبخ. لأن كوباً من القهوة قد

يزودها بالشجاعة التي تحتاجها للنظر إلى ذلك الوجه الداكن الساخر. بإمكانها أن تتصور أنه لن يتركها تنسى الليلة الفائتة بسرعة.

وجدت المطبخ الحديث الكبير مهجوراً، أعدت القهوة وملأت كوباً لها ثم جلست على مقعد كبير بالقرب من النافذة، وأخذت تستمتع بدفء نور الشمس وبروعة المنظر الهادىء، ورائحة الصيف تعبر إلى الداخل من النافذة المفتوحة.

«إنها طريقة حسنة لبدء يوم جديد.» أجفلت عندما سمعت الصوت المألوف العميق في أذنيها مباشرة وشعرت بالشكر لأنها كانت قد فرغت من ارتشاف قهوتها. لقد كان كورد واقفاً خلفها يحدق في شعرها الأشقر بنظرات مدققة متفحصة.

«صباح الخير.» حاولت أن تبقي صوتها ثابتاً ولكن زحفت رجفة ضعيفة إلى نبرة صوتها وتدفق لون حار إلى خديها. إنه يبدو... رائعاً. شعره الأسود الفاحم ما زال رطباً من الحمام وقد أبعد عن جبينه. كان يحمل سترته فوق ذراعه، وقميصه الأبيض الناصع مشرعاً عند العنق وربطة العنق معلقة حول عنقه جاهزة لربطها قبل أن يغادرا. كيف يكون الأمر لو تستيقظ بقربه كل صباح و...؟ وأجبرت عقلها على التفكير في قنوات أقل تأثيراً.

«هل تريدني أن أحضر طعام الفطور؟» ابتسم بقلق وهي تسأله ونظر إليها بإمعان بوجه كئيب قبل أن يجيب.

«سوف أحب ذلك.» الرجفة في صوته جعلت لون وجنتيها يزداد احمراراً. «سوف تجدين في الثلاجة قليلاً من كل شيء.»

تمنت أن يختفي خلف صحيفة أو أي شيء آخر وهي تحضر الطعام، لكنه جلس إلى طاولة المطبخ ومد قدميه الطويلتين في

www.rewity.com

كسل واسترخى على كرسيه ووضع يديه خلف رأسه وراح يراقب كل حركة من حركاتها.

سألت بانزعاج بعد عدة دقائق وفيما كانت تقلي البيضة الثانية: «هل يجب عليك أن تفعل ذلك؟»

«ماذا؟» نظر إليها مندهشاً.

«تراقبني كل الوقت. إن ذلك شيء مزعج.»

«آسف.» بدت ابتسامة رقيقة على فمه القاسي وتابع: «كل ما في الأمر أنني فكرت مراراً في الأسابيع القليلة الماضية، كيف سيبدو الأمر لو كنت هنا، تقومين بتحضير الفطور. لا ضرورة للقول إنني كنت أتوقع أن تنتهي الليلة الماضية بطريقة مختلفة.»

«لا أشك في ذلك.» تراجعت بطريقة جافة وهي مسرورة لأن الموضوع يناقش الآن بوضوح وصراحة «آسفة، لم يكن باستطاعتي التجاوب.»

«ليس بأقل من أسفي.» والمدهش أنه لم يكن في صوته ما ينم عن السخرية أو الاستهزاء وكانت نظراته رقيقة بشكل مدهش وهو ينظر إليها. «أنت الفتاة الأكثر لذة.»

«حسناً، إليك الفطور الأكثر لذة.»

«مفسدة للمتعة. أنت دائماً تحولين الموضوع عندما يصبح شيقاً.» ابتسم مجدداً عندما أخذ الطبق من يدها. وحوّلت اهتمامها إلى طبقها وكان وجهها حازماً، وتملكها شعور من الذعر كاد يقضي على شهيتها للطعام. فهذا الجو كان شيئاً حميماً وهي تحبه كثيراً. والأفضل أن يغادرا المنزل في أقرب فرصة.

أخيراً، غادرا المنزل عندما كانت الساعة قد تجاوزت

التاسعة، بعد أن تلقى كورد مكالمتين هاتفيتين دوليتين. الأولى من مكاتبه في أميركا والثانية من انكلترا. لقد كانت تعرف أنه لم يخطط لهذا التأخير ولكنها كانت تختبر ولأول مرة شعوراً من القلق لفكرة دخولها إلى المكتب متأخرة برفقة كورد. وخطر على بالها فجأة أن معظم الناس سوف يجمعون اثنين مع اثنين ليحصلوا على خمسة. اختلست نظرة إلى جانب وجهه عندما أخرج السيارة الطويلة من الممر، لكن وجهه القاسي كان خالياً من التعبير وهو يركز اهتمامه على الطريق أمامه.

«إذاً، لقد أحببت المنزل؟» قطع صوته العميق الحاد مجرى أفكارها واستدارت إليه في حيرة.

«عفواً؟»

سأل بصبر: «البيت، هل يعجبك؟»

«إنه جميل حتماً. لا أحد يمكنه انكار ذلك.»

«لدي فرصة لشرائه إذا رغبت بذلك، لقد تلقيت اتصالاً من ميتش منذ يومين ليقول إن ساندي لا ترحب بفكرة العودة مجدداً إلى هنا. ذكريات غير سعيدة وشيء من هذا. اعطاني حق الشفعة في الشراء قبل أن يعرض المنزل للبيع.»

«ماذا ستفعل؟» نظرت إليه بفضول. «هل تستطيع دفع ثمنه؟»

ابتسم بمرح. «أعتقد أنني أستطيع أن أجمع المال اللازم من هنا وهناك.» وأدركت بعدما تكلم أن سؤالها كان سخيفاً. وبما انها تعمل لديه فهي على علم ببعض موجوداته وادخاراته وباستطاعته أن يدفع ثمن البيت وربما ثمن عدة بيوت مثله.

«لو كانت لدي الفرصة لشراء بيت كهذا، لا أتردد.» ثم أضافت بحنان: «إنه بيت كالحلم.»

www.rewity.com

«آه، ولكنني لست أنتِ. لو أنك ترددت قليلاً قبل أن تورطي نفسك في بعض المواقف، لما كنت الآن في هذا الضباب، أليس كذلك؟ وأنا كنت سوف أملك خمسين ألف جنيه أكثر.» أرادت أن ترد على نبرته المتعالية ولكن بنتيجة الخبرة أدركت أنها لن تربح، ولذلك أرضت نفسها بتوجيه نظرة قاسية إليه ثم استدارت في مكانها، أدارت له ظهرها وراحت تنظر خارج النافذة.

لم تتمكن في الليلة السابقة من رؤية معالم الريف بسبب الظلام، ولكنها الآن اكتشفت سحره. مرا بعدة قرى صغيرة، وحتى أصغر قرية كانت تضم كنيسة متهدمة من القرون الوسطى تقع على ضفة النهر الهادر، حيث شجر الحور يسيج الطريق مثل جنود في استعراض. وعلى بعد مسافة استطاعت أن تلتقط نظرة إلى البيت الريفي الكبير القديم محاطاً بجدران عالية وبوابة حديدة كبيرة تلمع بشكل ساحر تحت شمس الخريف.

إن فرنسا بلد التناقضات. حيث توجد البيوت الريفية الضخمة إلى جانب بيوت المزارع المبنية من الحجر على مسافة غير بعيدة، حيث الخيول تجوب الحقول والنساء المشرقات الوجوه يجلبن الأبقار على حافة الطريق والفراخ تنتشر بمرح في الجوار. وكانت أغصان الأعشاب مرصعة بكثافة بأنواع متعددة من الأزهار البرية، وشعرت أنها حتماً قد عادت بالزمان إلى الوراء عندما رأت نبات الخس والملفوف ينمو بين الترمس والأعشاب في حديقة كوخ صغير رائع.

ها هو الريف الفرنسي في أوجه. وتاقت إيلين لأن تتوغل أكثر فيه بدلاً من مواجهة النظرات الفضولية والتعليقات الهامسة التي حتماً ستكون بانتظارها في المكتب.

بعد عشرين دقيقة وعندما دخلت السيارة إلى موقف كورد الخاص، استطاعت أن ترى بعض الوجوه الفضولية على النوافذ، وعضت على شفتها السفلى عندما فتح كورد لها باب السيارة.

«ربما كان من الحكمة أن أحضر متأخرة عنك.» نطقت إيلين بما يجول في خاطرها بصوت مسموع ولكنه كان يلتقط مجموعة ملفات من السيارة ولم يسمعها.

«هلا أخذت حقيبتي يا إيلين؟» اتجه إلى مقدمة السيارة مجدداً وأشار إلى الحقيبة الجلدية السوداء الملقاة على المقعد الخلفي. «إنها ليست ثقيلة الوزن.»

أحضرت الحقيبة من مكانها ثم أوصدت باب السيارة بالمفتاح الذي تركه في الباب. رائع، حقاً رائع! يجب عليها أن تدخل وهي تحمل حقيبته أيضاً. وكأنها وضعت علامة فوق جبينها تقول. «لقد قضيت الليلة مع هذا الرجل.» لا يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحاً.

«تعالي، حسبك هذا التلكؤ.» بدا منزعجاً. الرجل الهادىء المسترخي الذي عرفته منذ ساعة قد اختفى وحل مكانه رجل الأعمال القاسي الرابط الجأش الذي تعرفه بشكل جيد، الذي يتوقع أن يقفز الجميع فور أن يشير باصبعه. تبعته إلى المكتب وقلبها يغوص بين أضلاعها. ليس باستطاعتها أن تفعل شيئاً. فقط عليها أن تواجه الأمور بشجاعة. كان يجب عليها أن تتمتع بالبصيرة لمنع حدوث مثل هذا الموقف. حتى أنها ترتدي الملابس نفسها التي كانت ترتديها البارحة!

«مارك، هل الصورة التي طلبتها بالأمس موجودة فوق مكتبي؟» توقف كورد وهو في طريقه إلى مكتبه ليتحدث إلى

أحد المحاسبين، مما أجبرها على أن تقف خلفه. وأبقت نظرها فوق كتفيه العريضتين.

«سوزان، هل وصلنا التقرير من ليونيكاردس في البريد كما وعدوا؟» توقفا مجدداً. كورد يحمل الملفات وإيلين تحمل حقيبته فيما استمع كورد إلى جواب الفتاة. وقد كانت إيلين متأكدة من أنه تعمد أن يفعل ذلك! ولاحظت أن أحداً لم يرفع رأسه لتحيتها كما جرت العادة متمنياً صباحاً سعيداً لها، وقد شكّت أن يكون السبب حيرتهم وعدم ثقتهم بردة فعلها. لِمَ لا يدخل مباشرة إلى غرفته كالعادة؟ تساءلت إيلين عن ذلك وهي غاضبة وتلونت وجنتاها أكثر وأكثر بلون وردي. رغبتها في أن تضربه على رأسه بالحقيبة تزايدت في تلك اللحظة.

«كورد، عزيزي...» عندما فتحت إيلين الباب المؤدي إلى غرفتيهما ووقفت بانتظار كورد أن يسبقها بالملفات، شعرت بقلبها يغوص أكثر وأكثر. كانت كلوديا تجلس برشاقة فوق أحد المقاعد الكبيرة، وكانت نظراتها الحادة تتنقل بينهما، فيما أجبرت فمها على ابتسامة صغيرة: «أين كنت بحق السماء؟ لقد حاول والدي الاتصال بك في وقت متأخر الليلة الماضية ولم يجدك.» كان صوت كلوديا الحاد يصل واضحاً إلى المكتب الخارجي؛ وبعض الرؤوس المحنية بانشغال فوق المكاتب جازفت باختلاس نظرة جانبية سريعة.

«لقد كنت في المنزل طيلة المساء.» وبدا واضحاً أن كورد يكره أن يطلب أحد منه تقريراً عن تحركاته وكان عابساً وهو يتقدم إلى غرفته.

«ولكن، يا عزيزي كورد، لقد قال أبي...» ولم تسمع إيلين

ماذا قال والدها، لأن كورد صفق الباب بقدمه بعد أن تبعته كلوديا.

علقت إيلين سترتها بيد مرتجفة. لقد كانت النظرة التي رمتها بها كلوديا عندما دخلت خلف كورد مليئة بالشر. ولم تستطع أن تسمع ماذا يدور بينهما ولكن بعد دقائق قليلة خرجت كلوديا من الغرفة الداخلية وكان وجهها الجميل أرجواني اللون بسبب الغضب، وشفتاها مزمومتين في خط حاد غير جذاب. مشت بجانب إيلين دون أن تتلفت إلى اليمين أو اليسار وفتحت الباب المؤدي إلى المكتب الرئيسي، وكان وقع قدميها فوق الأرض المرصوفة يطرق بما ينم عن الحقد وهي في طريقها إلى خارج المبنى.

رائع! أغمضت إيلين عينيها للحظة. إن هذا اليوم سيكون يوماً رائعاً، فهي تشعر أن أعصابها تصرخ وهي ما زالت في بدايته. لقد أملت أن لا يكون كورد قد ذكر اسمها في أي شيء قال لكلوديا. ولكن ذلك الأمل مات بعد عدة دقائق عندما ناداها كورد من مكتبه.

«نعم؟» نظرت من الباب المفتوح وسألت بتوتر.

«ادخلي واغلقي الباب.» ذلك الصوت القاسي لا ينذر بشيء حسن في شأن التوافق في المكتب. «ذلك ال...» وأشار بيده بتوتر إلى الباب الذي غادرت منه كلوديا: «... أنت تجاهلت ذلك، صحيح؟»

«صحيح.» ونظرت إليه بقلق.

«حولي إلى، أي متاعب تعترضك بهذا الشأن.»

«متاعب؟» وحاولت إيلين أن تبقي صوتها طبيعياً. «يجب ألا توجد أي متاعب؟»

ألقى نظره خاطفة على وجهها. «ذلك لا يهم، يكفي أن أقول، إنني أنا وكلوديا كنا صديقين منذ سنوات ولكن كل ذلك انتهى منذ وقت بعيد. مهما يكن، هي، على ما يبدو، تعتقد أن لديها الحق في بعض الامتيازات وأنا قد توجب عليّ أن... أقنعها خلاف ذلك. هل فهمت ما أعني؟»

«آه، لقد فهمت بشكل حسن جداً.» ونظرت إليه بغضب! «أعتقد أنك أخبرتها بأنني قد قضيت الليلة معك في بيتك؟»

«لم أضطر لذلك، ولكنك أنت فعلت، أليس كذلك؟» كان صوته قاسياً.

«ليس بالطريقة التي هي تفكر بها.» بدأت تشعر بصوتها يرتفع فأخفضته فوراً: «أنت تعلم ماذا ستعتقد الآن.»

«أنا لست مسؤولاً عما تعتقده كلوديا، وأشفق على أي رجل يفعل ذلك.» كان صوته حاداً ونظراته موجهة إليها بشكل مباشر: «أحاول تسيير الأعمال هنا، فهلا عدت إلى مكتبك وقمت بعمل ما؟»

«اسمع...»

«أنا مشغول، يا إيلين، لدي الكثير مما يجب أن أقوم به ولا وقت للأمور السخيفة.»

«أمور سخيفة!» رددت كلماته من بين أسنانها. «آه، أنت، أنت...» لكنه تجاهلها تماماً بعدما أخفض نظره وراح يحدق بالأوراق الموجودة فوق مكتبه وبدأ بكتابة بعض الملاحظات على حاشية أحد التقارير. وبعد لحظة عادت إلى غرفتها وصفقت الباب خلفها بقوة جعلت السقف يهتز.

في الحال رن جهاز الاتصال الداخلي، وعندما ضغطت الزر سمعت صوته يعلو بحدة في الغرفة. «أي تصرف آخر كهذا

سوف اضعك فوق ركبتي واعاملك مثل طفل صغير لأنك على ما يبدو قد تحولت إلى ذلك.» فأغلقت الجهاز من دون أن تجيب ولكنه عاد وتكلم من جديد. «هل تفهمينني، يا إيلين؟»

«نعم.» ونظرت بتجهم إلى الآلة بقدما أجابت.

«لا أدري ما حصل لكِ هذا الصباح ولكنني لن أحتمل ذلك. أنت هنا بالتحديد لتأدية عمل وأنت سوف تقومين بذلك بشكل حسن في كل الأوقات وإلا عليك مواجهة العواقب. والآن عودي إلى العمل.»

ذلك هو الأمر إذا. لقد عادا إلى المشهد الأول من الحرب وكأن ليلة الأمس لم تمر أبداً.

«حسناً، يا كورد لاشوني.» همست برقة وهي ترتب مكتبها وقد جلست لترجمة وثيقة مستعجلة. «إذا كان ذلك ما تريد. فذلك حسن بالنسبة لي. سوف يكون لي يوم ولو كان ذلك آخر شيء أقوم به.»

www.rewity.com

الفصل السادس

كان اليوم يزداد سوءاً، وفيما هدأت أعصاب إيلين أخذ تعبها يزداد أكثر وأكثر، وكانت تعد الدقائق كي تعود إلى المنزل. حسناً، فكرت إيلين عندما تأكدت من ملاحظاتها المكتوبة بجانب آلة الطباعة الفرنسية، حسناً ذلك آخر شيء. وشدت على أعصابها لأنها تريد تسليمها إلى كورد. فهو لم يخرج من مكتبه طيلة اليوم، وطلب قهوة وشطائر إلى مكتبه عند الظهر، لكنه تجاهل وجودها تماماً، وذهبت هي إلى المقهى الذي يقع عند زاوية الشارع مع الأخرين خلال وقت الغداء. كانت المحادثات مقتضبة، فالجميع يحترسون من كل كلمة يقولونها. احمرت وجنتاها بعدما تذكرت ما يشعرها بالاحتقار وهي ترتدي سترتها وطرقت على باب مكتبه.

«نعم؟» رفع رأسه الأسود عندما فتحت باب الغرفة، وبدا مشغول البال وعيناه الرماديتان بعيدتين.

وضعت الأوراق فوق مكتبه برقة: «هذا آخر شيء لليوم، أنا ذاهبة إلى البيت الآن.»

«حسناً، انتظري لعدة دقائق وسوف أوصلكِ.»

«هاه.» هزت كتفيها بحدة: «ذلك سوف يبدو حسناً، أليس كذلك؟»

«يبدو حسناً؟» رفع حاجبه وهو ينظر إليها بامعان بعدما ضاقت حدقتاه: «عمّ تتكلمين بحق السماء؟»

«أنا أتكلم عنك، تعرض توصيلي.» ارتدت إلى الخلف

بتوتر. الضغط النفسي الذي عانت منه هذا اليوم تركز ألماً في رأسها.

قال بقسوة: «أنا أعرض ذلك لأنك تبدين تعبة. هل في الأمر خطأ؟»

هزت كتفيها مجدداً: «هذا ما أعتقده.»

«حسناً، يا إيلين، اكشفي الأمر.» استرخى في مقعده ولف ذراعيه حوله وهو يتكلم وكانت عيناه كالصوان الداكن وفمه مطبقاً في خط رفيع وللحظة تمنت لو يتركها لشأنها بسلام.

رددت بوهن: «أكشف ماذا؟»

«أنتِ تعرفين تماماً ما أعني، لذلك اختصري المناوشات، فأنت تجهدين منذ الصباح لاختلاق معركة، فهيا إبدئي.»

«أفترض أنك تعتقد أنني غير منطقية؟ فقط لأنك عرضتني للشبهة حيث أن كل شخص في ذلك المكتب يعتقد أنني عشيقتك وأصبح من المفترض بي أن أضع بكل ذلك الحمل على عاتقي، أليس كذلك؟ وكل ذلك جزء من الاتفاق!»

«ليس لدي أدنى فكرة عما تتكلمين.» قال بصوت هادىء وهو متجهم الوجه.

«أتكلم عن تدبيرك لقضاء الليل معك، هل تتذكر؟ لم تكن لديك النية في أخذي إلى منزلي ليلة أمس بتاتاً، أم أنا على خطأ؟ لقد خططت مسبقاً لكل شيء، ومشهد الإغواء الشديد، وحتى آخر...»

«كلمة واحدة إضافية، ويا للعون، سوف أضعك فوق ركبتي!» وقف عندما تكلم وأبعد جسده الضخم عن الكرسي في حركة واحدة سريعة واللون القاتم يبرز تحت عظام وجهه البارزة وعيناه الرماديتان داكنتان من الغضب. لم يكن دمه

الكورسيكي أكثر وضوحاً مما هو الآن. «لقد نلت كل ما أستطيع تحمله منك في يوم واحد!»

جفلت عندما خطا خطوة عريضة حول المكتب ليقف في مواجهتها مهدداً، وظهر من مجمل حركته الغضب المكبوت.

«لو اهتممتِ في إعادة تفكيرك إلى الوراء، فأنت التي هربت من منزلي مثل أرنب مذعورة وقررتِ أخذ نزهة في منتصف الليل! ولم أقحم نفسي في عمل صبياني كهذا منذ أن كنت في الثامنة عشرة من عمري والفتاة حينذاك قررت أن تعود إلى المنزل مشياً عندما تعطلت السيارة، على أي حال ماذا تعتقدين أنني؟ مراهق مهووس يعزم على الاعتداء عليكِ عند أول فرصة، بغض النظر عن مشاعرك في هذا الشأن؟ من أجل الصراخ بصوت عال، يا امرأة ما الذي يتآكلك؟»

«لا شيء بي!» إنه يقوم مجدداً بذلك، يحول كل المسألة وكأنها غلطتها.

كان صوته هادئاً: «بل يوجد، من وجهة نظري وللملاحظة، لقد كنت عازماً على إعادتك إلى المنزل في الليلة الماضية بعد تناول الطعام مباشرة. لم أحاول ذلك أبداً في حياتي، ولم أكن عازماً على أن أبدأ ذلك معك. وأي هدف ممكن أن يكون وراء عزمي على إبقائك في منزلي طيلة الليلة؟»

«لتقوم تماماً بما فعلت للإساءة لسمعتي.»

«سمعتك؟» حدق بها للحظة غير مصدق ما سمع ودفع برأسه إلى الوراء عندما انفجر ضاحكاً بصوت عال قاس مهين: «أنتِ لا تقدرين بثمن، هل تعلمين ذلك؟» وبعدما خفتت ضحكته، نظر إلى وجهها الشاحب بنظرات ساخرة وأنفاسه تتقطع بالكراهية: «أية سمعة هي تلك؟ أنعشي ذاكرتي. هل هي الكاذبة، اللصة،

الغشاشة، أم هي الجديدة المبتذلة؟ اختاري... كل ذلك ملك يديك.»

«لا، ليس ملكي.» كانت تسيطر على سيل الدموع الذي كان يهدد بالتدفق مثل موت قاتم. فهي لن ترضيه وتلجأ إلى الدموع مهما كلف الأمر: «إلا في عقلك المخبول.»

«آه، أنا من لديه عقل مخبول؟» سألها في لهجة ساخرة: «أعتقد أن الوقت حان كي تنظري إلى نفسك بامعان. فأنا طيلة حياتي لم آخذ قط شيئاً أو أحداً ليس لي. هل تستطيعين بكل أمانة أن تقولي الشيء نفسه؟»

«نعم، أستطيع!» ردت بسرعة ومن دون تمهل. وهز رأسه بخفة وهو يأخذ مكانه من جديد.

«حسناً، أنت مصرة، أقر لك بذلك.» استدارت لتغادر ولكن عادت ونظرت إليه عندما تكلم بصوت بارد وهو يجلس خلف مكتبه المليء بالأوراق. «سوف أتوقع حضورك باكراً غداً صباحاً.» وأشار بيده إلى مجموعة من الوثائق من دون أن ينظر إلى أعلى. «يوجد بعض الرسائل التي تتسم بالسرية العالية، أريد أن تطلعي عليها وتقومي بترجمتها في الوقت الذي أحضر فيه إلى المكتب، لذلك من الأفضل أن تكوني هنا في الساعة السابعة. سوف أترك كل المراسلات المتعلقة بهذا الموضوع ضمن هذا الملف الأحمر. هل لديك مفتاح؟» هزت رأسها نفياً عندما نظر إلى أعلى ثم أخرج مفتاحاً من درج المكتب. «هذا مفتاح إضافي؛ انتبهي له، من فضلك.»

انحنت لتأخذ المفتاح من يده الكبيرة، لكنه رمى به من مسافة صغيرة إلى أصابعها وكأن لمسة أصابعها تشعره بالنفور، وفي الحال عاد ليدفن نفسه في عمله من دون أن

يتفوه بأي كلمة. تلك الحركة آلمتها أكثر من كل الكلام الذي قيل من قبل، ولكنها لم تلمح له بذلك. أغلقت باب مكتبه بهدوء وغادرت بأسرع ما يمكن.

في وقت متأخر من تلك الليلة، وهي متكورة في سريرها، انهمرت دموع حارة من عينيها. أرهقت نفسها بالنحيب، لكن لم يبارحها الألم الموجع الذي كان يقطعها إرباً إربا. استلقت لساعات في الظلام، وعقلها المثقل يتأرجح بين مد وجزر، يبحث عن مهرب من الوضع المستحيل، لكن بعد أن أخذت بعين الاعتبار مرة كل احتمال أجبرت على الإقتناع بأنها كانت مقيدة به حتى الأشهر العشرة القادمة. وصرت على أسنانها من عذاب الخيبة. عشرة أشهر ستشاهده مع كلوديا، قريباً منها جسدياً وبعيداً عنها روحياً!

بعد عدة ساعات من النوم المتقطع الممزوج بالتقلب والنهوض حتى شعرت أن سريرها أصبح متشابكاً تماماً كما هو عقلها، نهضت متعبة ومشت إلى غرفة الحمام. كان الظلام ما يزال مخيماً على الجو، مع أنها في العادة تأخذ حماماً سريعاً، لكنها اليوم أخذت حماماً ساخناً بطيئاً وأفرغت ما يقارب نصف قارورة من زيت الحمام في الماء حتى أصبحت المياه كثيفة يعلوها الزبد وعبق المكان برائحة رائعة. أمضت ما يقارب الساعة في غرفة الاستحمام، طلت أظافرها وغسلت شعرها، وصممت على جعل كل جزء منها يبدو رائعاً لهذا اليوم. ولم تستطع ادراك ما يدفعها لذلك، لكنها استرخت بعد الحمام وأراحت أعصابها المتعبة. وضعت فوق جسدها مرطباً غالي الثمن، ووضعت مساحيق التجميل بعناية وكأنها تعتزم الذهاب إلى حفلة راقصة وليس إلى المكتب.

ضمت المئزر إلى جسدها برقة، وتناولت طعام الفطور المؤلف من الخضار الطازجة والحبوب، وكان النسيم الدافىء الذي يتسرب عبر النافذة المشرعة، يجفف شعرها المنسدل مثل ستائر حريرية فوق كتفيها.

استعدت لمغادرة الشقة في السادسة والنصف وقررت أن تقطع المسافة إلى العمل مشياً على القدمين. نزهة خفيفة تستطيع بعدها الوصول إلى المكتب في الساعة السابعة وطرد ما تبقى من توترها.

دهشت إيلين عندما وجدت نفسها تدندن وهي تسير في الهواء المعطر النظيف وتعجبت من مرونة الروح البشرية. وقفت لتحدق في سرب من الفراشات تحوم حول حافة نبتت فيها الأزهار البرية على جانب الطريق. وعندما وصلت إلى مركز البلدة الصغيرة، توقفت برهة عند مقهى واشترت رغيفاً وبعض الخضار من أجل الغداء. تبادلت التحيات مع بعض السكان المحليين القدامى الذين جلسوا في الهواء الطلق تحت أشعة الشمس الدافئة يـ تمتعون بتناول فطورهم المؤلف من الفطائر الطازجة والقهوة الذكية الرائحة قبل أن تتابع طريقها.

«صباح الخير.» جعلها ذلك الصوت، العميق تدير رأسها بسرعة. كانت مستغرقة في أفكارها ولم تلاحظ السيارة الطويلة الرائعة التي أصبحت بمحاذاتها: «أعرف أنها فقط ياردات قليلة، ولكن هل تودين الركوب؟» كان في نغمة صوته رنة، شيء لم تستطع أن تفهمه. لو لم تعرف أنه أمر مستحيل لكانت شككت بأنه ارتباك وحرج.

«لا، شكراً لك. أفضل المشي.» قالت بهدوء، من دون أن تبطىء من خطواتها؛ إن رؤيته غير المتوقعة جعلت قلبها يقفز

بقوة وقد أزعجتها ردة فعل جسده الخادعة هذه. لِمَ لا تشعر ببرودة الأعصاب تلك تجاهه كما يبدو عليه هو؟

«أريد التحدث إليك، يا إيلين.» هذه المرة كانت أمراً، وللحظة كانت رغبتها قوية في أن تتحداه وتتابع سيرها، ولكن هزت كتفيها بخفة وصعدت إلى السيارة عندما فتح الباب المحادي لها. جلست برشاقة فوق المقعد الذي جعلته أشعة الشمس دافئاً واختلست نظرة سريعة إليه قبل أن تركز نظرها إلى خارج النافذة.

كان زر قميصه الأعلى مفكوكاً، وربطة العنق معلقة حول عنقه، وقد ذكرها ذلك بالفطور في اليوم السابق، وفي السيارة المغلقة الأبواب رفضت إيلين أن تتذكر شيئاً كهذا. شعرت أن رجولته قد أحاطت بها ومنعتها من التفكير بوضوح وفعلت أيضاً أشياء جنونية لتماسكها، وهي تحاول أن تمحو قوة حضوره. فكرت إيلين بأن الأمر سخيف. إنه يستطيع الجلوس بكل جسده الضخم متماسكاً تماماً، مسترخياً، ومستغرقاً في التفكير، بينما هي كانت كتلة من الأعصاب المتوترة. ذلك لم يكن عدلاً!

«أعتقد أن الفكرة كانت أن أحضر أنا باكراً لتكون كل المراسلات معدة عند وصولك؟» تمنت لو يتابع سيره، لكن السيارة القوية كانت تهدر ببطء، عندما استدار لينظر إلى وجهها مباشرة وضع إحدى ذراعيه على ظهر مقعدها بينما بقيت الذراع الثانية على عجلة القيادة.

«لقد أخبرتك، أردت التحدث إليك.» قال بحزم، وكانت عيناه الرماديتان تجبرانها على النظر إليه.

«لماذا؟ اعتقدت أننا قلنا بالأمس كل ما يجب أن يقال.» شعرت أنه كان يحاول أن يكسر الحاجز بينهما ولكنها كانت

تخشى أن تلتقي به في منتصف الطريق. وهما على هذا العداء البارد بينهما، فلا تستطيع معالجة الأمور؛ لكن أي شيء آخر قد يجعلها هشة وعرضة للإنكسار؟

قال ببطء، متجاهلاً عدائيتها: «لقد كنتِ مخطئة في الأمس، ولكن أنا أيضاً كنت مخطئاً. لقد جعلتني أفقد أعصابي باتهامك السخيف لي؛ لقد كنت تعباً وتصرفت بشكل سيىء. لسبب ما لم أستطع النوم بشكل حسن الليلة الماضية.» كان صوته خالياً من التعبير وفي نظراته وميض من ضحكة خفيفة. «هل حصل أن أخذتِ حماماً بارداً في الساعة الثانية والثالثة والرابعة صباحاً؟»

أجبرت نفسها على النفي. «لا.»

«لا، لقد علمت ذلك. حسناً، لقد كان ذلك أول مرة بالنسبة لي، أيضاً. ولكنني أريد أن أوضح شيئاً واحداً وهو أنني لم آخذك إلى بيتي بنية أن أبقيكِ هناك حتى أضعك في موقف محرج. لم تخطر على بالي فكرة كهذه حتى أشرتِ أنتِ إلى ذلك بالأمس. ربما كان يجب، ادراك ذلك، من جراء ردة فعلك.» كان ذلك أقرب شيء إلى الاعتذار يمكنها أن تحصل عليه، هذا ما فكرت به إيلين بصمت. وتابع كلامه: «لم أقم قط بشيء كهذا، وقد أزعجني أن تلصقي صفات... الخداع بي.»

رنين الصدق في صوته لا يمكن انكاره، واحتارت بما تجيب. إن جو الألفة في السيارة كان يسرق منها أي تفكير منطقي. «أنا أفهم... لقد اعتقدت...»

«نعم، أنا أدرك تماماً ما اعتقدتِ.» بدت السخرية واضحة في كلامه.

«حسناً، أنا آسفة، ثم...»

زم شفتيه بصورة لم يستطع إخفاءها بشكل تام. «ماذا فعلت

عندما راودتك؟» نظرت إليه بحدة؛ لقد كان في صوته رنة رقيقة مدهشة. «حقاً أنتِ المخلوقة الصغيرة الأكثر أشواكاً.» ورفع خصلة من شعر حريري كانت انسدلت فوق كتفيها ثم تركها تزحف من بين أصابعه لتعود إلى مكانها في حركة رشيقة. «لا أريد أن تتأثر علاقتنا في العمل بما حصل بالأمس.» واستدار ليمسك عجلة القيادة بيديه الاثنتين وكأنه يحاول السيطرة عليهما. وجلس يحدق في الطريق التي تمتد أمامه. «هل تفهمين؟»

لقد شعرت بطعنة حادة من الألم عند سماعها كلماته وهي توبخ نفسها على غبائها. مهارتها في العمل كانت كل ما يهمه. فقط. للحظة اعتقدت... «نعم، بالطبع أفهم. سوف ننسى كل شيء عن ذلك الموضوع.» كان صوتها حاداً ولكنها لم تستطع شيئاً غير ذلك.

أطلق تنهيدة صغيرة عندما نظر إلى وجهها. «هيا، إيلين، لا مشاعر مبيتة؟» نظرت إلى وجهه المستفسر وإلى نظراته الغامضة. تحبه، تريده، وتكرهه، كل ذلك في وقت واحد.

«لا مشاعر مبيتة.» أجبرت نفسها على الابتسام وهي تتكلم ومع ذلك لم يبدُ راضياً أدار المحرك وبعد نظرة سريعة إلى وجهها قاد السيارة بتأن على الطريق.

الأيام القليلة التالية كانت مليئة بالعمل مما ساعدها على تهدئة قلبها المجروح. بعد حديثها مع كورد في ذلك الصباح عادا إلى علاقتهما العادية، على الأقل سطحياً، لأن الكثير قد قيل لكي تبقى الأمور كما كانت على حالها.

أصبح يعاملها في هذه الأيام بحذر شديد، كان ودوداً ومؤدباً ولكن متحفظاً حتى أبعد الحدود. كانت كلوديا تتردد في أكثر الأحيان، وهذا باعتقادها ما كان يجب أن تتوقعه، مع أنه ما يزال مؤلماً. مخالب المرأة الأخرى كانت متعددة وقوية

حول كورد لتدعه يفلت منها بسهولة. ومع ذلك، بدا عليه أنه يخفي انزعاجه من دخولها غرفته، كل مرة دون أن تقرع على الباب. وفكرت إيلين بيأس، ربما أراد أن يبقي العمل واللعب منفصلين بشكل واضح.

كلوديا حالياً تتجاهل إيلين، تنظر إليها بعينيها الضيقتين وكأنها غير موجودة على الاطلاق مما يجعل الارتعاش يسري في ظهر إيلين. الفتاة الفرنسية تكرهها، مع أنها لا تستطيع أن تعرف السبب. إن جمالها غير العادي كان مدهشاً ولكنه كان نوعاً ما مروعاً، مثل وهم مدغدغ يتحول فجأة إلى واقع مرعب. إن كورد لا يشاركها في هذه المزايا، ومهما يكن، فهي تعلم أن كورد قد زار بيت أسقانا الريفي الكبير كل ليلة تقريباً منذ زيارتها المشؤومة إلى بيته. لقد عملت كلوديا على أن يكون ذلك مؤكداً.

«هل تعملين غداً؟» سألتها ويندي في وقت متأخر من ليلة جمعة عندما توقفت عصبة كبيرة من الموظفين لتتناول شراباً أمام أحد المقاهي الصغيرة وهم في طريقهم إلى بيوتهم. «إننا جميعاً سنقضي النهار على الشاطىء واعتقدت أنك قد تحبين الحضور؟» كان التردد واضحاً فوق وجهها الصغير، فمنذ ذلك الصباح عندما وصلت إيلين وهي تحمل حقيبة كورد، عمد الآخرون إلى معاملتها بتحفظ أكثر من معاملتها بود. والليلة هي المرة الأولى التي تنضم فيها إليهم، وكان ذلك بفعل لطف ويندي.

«شكراً، أحب ذلك.» لقد قررت أن تقضي يوماً من الراحة ولكن شعرت أنها إذا رفضت هذه الدعوة فمن الممكن أن لا توجه لها ثانية، وفي الأيام القليلة الماضية كان شعورها بالوحدة يتزايد باستمرار.

عندما حل اليوم التالي، قضت إيلين نهاراً ممتعاً، في الاستلقاء تحت أشعة الشمس والسباحة تكراراً حتى أصبح لون بشرتها الذي يشبه العسل لوناً بنياً قاتماً وبدا شعرها وكأنه امتص أشعة الشمس وأخذ يلمع مع النور المشع. ومع حلول المساء اعتبرها الجميع عضواً في العصبة. عندما قرروا تناول وجبة طعام في اليوم التالي لم تجد طريقة للرفض من دون أن تبتعد عنهم مجدداً، وأصبحت العلاقات الانسانية غالية فجأة.

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة عندما دخلت إيلين إلى المطعم المزدحم وسط حشد كبير ضاحك، وسايمون ووينديي كل من جهة، كانت تشعر بالتعب ولكنها أحست بالسرور بعد قضاء يوم في الهواء الطلق، وثوبها الأبيض الذي ليس له كمان وصندلها المفتوح يبرزان اللون الجديد المكتسب وكأنه يسمو إلى الكمال. كان شعرها الأشقر يحوم فوق كتفيها في شلال من حرير، واستدارت رؤوس العديد من الرجال لرؤيتها أكثر عندما مرت بجانبهم.

كان المطعم مشهوراً بأطعمة البحر الشهية، وفيما كانت بصدد تناول الطبق الرئيسي، الشهي والمليء بالقريدس والسلطعون، توضح لها مصدر القلق الذي طالما شعرت به منذ الصباح. صورة شخص ضخم، عريض المنكبين خيم فوق جميع الرجال الحاضرين. تحرك عبر الغرفة من الجهة المقابلة حيث كان يجلس بهدوء وأخذ يراقب الحفلة الصغيرة المرحة.

«مساء الخير.» كان صوت كورد رقيقاً وهو ينظر حول المائدة إلى الموظفين المبتسمين، ولكن إيلين شعرت أن النظرة الحادة توقفت عليها للحظة وأصبحت تلك النظرات قلقة

بعدما لاحظ وجود ذراع سايمون على ظهر مقعدها. وكانت ذراعه الأخرى في الوضع نفسه فوق مقعد ويندي، ولكنها شعرت بأن ذلك لن يكون له التأثير نفسه في ذلك العقل المشكك.

تحدث معهم بلطف، بمن فيهم إيلين، بشكل عام من دون أن يتكلم معها أو ينظر إليها بشكل مباشر، وبعد أن طلب الشراب للجميع شق طريقه عائداً إلى مائدته، حيث كانت كلوديا تنتظره مثل عنكبوت جميلة صبورة. وحقيقة وجود والدها معها لم تخفف لوعتها ولو قليلاً. كان وجه كلوديا يعلن النصر.

تساءلت إيلين إذا كانت هي التي لاحظت قساوة نظرات كورد، وكأنها منحوتة من حجر صلب. ارتجفت بخفة، وعلى الرغم منها توجه نظرها إلى تلك المائدة في الزاوية المظللة.

كان ينتظر نظرتها وابتسامته عريضة مليئة بالتهديد، ثم أصبح وجهه خالياً من التعبير عندما استدار إلى كلوديا ليرد على شيء كانت قد قالته. رأت إيلين المرأة الفرنسية ترفع يدها إلى وجنتيه وتلامسه بلطف، كانت لمستها تنم عن رغبتها بالتملك له، وبعدما قال والدها شيئاً ضحكت ضحكة مغيظة، وربتت بيديها على خديهما فيما نظراتها المفترسة تلتهم كورد حياً، ثم نظرت إلى إيلين ساخرة.

«أنا ذاهبة إلى المنزل.» لم تكن متأكدة من أنها تكلمت وسط ذلك الضجيج، عندئذٍ لمست يد سايمون الدافئة يدها برقة وكانت نظراته رقيقة ومتفهمة وهي تنظر إلى حيث كانت نظرات إيلين موجهة.

«هل أنت بخير؟»

جاء جوابها ضحكة هستيرية أهي بخير؟ لن تكون على ما يرام أبداً مرة ثانية.

www.rewity.com

أجابت بشكل آلي: «بخير، شكراً لك. لدي صداع وأعتقد أنه يجب أن أخلد إلى الفراش. أستطيع أن استقل سيارة أجرة إلى المنزل من هنا.» ولوحت بيديها وهي تقف، ونظر سايمون إلى ويندي بقلق.

«هل أستطيع أخذ إيلين إلى المنزل؟ سوف أعود بعد عشرين دقيقة.»

«حسناً.» كان صوت ويندي ينم عن الاسترخاء، فهي على ثقة من قوة علاقتها مع سايمون. حتى في خضم آلامها كانت إيلين مسرورة؛ لأنهما كانا ثنائياً رائعاً.

كانت عينان رماديتان لامعتان تراقبان سايمون وهو يتبعها خارج القاعة، ويده فوق ظهرها وتواريا عن الأنظار عندما ابتلعهما الشارع المظلم إلى قلب الليل.

كانت إيلين مستغرقة في النوم عندما توالت طرقات ملحة على الباب ومزقت النوم العميق. كانت الغرفة غارقة في الظلام الدامس واختلست نظرة إلى ساعة المنبه بعدما أنارت الضوء الموجود بجانب السرير محاولة أن تجبر عقلها المشوش على الاستيقاظ.

«مهلاً لحظة.» ووضعت مئزراً أبيض فوق ملابس النوم الحريرية ومشت ببطء نحو الباب، ولكن قلقاً مفاجئاً جعلها تفتح عينيها اندهاشاً. ماذا لو تعرض الآخرون لحادث وهم في طريق العودة؟ فقد حشروا أنفسهم في السيارة الوحيدة التي استأجروها لهذا اليوم، وهم غير معتادين على قيادة السيارة في فرنسا.

«نعم، ماذا...؟» وتجمدت الكلمات في فمها عندما رأت الجسد النحيل القوي يتكىء إلى جانب الباب دون مبالاة.

ولاحظت أن وقفته المسترخية كانت تبطن غضباً أسود، يحول الملامح المنحوتة إلى قناع شيطاني أسود. كان كورد غاضباً؛ ثائراً بصورة رهيبة خطرة.

«حسناً، مرحباً، يا بمامتي الصغيرة.» قال برقة وكانت عيناه تلمعان. «كنت أتساءل كم من الوقت تحتاجين لتجيبي. لم أقاطع شيئاً، هل فعلت؟» وحول نظره إلى باب غرفة النوم المفتوح ثم إلى وجهها الشاحب. «ألن تطلبي مني الدخول؟»

«لا.» نظرت إليه ببرود. «إنه منتصف الليل، إذا كنت لم تلاحظ ذلك.»

«آه، لقد لاحظت ذلك!» همّت باغلاق الباب إلا أنه تحرك بسرعة، واختطف مسكة الباب من يدها ثم دفع به بسرعة حتى فتحه على مصراعيه. «في الحقيقة، أستطيع أن أخبرك كم من الوقت قد مر منذ أن رأيتك لآخر مرة.» ابتسم بطريقة ماكرة، وتراجعت إيلين بسرعة إلى الغرفة، عندما دخل وهو ينظر حوله بنظرات خبيثة.

«لا داعي للخوف، أليس كذلك؟» قال برقة وهو يدفع الباب حتى يغلقه. «الولد... الحبيب سوف يحميك. بالمناسبة، أين هو؟ مختبئاً في الخزانة أم مسترخياً على فراشك؟»

«ماذا؟» حدقت به لا تعي شيئاً.

«سايمون، سايمون العزيز، العذب. أين هو؟ أريد أن أقول له كلمة صغيرة قبل أن أغادر.» وبدا في عينيه تصميم على القتل.

«ليست لدي أية فكرة عما تتكلم. سايمون لم يكن هنا الليلة، ولا أي ليلة، إن كانت تلك هي المسألة.» وتجهمت عندما راحت معاني كلماته تسكن عقلها. «أنت لا تعتقد...»

www.rewity.com

«لا أعتقد ماذا؟» ومشى بخطوات عريضة إلى باب غرفة النوم، واختلس نظرة سريعة في أرجاء الغرفة الفارغة، قبل أن يعود إليها ثانية بجسده الصلب. «إذاً فقد غادر منذ قليل، أليس كذلك؟ كم من الوقت بقي هنا؟»

«كفى!» قالت غاضبة وبدا الشرر يتطاير من عينيها مثلما يتطاير من عيني قطة غاضبة. «وصلت بك الوقاحة إلى أن تأتي إلى هنا وتتهمني بعلاقة مع سايمون بينما علاقاتك مع كلوديا أصبحت على كل شفة ولسان! يا لجرأتك يا كورد لاشوني.»

«كفى.» وافق على كلامها. «ولكن دعي كلوديا خارج هذا الموضوع. كل ذلك انتهى منذ وقت بعيد.»

«أنا واثقة!» عندما ضاقت نظراته كان لديها الاحساس بوجود حيوان بري قوي لا يقوى على كبح عواطفه ولأول مرة أحست حقاً بالذعر. كان في تلك العينين وميض قاس لم تكن قد رأته من قبل، وكانت نظراته تقع عليها وكأنه يريد أن يدمرها.

«اسمع، أنت مخطىء في كل هذا.» وأدركت فجأة أنه يحتاج إلى سماع الحقيقة قبل أن يخرج الموضوع عن حدوده. «لقد أوصلني سايمون إلى المنزل، هذا كل ما في الأمر. كان الوقت متأخراً ولم يتركني أعود إلى المنزل بمفردي. لقد تركته عند مدخل المبنى. هذه نهاية القصة. بامكانك أن تتصل بويندي وتتأكد منها إذا شئت.» حركت يدها بتوتر وأشارت إلى الهاتف. «حسب علمي، لقد عاد إليها مباشرة.» توقفت برهة عندما خطرت على بالها فكرة وعقدت حاجبيها. «ولكنك تعلم ذلك! لا بد وأنك قد رأيته عائداً إلى المطعم.»

«لقد غادرنا بعدكما بفترة قصيرة جداً.» وللحظة ابتعد نظره عن نظرها، ولكن كان ذلك كافياً لتدرك اين قضى بقية هذه الليلة.

«أيها الوغد!» ذهبت كل المحاولات لتهدئته وأصبحت غاضبة مثله تماماً، وحاولت جاهدة بكل قواها أن تقف في وجهه عندما أخذ تنفسها يصدر من بين أسنانها. «أنت تتهمني بوجود سايمون معي بينما أنت تقضي الوقت كله مع كلوديا! وتتكلم عن الازدواجية!»

«ما حدث، هو أنني أخذت كلوديا ووالدها مباشرة إلى منزلهما وتركتهما عند المدخل. وفي طريق العودة ثقبت إحدى العجلات ولم تكن العجلة الاضافية معي. قضيت معظم الليل على حافة طريق مهجور لا يرافقني سوى خيالي.»

«لا أصدقك!»

«لا يهمني ما تصدقين!»

«من المؤكد أنك حقاً، تعتقد أنني ولدت بالأمس.» كان صوتها حاداً، وتدفق اللون الأحمر إلى أعلى وجنتيه وجعل عينيه تلمعان من الغضب. فبدا مثل نمر أسود ضخم يعد الثواني قبل أن ينقض على فريسته.

قال غاضباً: «أميل ميلاً شديداً إلى أن أعود بك إلى بلدتي وأعلمك ما يعني حقاً أن تكوني امرأة. أنت بحاجة إلى أن تتعلّمي الاحترام.»

«وكيف ستقوم بذلك؟ تضربني، تجلدني... أستطيع فقط تصور ذلك!» كانت فوق حدود الخوف الآن.

«أبداً! يوجد طرق أخرى لإخضاع امرأة ثائرة.» نظر إليها بوقاحة ثم أردف: «خاصة امرأة مثلك.»

«مثلي!» وابتسمت بمرارة. «حسناً، قد لا أكون عند حسن ظنك، ولكنني على الأقل لا أستغل الناس ثم اطرحهم جانباً، عندما يحلو الأمر لي؟»

www.rewity.com

«تعنين أنني أفعل؟» أطلق ضحكة قصيرة قاسية. «هل أفهم أنك تشيرين إلى النساء في حياتي الماضية؟ لا شك أنك قد أعلمت بالتفاصيل عن عددهن والظروف التي أحاطت بخلافي المرير مع كل واحدة منهن! أليس لديك العقل لتدركي أن أموراً كهذه تُعظم وغالباً ما تكون بعيدة عن الحقيقة؟»

«لا، ولكن بالنسبة لك ليس لدي الكثير من العقل، هل لدي؟ مع أنني أعلم شيئاً واحداً.» توقفت برهة. يبدو أن غضبه قد تبدد لتحل محله الإثارة. «معظم النساء يردن الأشياء الطبيعية من أية علاقة إذا كن يهتممن بالرجل: الرقة، الاهتمام والاعتبار، وأخيراً الزواج والبيت والأولاد.»

«ليس النساء اللواتي عرفتهن.» كان صوته بارداً وحاداً. «لقد جعلت من نفسي غبياً مرة في ذلك الاتجاه؛ ولكن لن يتكرر الأمر ثانية. أنتِ تتكلمين عن الحب وأنا كنت هناك؛ إنه طريق إلى جهنم. النساء اللواتي عرفتهن أردن القوة والنفوذ، لو كن صادقات لاستطعت التعايش مع ذلك.»

وقفت صامتة تحدق في وجهه العابس فيما الغضب غادرها بفيض كبير. لم تكن أبداً في حضرة سخرية مريرة كهذه من قبل؛ شيء ما في ماضيه قد وصل إلى كيانه مثل جرح عميق وغطاء الندبة كان سميكاً بحيث لا يخترقه شيء. لقد بنى حائطاً منيعاً حول نفسه من مادة صلبة لا يمكن اختراقها.

قالت هامسة: «أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب.»

هز رأسه موافقاً وهو ينظر إليها. «ما كان يجب أن آتي إلى هنا؛ كان ذلك جنوناً مني. إنها فقط الصور التي كانت تلمع في عقلي على تلك الطريق...» استدار بسرعة وكأنه يكره قول المزيد. «أنتِ على حق، لا يوجد أي سبب لوجودي هنا.»

«كورد.» لمست ذراعه بتردد وهو يغادر. «أنت على خطأ، كما تعلم. ليس فقط بشأني ولكن بشأن تقاليد الحية بشكل عام. وليس كل شخص كما تتصوره.»

«أليسوا كذلك؟» للحظة كان يوجد شوق ملتهب معذب مكتوب على الملامح القاسية، ثم هز كتفيه بتعب. «حسناً، على أي حال هذا في الواقع لا يهم. لا شيء يدوم؛ كل شيء يلمع ويتألق من الخارج فقط.»

«أرجوك، كورد، إسمع.» نظرت إليه بعينين أصبحتا رقيقتين فجأة، ونسيت غضبه وكل ما قاله من قبل. كان يتألم من الداخل ولكنها عاجزة عن تقديم العون له. «امنح الناس فرصة... افتح قلبك.»

«أنتِ، تعنين أنت؟» كانت نظراته قاسية من جديد كما كان الحائط مثبتاً في مكان. هز رأسه ساخراً. «أحب حياتي كما هي، لا تعهدات ولا توريط.»

«لا تريد أبداً أن تنجب أطفالاً، تتزوج؟»

ضحك بقسوة ساخراً. «وأنجب نسخاً مصغرة طبق الأصل عني، أهذا ما تعنين؟ ذلك سيكون أتفه شيء. بالإضافة إلى ذلك، لم ألتق أبداً المرأة التي أثق بها لتكون أماً لأولادي.» ضاقت عيناه وبدت ابتسامة صغيرة على طرف فمه. «لِمَ لا، يا يمامتي الصغيرة، هل تفكرين أن تترشحي لهذا المنصب؟»

«لا.»

«ربما يجب عليك؛ أستطيع أن أمنحك فرصة للحكم.» وتعلقت نظراته بالمئزر، لكنها شدته باحكام أكثر. «أنت، حتماً، مؤهلة في بعض الجوانب.»

قالت بصوت خالٍ من التعبير: «ليلة سعيدة، كورد.»

نظر إليها للحظة طويلة صامتاً قبل أن يأخذها فجأة بين ذراعيه. بدأت تقاوم بشدة لإدراكها أنه يجب عليها أن تقاومه بعقلها قبل أن يضعف جسدها.

قال بصوت رقيق: «أنتِ تريدينني، وتعلمين ذلك. أستطيع قراءة ذلك في عينيك.» شعرت بأنها قزم بمواجهة ضخامته وقوته، وكأنه يحميها، ولكن، ليس الحماية ما كان يعرضه.

«لا أريد.» منعها عن الكلام بعناقه وهو يقربها منه أكثر وتابعت مقاومتها وهي تدرك أنها، إن لم تقاومه الآن سوف تضيع. لقد كان محقاً، إنها فعلاً تريده بقوة، ولكن ليس لليلة أو لعدة أسابيع بل إلى الأبد، مع الحب الكافي من الطرفين.

كان يتنفس بصعوبة عندما واجهته في محاولة للهرب، وبصرخة قوية متكسرة رفعها عن الأرض فيما أخذت تخبط على صدره الصلب بقبضتيها. «يجب أن انتزعك من داخلي. أنا أعرف ماذا أنت ولكن على ما يبدو ذلك لا يشكل أي فرق. لا أستطيع الاستمرار في هذا الوضع، أراكِ كل يوم، أريد...» عندما حاولت أن تجيب عانقها مجدداً وتقوست بين ذراعيه، تقاوم نفسها بدلاً من أن تقاومه.

كانت بين يدي سيد محترف وبراءتها كانت مصيدة ضد نفسها. لم تعرف كيف تقاومه لأنها أحبته، أحبته كثيراً.

«لا أريد أن أكون هكذا...» كانت تتمتم لنفسها. «لقد اعتقدت أن الأمر سيكون مختلفاً...»

«ماذا؟» تجمد للحظة عندما اخترق صوتها عناقهما. «ماذا تعنين، اعتقدت أن الأمر سيكون مختلفاً؟» وتجهم وجهه وهو ينظر إليها. «تعنين، معي؟»

نظرت إليه بسذاجة وقرأ الجواب في عينيها البريئتين

الحائرتين. «لا أصدق ذلك.» كان صوته هامساً ينم عن عدم التصديق وقد تجمد وهو يقاوم اجتياح وعيه للأمر. «هل تعنين أنك كنت جادة في كلامك عندما قلت إنك لم تكوني على علاقة مع رجل من قبل؟ ليس من المعقول أن تكوني كذلك. ليس في مثل سنك، ولا في مثل شكلك. أجيبيني، يا إيلين، وقولي الحقيقة. هل كنتِ تكذبين في ذلك الوقت؟»

«لم أكذب عليك.» كان صوتها منخفضاً وأبعدها عنه بحركة تنم عن الاعراض العنيف.

«لا أصدق ما يحدث.» اعتلت ملامحه القاتمة تعابير الصدمة والدهشة. «ومع ذلك أصدقك حقاً هذه المرة.» كان يتكلم وكأنه يحدث نفسه من دون أن ينظر إليها. «هذا يفسر ما حدث في تلك الليلة في منزلي. كنت خائفة مني؟» سألها وهو يشعر بصعوبة التنفس.

لم تستطع أن تجيب؛ منعتها، غصة كبيرة جثمت على صدرها من التنفس وعندما استدار ونظر إليها متفحصاً، هزت كتفيها بصمت. كان من الصعب عليها أن تقول له، إن الذي جعلها تهرب من بيته إلى الشاطىء في تلك الليلة لم يكن الخوف ولكن معرفتها أنه كان فقط يستعملها، وأنها كانت واحدة من صف طويل ومكسباً جديداً له.

«إذاً، سايمون هو فقط صديق؟»

«لقد أخبرتك.» كانت متوهجة الوجنتين بسبب الإهانة والحيرة عندما نظر إليها وعلى وجهه تعبير مبهم. هذا يجب أن يكون النهاية الرائعة لأمسية رائعة! إن شعور الرفض جعل معدتها تدور في حلقات مؤلمة.

«لقد أخبرتني الكثير، ولكن بكل صدق، وطيبة قلب، ولكنني أخذت الأمر باستخفاف.» تلك النغمة الساخرة القديمة عادت

لتلون صوته ولكن هناك شيء لم يتغير في نظراته الرمادية المراقبة عندما جلست وتكورت على نفسها، وشعرها مسدل مثل وشاح يلمع حول وجهها الملتهب.

«حسناً، يا يمامتي الصغيرة، هذا شيء يحدث لي لأول مرة.» وسمعت نغمة من المتعة الساخرة في صوته مع مزيج من الفرج والتعب. لا يبدو أنه انزعج لأن نواياه قد باءت بالفشل، ووجدت أن ردة فعله قد آذتها. «قد لا يعني لك الأمر شيئاً، ولكن لا يوجد العديد من النساء اللواتي يفاجئنني في هذه الأيام.»

جازفت واختلست نظرة إليه فوجدت وميضاً رقيقاً غير عادي في العينين الرماديتين وهو ينظر إليها، ويداه لم تكونا ثابتتين كالعادة وهو يثبت ربطة عنقه. وشعرت فجأة بتحسن حالتها النفسية بشكل لا يقاس.

«لقد بدأت أعتقد أن أسوأ أيام حياتي كانت عندما اقتحمت حياتي، يا آنسة إيلين مارسيل.» ومشى عبر الغرفة إلى الباب حيث وقف ونظر إليها نادماً.

«أنا آسفة.» كانت الكلمات ضعيفة ولكن ذلك هو كل ما استطاعت أن تقول. على الرغم من الظلال الخشنة فوق ذقنه، ملابسه المجعدة وشعره المشعث، لم تجده يوماً أكثر جاذبية. كان في نظراته شيء لم تستطع فهمه، ولكنها أحبته.

«أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب الآن طالما أستطيع ذلك.» حملقت به صامتة متقطعة الأنفاس. لقد حدث شيء ما بينهما في الدقائق الأخيرة وهي تشعر أنه يحاول أن يقاومه. «هل أنت على ما يرام؟» هزت رأسها مجيبة وكرر حركتها ببطء. «حسناً، سوف أراكِ يوم الاثنين كالمعتاد.» اعتقدت أنه كان هناك تأكيد خفيف على الكلمتين الأخيرتين، ثم غادر.

سمعت صوت خطواته الثابتة، عبر الغرفة، فُتح الباب الأمامي ثم أغلق، وعندما أصبحت وحيدة استلقت وهدأت نبضات قلبها حتى أصبحت طبيعية ورحلت تلك الألوان الحمراء الحارة التي لونت وجنتيها.

لِمَ تركها؟ كانت الأفكار تتضارب في رأسها. كانت لديه القوة للبقاء، إذاً لِمَ تركها؟ ربما امرأة لا تملك الخبرة لا تعني له شيئاً؟ تحركت بقلق: لا، ليس هذا هو الأمر.

يبدو أنه لا يظن أن ذلك الأمر يستحق تعقيد علاقة العمل بينهما، فالأمر يختلف بين إقامة علاقة عابرة مع امرأة اعتادت هذا النمط من الحياة، وبين فتاة بريئة تجثم على ضميره. فكرت بكلمته الأخيرة: «كالمعتاد.» لقد كان يحاول أن يقول لها إن كل هذا لا يعني له شيئاً، هذا كل ما في الأمر! تقلبت في نومها ووضعت الوسادة فوق وجهها في محاولة منها لتهدئة أفكارها الحائرة وإيقاف الحالة التي اعترتها بعد ما حدث في نصف الأخير.

مهما كانت دوافعه، فهذا لا يغير الحقيقة المؤلمة التي عليها أن تواجهها يوماً بعد يوم. لقد أحبت الرجل الذي يعتقد أنها سارقة، وباعترافه، لا يصدق شيئاً من كلامها. كل اتهام وجهه إليها تحول بوضوح تام للسيطرة عليها، والحقيقة هي أنها قد اكتشفت عدة جوانب من شخصيته الليلة لعدة لحظات، الرقة التي لم تتوقعها أبداً، جعلت الأمر صعب الاحتمال. كلما قاربت سنة خدمتها على الانتهاء، كلما كان أفضل، ولكن بأي حال ستكون عندما تصبح أخيراً حرة في أن تتركه إلى الأبد؟

www.rewity.com

الفصل السابع

كانت الأسابيع القليلة التالية الأسوأ في حياة إيلين. كانت متخوفة من الذهاب إلى العمل في صباح الاثنين الذي تلا زيارة كورد إلى شقتها، ولم تكن أسوأ مخاوفها لتتخيل المشهد الذي رأته عيناها عندما دخلت مكتبه باكراً من ذلك الصباح، قبل وصول بقية الموظفين. كانت تأمل بتصفية الجو بينهما في حديث سريع خاص مع كورد، بعد أن شاهدت سيارته متوقفة في الخارج هرعت إلى المكتب العام ثم عبرت إلى غرفتها من دون أن تتلفت يمنة أو يسرى. وفتحت باب غرفته بهدوء خشية أن يكون مندمجاً في حديث هاتفي.

لكنه، لم يكن. لقد كان جالساً على كرسيه خلف المكتب وكلوديا جالسة فوق ركبتيه وهي تلف ذراعيها حوله. وقفت إيلين في مكانها وقد جمدتها الدهشة، غير قادرة على ابعاد نظرها عن المشهد الذي كان يقتلع قلبها من الجذور، وفي اللحظة نفسها التقت نظراته بنظراتها من فوق رأس كلوديا واتسعت حدقتاه في شيء من عدم التصديق. ادركت أنه انتصب واقفاً عندما استدارت لتعود إلى غرفتها، وهرعت تجتاز مسافة صغيرة إلى المكتب العام لم تتوقف لترد على صرخته الخشنة.

بعد فترة من الوقت عندما وصل الموظفون الآخرون. استجمعت شجاعتها لتغادر غرفة السيدات وأخذت مكانها وراء طاولة مكتبها وكأن شيئاً لم يحدث. حاول أن يتكلم معها

في الصباح ولكنها منعته بنظرة حادة حازمة. «لا علاقة لي بما تفعل أو لا تفعل.» قالت ببرود وكأن الغيرة المدمرة قد أمسكت بها بأصابع محرقة. «لا داعي لأن تعتذر لي عن تصرفاتك.»

«لم أكن أنوي أن أعتذر عن تصرفاتي.» أجاب بصوت أجش عميق، ولكنها أدارت رأسها عندما كان يهم بمتابعة الحديث وخرجت إلى مكتبها. لم يلحق بها ولكنها سمعته يشتم وهو يصفق الباب خلفها. ومن الغباء أن تشعر بالألم والغدر؛ فهو لم يعدها بشيء، هل فعل؟ له ملء الحرية في تقبيل من يريد. لو كانت أية امرأة أخرى غير كلوديا! ولكن لا، ذلك لم يكن صحيحاً. هذا العذاب وهذا اليأس سيكونان مؤلمين أياً كانت المرأة التي برفقته.

امتدت الأيام إلى أسابيع وفي صباح أحد أيام الاثنين دهشت إيلين عندما وعت إلى حلول آخر أيام تشرين الثاني، وأن أيام الصيف الحارقة أصبحت ذكرى بعيدة. حافظ كورد على موقف رسمي حذر منها في الأسابيع القليلة المنصرمة، فقد كان يسمح لها بالمغادرة مع الآخرين كل ليلة ولا يبدي أي اهتمام في حياتها الخاصة أبداً. وهي، من جهة أخرى، بقيت تستلقي مستيقظة نصف الليلة بينما تقوم مخيلتها بتلوين صور له ولكلوديا وهما متعانقان، ونتيجة لذلك بدت أكثر نحولاً، مما زاد من جمال لونها الشاحب الفضي بدلاً من أن ينقص منه.

«سوف أقيم حفلة شواء لفريق العمل ولأصدقائي الجدد في عطلة نهاية الأسبوع.» كانت قد خلعت سترتها وثبتت شعرها على شكل كعكة تعلو رأسها وهي تجرب ذلك لأول مرة في ذلك الصباح قبل أن تبدأ بالعمل في أكوام المستندات الموضوعة على مكتبها التي تستقبلها بعد عطلة الأسبوع. لا يمكنها أن

تصدق أن رجلاً يستطيع أن يخلق عملاً بهذا القدر! لا بد وأنه لا ينام أبداً.

استدارت بسرعة عندما أتاها الصوت العميق من مدخل غرفة كورد، وكانت يداها ما تزالان ممسكتين بشعرها في المشهد الأنثوي القديم الذي طالما أحب رسامو عصر النهضة نقله. وكانت عيناها البنيتان متسعتين وحائرتين. وعندما لمعت عيناه الرماديتان القاتمتان برقة فوق وجهها لاحظت مندهشة أنه بدا متعباً منهكاً؛ لقد مضى عليها بعض الوقت عندما حملقت إلى وجهه آخر مرة، لأن وضعاً كهذا كان أقل ايلاماً.

«تعالي لحظة، هلا فعلت يا إيلين؟» كان صوته رقيقاً والوجه القاسي الصارم كان هادئاً عندما تبعته بهدوء إلى الغرفة، وقفت صامتة أمامه بينما جلس هو على المقعد الكبير.

«لقد لاحظت أن الفريق الانكليزي متحفظ بعض الشيء؛ هل يوجد أية مشكلة أنت على علم بها؟»

هزت رأسها ببطء وهي تجبر عقلها على عدم التركيز على مشهد الجسد الكبير المنتصب فوق المقعد الجلدي الضخم. أي رجل آخر كان سيبدو قزماً في مقعد ضخم كهذا ولكنه يناسب شكله الطويل الصلب. «لا أعتقد ذلك؛ نحن فقط على ما يبدو لا نتآلف بشكل حسن، مع أن الفريق الفرنسي ودود جداً.»

«مهما يكن، أنا متلهف كي أرى الجميع يتآلفون مع بعضهم البعض؛ ربما كنا على خطأ عندما أسكنا كل الموظفين الانكليز معاً ولكن ما حصل حصل. ما أريد قوله أنني قررت منذ وقت أن أنظم لقاء لأكسر جدار الجليد الذي تعالى في ما بينهم. ولكن

أولوياتنا اعترضت الطريق.» ولمعت في عقلها صورة جسد كلوديا النحيل وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

«على أي حال، لقد قررت شراء المنزل على الساحل، وهكذا أشعر بالحرية عندما ادخله في العطلة الأسبوعية. يوجد العديد من الغرف لكل شخص لقضاء ليلة، مع أنه من الواضح أن الموظفين الفرنسيين سوف يفضلون العودة إلى بيوتهم.» هزت رأسها لتبدو وكأنها تتابع كلامه بينما كان داخلها يتقلص. لا بد وأن كلوديا مدعوة، وقضاء يومين في مراقبتهما لم يكن أمراً مغرياً.

«سوف أتوقع حضور الجميع، على الأقل لحفلة الشواء في مساء السبت. أعلمي الجميع، هل تفعلين؟» وأحنى رأسه وكأنه يصرفها وشعرت بالثورة تفور في داخلها. لقد تصرف فعلاً كأحد الملوك القدامى، يتلاعب برعاياه من دون اعتبار لآراء الآخرين أو رغباتهم. لهذا علاقة ما بتراثه الكورسيكي المتمرد، ولكن تصرفاته اليوم لها تأثير عليها كما الأسلاك الشائكة فوق الحرير.

لا يشاركها أحد في معاناتها. رحب الجميع بفكرة قضاء عطلة الأسبوع في محيط مليء بالرفاهية ومن نافل القول إن أكثر من امرأة يغمرها الفضول لتعلم أين يسكن كورد. لقد كان لغزاً بالنسبة للموظفين، رجل جذاب رائع لم يبد أبداً أي اهتمام حتى بأكثر الموظفات جاذبية، وأي شيء عن ذلك الشخص الهادىء القوي العقل هو شيء لا يقاوم بالنسبة لهن.

في يوم الخميس وقبل موعد حفل الشواء فوجئت إيلين بسماع طرقة على الباب الأمامي عندما كانت تستعد للخروج إلى العمل. فتحت الباب بسرعة، واتسعت حدقتاها من الدهشة.

«كورد.» إنها المرة الأولى التي تنطق بها اسمه بعفوية منذ أسابيع، ولم تستطع أن تخفي الاحمرار الذي لون وجنتيها.

«صباح الخير يا إيلين.» رمقها بنظرة شاملة متفحصة ولاحظت أن نبرة صوته باردة وغير عاطفية. «لدينا مشكلة صغيرة.»

«حقاً؟» وبخت إيلين نفسها بحدة، توقفي عن ذلك، إيلين، أنت تبدين كالبلهاء. وأجبرت نفسها على الابتسام بأدب وأخذت نفساً عميقاً. «تفضل، ألن تدخل؟ كنت أحضر كوباً من القهوة. هل ترغب بكوب؟»

«أحب ذلك.» تبعها إلى الغرفة ووقف متكئاً إلى طاولة الفطور، وأخذ يراقبها وهي تسكب القهوة. شعرت إيلين بأنها بحاجة إلى دعم الكافيين لقوتها.

«ما هي المشكلة؟» لمست يده الدافئة يدها وهي تقدم له القهوة فشعرت بصدمة كهربائية تسري في ذراعها، ثم هدأت أعصابها بعد أن جلس على كرسي مريح قبل أن يجيب.

«مصاعب مع أحد الموردين. لست متأكداً إذا كانت ورطة حقيقية أم أن رجلاً ما يحاول أن يسبب المتاعب. لا مجال لأن أرسل مندوباً عني لحل هذه المشكلة؛ يجب أن أذهب بنفسي لأرى الوضع ولأنهيه بسرعة. سوف يساعدني كثيراً وجودك معي؛ يوجد عدة نقاط تستطيعين المساعدة فيها، وسوف أشرحها لك خلال الطريق. موافقة؟»

«هل تعني الآن؟»

نظر إليها بهدوء ولكنها لاحظت أن هاتين العينين ضاقتا بشكل حاد. «بالطبع.»

«نعم، هذا حسن؛ سوف أقوم باتصال واشرح و...»

قاطع كلامها المتلعثم. «لقد تدبرت كل هذه الأمور، اشربي قهوتك وسوف ننطلق مباشرة. أحتفظ بكل ما يتعلق بهذا الأمر في السيارة ونحتاج لبعض الوقت حتى نصل إلى المكان.»

كان كورد يقود السيارة مسرعاً على الطريق وكل اهتمامه مركز على الطريق! مفسحاً لها المجال لحبك أفكارها بحرية. المنطقة الهادئة التي كانا يجتازانها كانت مفعمة بسحر الخريف، مع أن الطقس لم يكن بارداً، وبينما توغلا أكثر في الريف الفرنسي استطاعت أن تشعر بالتاريخ يرشح من الحجر الكريمي اللون للبيوت الرائعة، من الجدران القديمة المتشققة التي ما تزال تحيط بالعديد من المدن والقرى ومن مباني المزارع القديمة التي تغير لونها بتقادم الزمن عليها. لقد مرا من أمام عدة قصور اقطاعية صغيرة تعكس تاريخ الأرض، من الحصون الصلبة المتجهمة في العصور الوسطى إلى القصور السحرية المزخرفة في القرنين السابع والثامن عشر. أسفت إيلين عندما قادا أخيراً إلى القرية الصغيرة حيث يجب أن ينهي كورد عمله، ولا بد أن تكون خيبة أملها قد ظهرت فوق وجهها لأنه لمس يدها برقة وهو يبتسم ليساعدها على الخروج من السيارة.

«العمل أولاً، والابتهاج لاحقاً.» همس بطريقة غامضة عندما هرعت مجموعة من المندوبين الفرنسيين خارج المبنى الزجاجي لاستقبالهما.

وما حدث أن الزيارة كانت قصيرة. وقد تبين أن المشكلة الرئيسية كانت انقطاع الاتصالات في ما بينهم، والتي، عند معالجتها، أصبحت كل المشكلات الأخرى تحت السيطرة. رفض كورد دعوتهم إلى الغداء بابتسامة مؤدبة وخلال ساعة من الوقت كانا في السيارة وعلى الطريق ثانية.

www.rewity.com

«جائعة؟» تكلم فيما نظره مثبت على الطريق أمامه ونظرت إيلين مترددة إلى جانب وجهه القاتم.

«قليلاً.»

«حسناً، أنا أتضور جوعاً. هنالك مكان أردتك أن تريه في وقت ما؛ أعتقد انك ستعجبين به.»

وجدت نفسها تحملق به ثم سرعان ما أشاحت نظرها عنه. ما يعني ذلك؟ فهو لم يعطي أي تلميح في اللحظات الأخيرة إلى أنه كان يشعر حتى بوجودها معظم الوقت. جلست في صمت مذهولة. إنه حقاً الرجل الأكثر غموضاً.

«الكاتب العظيم، فرانسوا رابليه، ولد في هذه المنطقة.» قال كورد بعد برهة. «هل قرأت أعماله؟»

هزت رأسها نفياً وقالت: «لا. هل قرأتها أنت؟»

«لا.» ابتسم بدفء. «إننا جاهلان إذاً. لقد فهمت فقط أن أكثر الشهوات التي يرمز إليها في شعره تطابق هذه المنطقة؛ فالأهالي يحصلون على متعة من الشراب الجيد والطعام تكاد أن تكون أسطورية. لقد زرت هذا الجزء من فرنسا عدة مرات فقط ولكنني دائماً أغادر بمعدة مليئة وذكريات سعيدة.»

هزت رأسها مبتسمة لتخفي المغص المفاجيء في معدتها. لا شك أنه كان برفقة كلوديا في إحدى تلك المرات.

«ها نحن هنا.» اقتيدا إلى فناء صغير مزيّن بالأزهار المعلقة ومحاط من جوانبه الثلاثة ببناء حجري ضخم. «هذا أفضل مطعم في هذه الأرجاء.»

قادها من خلال باب واسع مشرع وللحظة أغمضت عينيها بسرعة عندما حل الدفء المظلل محل نور الشمس الساطع في الخارج. لقد كانا في مكان يشبه قاعة كبرى، في أحد طرفيها

حطب مشتعل وعدة موائد منتشرة وكراسي مصفوفة في تجانس رائع حول بار مركزي. إن نوافذ الزجاج الملوّن والسقف المشرق فوقهما بالإضافة إلى الأنسجة المزدانة بالرسوم المعلقة والأسلحة القديمة التي تزين الجدران الحجرية، أضفت انطباعاً على أن قاعة الطعام تنتمي إلى القرون الوسطى.

«غير عادية، أليس كذلك؟» بدا مسروراً من دهشتها. «لكن انتظري حتى تتذوقي الطعام.»

عندما قدّم الطعام لاحظت انه لم يكن يبالغ. أصر على أن تتذوق فطيرة بالزبدة تبين أنها سمك الكراكي الذي يقدم مع صلصة بلون الكريم محضرة من الزبدة، أضفى عليها الخل والكراث الدفء والنكهة. كانت مبعثاً على السرور، خاصة عندما تؤكل مع الفطر الذي يقدم في طبق صغير.

«جيد، ها؟» كان كورد يراقب استمتاعها بالطعام بمرح، وهزت رأسها موافقة.

«هذا الفطر رائع بشكل مطلق.»

«إنها تنمو في دهاليز كبيرة تحت الأرض كانت تستعمل في اصطياد الطرائد. لقد فهمت أن هذه الكهوف تغطي نصف محصول فرنسا من الفطر.» استمرا في محادثة قصيرة وهما يتناولان الطعام. للمرة الأولى منذ أن التقته. شعرت إيلين بالراحة إلى رفقته، مع أنها بقيت متيقظة لأدنى حركة يقوم بها ذلك الجسم القوي الكسول.

عندما كانا يحتسيان القهوة ذكر اسم كلوديا في محادثتهما، مع أن شبح الصهباء لم يفارق مخيلة إيلين طوال الوجبة الشهية. «أريد توضيح الأمر قبل تقديم المشويات،

www.rewity.com

يا إيلين.» نظرت إليه في دهشة ورأت نظرة قلقة في العينين الرماديتين الضيقتين قبل أن يخفض نظره.

«نعم؟» أجابت وهي تشعر بتوتر اعصابها.

«ذلك الصباح في المكتب مع كلوديا... لم أكن أعانقها؛ كما بدا الأمر.»

«كورد، أنت لست في حاجة لأن تشرح...»

«اصمتي، يا إيلين.» الزمتها الرنة القوية في صوته على الصمت. أخذ نفساً عميقاً وتابع: «أنت لا تسهلين هذا الأمر أبداً.»

«أنا آسفة جداً.» لم تستطع أن تمنع تعبير السخرية من الظهور على وجهها وقطب في وجهها غاضباً قبل أن يتابع.

«أكرر. لم أكن أعانقها. الحادث الصغير الذي أنت قاطعته كان اسلوب كلوديا في التعبير عن شكرها لأنني أسديت خدمة إلى والدها.»

«لا بد أنها كانت خدمة عظيمة.» حتى أنها لم تحاول اخفاء السخرية هذه المرة وقطب جبينه في وجهها بانزعاج وغضب.

«إنها فرنسية؛ هنا يقومون بالأشياء بطريقة مختلفة.»

كادت أن تجيب بتعليق قاس لكنها اكتفت بصرخة بدلاً من ذلك: «آه!»

«ألا تصدقينني؟» كان الوجه القاتم صلباً الآن ولكنها تألمت بما يكفي لتهتم.

«لا.»

«أنا أفهم؛ حسناً، في تلك الحالة لا يوجد شيء أكثر ليقال، أليس كذلك؟ هل تحبين المزيد من القهوة؟»

«لا، شكراً لك.» تمزق الجو الهادىء اللطيف إلى ملايين

الأجزاء وشعرت إيلين أنها ستنفجر باكية. لِمَ لم تلتق به في منتصف الطريق؟ تباً لكلوديا! حتى عندما لا تكون موجودة فهي تسبب المتاعب.

في طريق العودة إلى المكتب كانت السماء تتحول رمادية وبدت كأنها سوف تمطر. إن الطقس يشبه حالتها؛ يأس كئيب سيطر عليها، وجعل الريف الجميل مملاً وسجنها داخل نفسها في الأعماق. لازم كورد بجانبها الصمت المطبق، واختفى الهدوء المريح الذي بدا عليه، عندما قادها إلى المطعم.

وصلا إلى المكتب في فترة منتصف ما بعد الظهيرة وعملت بنشاط بقية اليوم، وهي ممتنة لوجود شيء محدد حتى تستطيع توجيه عقلها إليه. بشعور غامض لشيء لا يمكن تجنبه، سمعت الصوت الذي لا يمكن أن تخطىء به لوقع خطوات كلوديا في المكتب الخارجي في اللحظة التي حان فيها وقت انصرافها إلى المنزل.

«إذا، لقد عدتما.» ضاقت عينا كلوديا وتحولتا إلى شقين مليئين بالعداء في وجهها الجميل عندما رفعت إيلين رأسها ونظرت إليها. من الواضح أنها تعلم بشأن الرحلة، وتكره ذلك.

«كما ترين.» لمرة واحدة لم تحاول إيلين أن تخفي عدم حبها للمرأة الصهباء الجميلة. وجاء صوتها حاداً عندما التقت نظراتهما عبر الغرفة.

«في أي وقت عدتما؟»

هزت إيلين كتفيها بصورة عرضية وهي تحول نظرها إلى الأوراق التي على مكتبها. «لا أذكر اسألي السيد لاشوني.» خيمت لحظة صمت صارخة مثل دوي الرعد ثم مرت كلوديا بوجهها الحانق مسرعة بجانبها إلى مكتب كورد تجر وراءها

www.rewity.com

موجة من أريج العطر الثمين والكبرياء المهانة. بعد نصف ساعة، كانت ما تزال موجودة في المكتب عندما غادرت إيلين بعد انصراف الآخرين؛ الليلة لا تريد الرفقة. عندما جالت في الشوارع الهادئة تحت المطر الخفيف المنعش شعرت بدموعها الحارة تختلط بالماء فوق وجهها. «كورد... كيف استطعت؟» توقفت للحظة ونظرت إلى السماء الرمادية فيما أخذت مليون قطرة مطر تتساقط على الأرض. «معها من بين كل الناس.» لكن بعدها جاء الموسم البارد. كلوديا كانت غنية، جميلة وتحبه حتى العبادة؛ كيف باستطاعة أي رجل مقاومتها؟ لا يبدو أن هناك أملاً.

كان فجر يوم الحفل مشمساً ومشرقاً على خلاف رغبة إيلين. لقد أملت، بصورة طفولية، أن يستمر المطر. لكنه اختفى بشكل سحري بين ليلة وضحاها وبالتالي كان الهواء أكثر دفئاً. «حتى الطقس يفعل ما يريد.» تمتمت لنفسها بتعب عندما أصبحت جاهزة بعد ظهر ذلك اليوم.

في الساعة الخامسة خرجت إيلين مع حشد من الموظفين الانكليز من سيارة الأجرة التي طلبها كورد لهم جميعاً، وكانت الأضواء تلمع في الهواء الساكن والدافىء على الحديقة الطويلة المتحدرة التي تؤدي إلى الشاطىء. اكتشفت أنها متصلبة بفعل التوتر. وجسدها النحيل متصلب داخل الثوب الحريري الأزرق والسترة التي أحضرتها خصيصاً للسهرة. واتسعت حدقتاها القاتمتان في خوف مرتقب.

«لنشرب شيئاً.» وضع سايمون ذراعاً حول خصرها وجذب ويندي إليه في اليد الثانية ومشى الثلاثة إلى المقصف الطويل على أحد جوانب الفناء الواسع.

الهيئة الطويلة القاتمة الواقفة في الظلال كانت تراقبهم يمشون من السيارة لينضموا إلى الحشد في الفناء ولم يبد الاسترخاء على وجهه إلا عندما أبعد سايمون يده عن خصرها، وثم النظرات في العينين الرماديتين لم تكن مريحة.

«مرحباً يا إيلين.» استدارت لتحيته بابتسامة مؤدبة ولكنها جمدت على وجهها عندما لاحظت البرود في نظرات كورد الحادة.

«هل من خطب؟» ابتسم ببطء وكان في عينيه شيء مفترس تقريباً.

«ليس تماماً.» عندما توغل الآخرون داخل الحديقة أخذ ذراعها بقبضة قوية واتجه بها نحو البيت. «أريد أن أقول لك كلمة، هذا كل ما في الأمر.» كانت النوافذ، ذات الطراز الفرنسي، الضخمة مشرعة وعندما قادها إلى غرفة الجلوس رأت كلوديا تقف ضمن زمرة مرحة، متآلفة. ضاقت عيناه القاتمتان عندما لوح لها قبل أن يفتح باب آخر ويقود إيلين إلى الداخل، مغلقاً الباب خلفه بصوت قوي.

وجدت نفسها في مكتبه ولاحظت بابتسامة وازدراء داخلي أن مكتبه كان غارقاً بالفوضى كما مكتبه في العمل. «نعم؟» نظرت إلى وجهه القاتم وهي تتكلم ولكنه جلس بهدوء خلف المكتب، ولف ذراعيه حول جسمه ثم راح يقيمها بعينين بدتا مصاغتين بالفولاذ.

«ألا تعتقدين أنه ليس من العدل إغواء سايمون بهذه الطريقة؟» نبرة صوته كانت أقرب إلى تبادل حديث منها إلى عتاب. وقد استغرق الأمر لحظة حتى استوعب عقلها مغزى كلماته.

www.rewity.com

«عفواً!»

«لا أعتقد أنني بحاجة إلى تكرار ما قلت.» قال برقة، صوته ناعم وخفيض. «فقط لا أريد هذا المشهد، وأنت تغوين وتجرين سايمون من أنفه، الأمر الذي سوف يفسد عطلة نهاية الأسبوع على الجميع. إنه... شيء... مهين.»

«أحياناً، يا كورد، أعتقد أنك تعيش على كوكب مختلف بعيد عنا جميعاً!»

لمعت الدهشة فجأة في العينين القاسيتين. لقد بدا واضحاً أنه توقع ردة فعل مختلفة سأل ببطء: «هل من المفترض أن أفهم ما يعني ذلك؟»

«لا بد أنك الشخص الوحيد في المكتب الذي لا يعرف أنه مجنون بحبه لويندي.» قالت بهدوء عندما بدأت بقعتان من الألوان المشرقة تلون وجنتيها: «لقد كان الأمر واضحاً لأشهر.»

ضاقت نظراته فجأة وانتصب عن مقعده بغتة، وتحرك إلى جانبها. «هل تقولين لي الحقيقة؟»

«آه، لأجل السماء!» شعرت بغضبها يصل إلى ذروته. «ما شأنك بهما على أي حال؟ إذا كنت لا تصدقني، يمكنك أن تسأل أي شخص آخر! إنهما فريق، ثنائي... سمّه ما شئت.»

«لقد فهمت.» كانت توجد لمسة حمراء قاتمة تحت عظام وجهه وللمرة الأولى بدا مرتبكاً، وابتعدت نظراته عن نظراتها المحدقة عندما استدار باتجاه الباب المغلق. «حسناً لا توجد أية مشكلة، إذاً، كل ما في الأمر أنني لم أرده أن يتأذى.»

«أيها الوقح...» خانتها الكلمات، حملقت بظهره المستقيم. «حتى لو كان معجباً بي، من الذي يقول إنه قد يتأذى؟ ولِمَ

الاهتمام المفاجىء في سايمون على أي حال؟ أنت لست والده؟»

«لا، أنتِ على حق تماماً، أنا لست والده.» تراجعت خطوة إلى الوراء عندما استدار ويده على مقبض الباب. كان في نظراته شيء خطر. «لسانك الحاد الصغير سوف يسبب لك المتاعب يوماً ما.»

تحولت عيناها إلى القساوة من جراء الظلم الذي لحق بها ودفعت بذقنها إلى الأعلى كي تواجه نظراته. «هل انتهيت؟» أتى صوتها جليدياً ورأت أن النبرة قد ارتسمت فوق وجهه. «أفضل أن أعود الآن إلى الناس الحقيقيين.»

تفوه برقة: «هل تفعلين؟ أعتقد أنك أصبحت على وشك نسيان شيء مهم، يا يمامتي الباردة الصغيرة. لقد اشتريتك لمدة عام. وأنت تتمتعين بالحرية فقط لأنني كففت يدي عن تصرفاتك... الملتوية. لقد صودرت كل حقوقك عندما تطاولت على أموالي ولي ملء الحرية في محاسبتك عن كل دقيقة كما يحلو لي. هل هذا واضح؟»

«نعم.» آخر أثر صغير للعذوبة التي علقت في ذاكرتها من الليلة الماضية في شقتها اختفى وانصهر في حرارة نظراته الملتهبة. لقد تصورت الرقة؛ لا يمكن أن تكون حقيقية. لكن هذه حقيقة، هذا الرجل القاسي بمرارة بعينيه الثاقبتين الباردتين ولسانه الحاد الذي بامكانه أن يحولها إلى لا شيء في ثوان.

«حسن، أرى أننا نفهم بعضنا بعضاً.» ومال عليها بشكل مهين بهزة من رأسه وتحركت لتقف في مواجهته، ووجنتاها تلتهبان. «فقط للتأكيد...» أحنى رأسه وعانقها، أجبرت نفسها على البقاء جامدة، لا تستجيب للمسته، وضمت يديها في

www.rewity.com

قبضتين صغيرتين بجانبها، لم تكن هناك رقة في عناقه، لأنه كان درساً في الطاعة، رسالة في أنه يمسك السوط بيده.

كانت كلماته اللامبالية تتردد متضاربة في عقلها مثل شلال من الماء البارد فوق وجهها، وأبقت نفسها متصلبة دون حراك.

«أخرجي!» تركها تذهب فجأة الأمر الذي جعلها تئن من الخيبة، ولكن عندما ضربتها كلمته في الصميم، نظرت إلى وجهه القاتم، فتحت الباب بهدوء وخرجت، وحين سمعت خبطة اغلاقه هرعت مسرعة عبر الغرفة الخارجية غير آبهة بالنظرات الفضولية التي لاحقتها.

وجدت نفسها ترتجف بطريقة خارجة عن سيطرتها عندما هب على وجهها الملتهب نسيم الليل البارد. سمعت شخصاً أو اثنين يناديان باسمها ولكنها اكتفت برفع يدها في تحية عادية، وهي عازمة على ايجاد مكان ما، أي مكان لتختبيء فيه.

«إلى أين أنت مندفعة؟» أمسكت ويندي بذراعها وهي تضحك عندما مرت أمام الحشد المتحلق حول مواقد الشواء، حيث يتصاعد الدخان من شرائح اللحم الكبيرة الشهية المغمورة بالبصل والفطر التي تشوى على نار هادئة. تغيرت تعابيرها عندما لاحظت الألم في عني إيلين القاتمتين. «ماذا حصل؟» أخذتها ويندي بعيداً بسرعة إلى زاوية منعزلة هادئة، ودفعتها برقة لتجلس على مقعد خشبي طويل وجلست بجانبها. «إنه السيد لاشوني، أليس كذلك... أنت تحبينه؟»

نظرت إيلين إليها بكآبة. «هل هذا واضح؟»

«إنه ليس واضحاً على الاطلاق، أقسم لك.» كان وجه ويندي ينم عن الاهتمام والانزعاج. «ولكن هذا جنون، إنه ليس من النوع الذي يُحب، إلا إذا كنت تتمنين الموت.»

«أنا أعلم... أنا أعلم، لا تقولي لي ذلك.» لوحت إيلين بيدها بوهن عندما أخذت نفساً عميقاً لتتمالك أعصابها. «إنني سخيفة؛ لا تقلقي لذلك. تعالي.» وقفت وأخذت بذراع ويندي وقادتها باتجاه الأضواء. آخر شيء تقدر عليه الليلة هو مناقشة مشاعرها مع أي شخص. «أنا أتضور جوعاً... لنأكل.»

لا شي يمكن أن يكون أبعد عن هذه الحقيقة، ولكنها شعرت بالسيطرة على أعصابها أكثر عندما أجبرت نفسها على تناول القليل من اللحم وشرب كأس من الشراب.

لم يضع كورد جهداً ليتأكد من أن الجميع يقضون وقتاً رائعاً. متعهدو تقديم الطعام كانوا أكثر من كرماء في عزمهم على ملء الصحون مرة بعد مرة وابقاء كؤوس الشراب ملأى. وصلت فرقة موسيقية صغيرة بعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام مباشرة، وبسرعة وضعوا الآلات الموسيقية على المنصة الصغيرة التي زودهم بها كورد. وبعد قليل كان نسيم الليل مفعماً بالموسيقى والراقصون يتزايدون شيئاً فشيئاً.

لمحت بصورة عرضية هيئة كورد الطويلة القوية عندما كان محاطاً بضيوفه، كلوديا متعلقة على ذراعه كأنها جزء منه، ولكنها في كل مرة كانت تخفض نظرها فوراً خشية أن تلتقي نظراتهما. لقد بدأت تشعر وكأنه كان يتجنبها، حتماً هو لم يضل عن مكان وجودها. بدأت تسترخي عندما تقدم الليل أكثر، وأجبرت نفسها على الرقص مع عدد من الشبان تنافسوا بشدة عليها.

«هل تمتعون أنفسكم؟» لا يمكن أن تخطيء ذلك الصوت الثقيل اللكنة واستدارت لتواجه نظرات كلوديا الباردة مباشرة.

«هل بامكاني الانضمام إليكم؟» كانت العينان الباردتان خاليتين من أي تعبير.

«بالطبع.» لوحت إيلين بيدها إلى كلوديا لتجلس إلى الطاولة الصغيرة البعيدة عن الحشد حيث كانت تلتقط أنفاسها وتستمتع بتناول كوب من الليمون وهي تراقب الآخرين وهم يرقصون. «إنني أستريح للحظة.»

«نعم، لقد لاحظت انك كنت مطلوبة كثيراً.» حاولت كلوديا أن تجعل الكلمات العادية مليئة بالمعاني المهينة. «أنت الحسناء البارزة في هذه الحفلة، تماماً كما ذكر كورد.» كانت العينان الزرقاوان الشاحبتان مليئتين بالخبث.

«هل قال ذلك؟» قالت إيلين بحذر وهي تشعر أن هنالك المزيد في الأفق.

«لقد أخبرته أن الفتيات الشابات يجب أن يمتعن أنفسهن طالما هن قادرات على ذلك؛ إنه ليس بوقت طويل امامهن حتى ويصبحن زوجات مسنات ومملات مثلنا.» ضحكت الصهباء بخفة عندما دفعت بخصلة من الشعر الخمرية اللون عن كتفها الأبيض الناعم. لقد ارتدت ثوباً من دون كمين، حريرياً أسود اللون أظهر صورتها بشكل رائع وبكل مفاتنها، وياقته المنخفضة حتى أسفل رقبتها في حدود الحشمة والقماشة السوداء تتعلق بجسدها مثل جلد ثان.

«إننا نكون شباناً لمرة واحدة فقط.» حافظت إيلين على عذوبة صوتها عندما ردت الإزدراء لنضوج المرأة الأخرى وسلمت نفسها عقلياً للهجوم. فهذا لم يكن فقط حديثاً ودياً؛ لقد كان هناك شيء ما يلمع في هاتين العينين الشاحبتين الزاحفتين اللتين كانتا شيطانيتين حتماً.

«هل أخبرك أنه اشترى البيت؟»

«نعم، لقد ذكر ذلك.» أجبرت إيلين نفسها على الابتسام ببرود. «إنه مكان جميل.»

«أنا أحبه.» عادت الرنة الخفيفة إلى صوتها، تقطر عسلاً. «أنا أردت مكاناً يكون قريباً من والدي بعد ما... أوه! كدت أبوح بالسر، كما تقولون أنتم الانكليز.» ولوت جسدها برقة على مقعدها. وتجهمت على نحو ظريف. «تلك أنا، أخشى أنني لا أستطيع أن أحتفظ بسر لنفسي.»

«آه، أنا متأكدة من أنك تستطيعين إذا حاولت.» وهنت كلماتها ولكنها كانت كل ما استطاعت أن تنطق به من حنجرتها المتحشرجة. نبض قلبها بسرعة بين ضلوعها وجف فمها بشكل تام.

راقبتها العينان الماسيتان القاسيتان بصمت لملاحظة تاثير كلماتها. «لم أصدمك، هل فعلت؟ أنتِ حتماً تعلمين أنني وكورد... أكثر من صديقين؟»

نظرت إيلين إلى المرأة الفرنسية من دون أن تحاول أن تخفي الكره من وجهها. «ذلك ليس من شؤوني، بالتاكيد؟»

«أنت على حق.» نهضت كلوديا ببطء، وهي تمط جسدها برشاقة مثل قطة جميلة كسولة. «سوف أستمتع بالعيش هنا.» رمقت إيلين وهي تتكلم، وشعرها لهيب من اللون الأحمر في الضوء وعيناها تلمعان كالجليد في وجهها الجميل. «سيكون مكاناً حسناً لتربية الأطفال، ألا تعتقدين ذلك؟» ابتسمت برضى عندما أصبحت إيلين فجأة تجد صعوبة في التقاط أنفاسها.

«إنه مكان جميل.» كررت إيلين بشرود وهي تجهد بأن تبقي وجهها هادئاً.

www.rewity.com

«أفضل أن أذهب وأرى إذا كان بحاجة لي.» مشت كلوديا الهوينا وهي تتكلم. «فهو لا يحب أبداً أن أتركه لفترة طويلة.»

حدقت إيلين بالمرأة الطويلة الصهباء فيما ضجت أعصابها الممزقة بالعذاب. كان ذلك إذاً كل الموضوع. إنه ينوي الزواج منها. كان يجب عليها أن تتكهن بذلك. تشكيل اتفاقيات العمال الجديدة مع والد كلوديا، وشراء بيت فخم في فرنسا كبير جداً بالنسبة لرجل يعيش بمفرده، الأمسيات التي يقضيها في بيت آل أسقانا... إنها غبية! كل الإشارات موجودة، ولكنها كانت غبية جداً لتقرأها.

وجدت يديها متعلقتين ببعضهما بعضاً بإحكام حتى كادت أظافرها أن تحفر آثاراً في جلدها. وبجهد عالٍ من إرادتها أجبرت نفسها على الاسترخاء، وجذبت النفس إلى صدرها بتنهيدة طويلة عميقة وكأنها كانت تركض في سباق.

كانت تدرك أن هذه الليلة ستنقلب إلى كارثة؛ كان يجب أن تدعي المرض وتبقى في البيت. رفعت رأسها ونظرت إلى ما حولها في الحديقة المضاءة باشراق، ودهشت لأنها رأت كل شيء ما زال على حاله كما كان قبل أن تفجر كلوديا قنبلتها.

اتجه أكثر الأزواج نحو الداخل لأن نسيم الليل بدأ يعلن عن خطورة، ولكنها لم تعد قادرة على الشعور بأي شيء إلا الألم الذي أخذ يهدد بالسيطرة على أحاسيسها. يجب أن تبتعد للحظة. الشاطىء... نعم، يمكنها أن تتمشى هناك من دون أن يقاطعها أو يراها أحد. لا يمكن لأحد أن يفتقدها لمدة نصف ساعة أو ما يقاربها.

انسلت بهدوء، تحول لون ثوبها الأزرق إلى أسود مخملي عندما وصلت إلى الشاطىء. زحفت إلى صندالها حبيبات من

الرمل فانحنت لتخلعه ثم أخذت تلوح به بيدها عندما عاودت السير، كان الرمل بارداً ورقيقاً تحت قدميها الحافيتين.

فقط لو تستطيع أن تعود إلى انكلترا بمحاذاة هذا الشاطىء. تعود إلى الأمان، إلى الحياة الطبيعية التي كانت تعيشها قبل أن يخترق حياتها هذا النيزك القاتم، مثل نجم أسود لامع يدمر كل شيء في طريقه ويترك في أعقابه أثراً مدمراً وحطاماً. فقط لو... ولكن الحياة مليئة بـ «فقط لو.» وعليها أن تركز على الحقائق الصعبة.

إن الرجل الذي أحبته يكرهها ويحتقرها وسوف يتزوج من امرأة أخرى. لا شيء لها الآن، وهذا الخواء العقيم في أعماقها سوف ينمو وينمو مع السنين حتى لا يبقى أحد يذكر أنها كانت شابة وجميلة وتحب الحياة.

www.rewity.com

الفصل الثامن

«سوف تتجلدين ثانية.» كان فم كورد يلتوي في ابتسامة غريبة عندما استدارت إيلين لتواجهه في الظلام، وبانت أسنانه بيضاء في وجهه الأسمر. «سوف يصبح هذا عادة عندك.» وقف ينظر إليها بصمت، فيما أصوات الحفلة تتناهى إلى سمعهما من تلك المسافة وصوت حفيف الرمل يصدر رقيقاً تحت أقدامهما. «ماذا تفعلين في الخارج هنا؟» اقترب منها خطوة لينظر مباشرة إلى وجهها. «كنت تبكين.»

«شعرت برغبة للتنزه. هذا كل ما في الأمر.» اختلست نظرة خلفه بسرعة. «أين كلوديا؟»

«كيف لي أن أعرف؟» أجاب منفعلاً وعيناه مركزتان على وجهها الشاحب. «أنا لست وصياً عليها.»

هزت كتفيها غير مبالية عندما أبعدت نظرها عنه. «حسناً، فهي لم تبتعد عنك طيلة الليلة، فقط اعتقدت...»

«فقط اعتقدت ماذا؟» لمعت أسنانه مجدداً ولكن الابتسامة هذه المرة كانت تحمل سخرية خفيفة: «إنها الغيرة، أليس كذلك؟»

«الغيرة!» كانت سعيدة لأن الظلام أخفى لون وجنتيها وهي تستدير مبتعدة. «صلعب.»

«أنت محقة، إنه اقتراح سخيف.» كان الصوت العميق حاداً وأدركت أنها قد لمست وتراً حساساً. حسن. سوف يسرها أن تؤلمه بعد الألم الذي سببه لها هذه الليلة.

«لا شك أنك تفضلين رفقة هؤلاء المهرجين الصغار الذين كنت تراقصينهم هناك؟»

التقت نظراته ورأت في وجهه القاتم خطوطاً قاسية، جعلت من المستحيل قراءة أفكاره. «نعم، كما حصل.» تجرأت وتحدته الآن ولا يوجد شيء لتخسره. «إنهم مرحون، لقد كانوا ودودين وأحبوني. ما الخطب في ذلك؟»

كانت تعابيره تشير إلى أنها لم تمنحه الجواب الذي كان يتوقعه، وبعد لحظة صمت لوى فمه في حركة بشعة. «الصدق؟ في هذه المرحلة المتأخرة؟ حسناً، حسناً.» لف ذراعيه وهو يحملق فيها بعينين ضيقتين باردتين. «وهل كنتِ رقصت معي لو طلبت منك هذا الشرف؟»

«لم يكن هناك أي خطورة في الموضوع، أليس كذلك؟» أجابت بهدوء عندما استدارت لتنظر إلى السماء الملطخة بالسواد، تصلي حتى لا يسمع نبضات قلبها. «قد اعتبر نفسي فوق منزلتي لو منحتني امتيازاً نادراً كهذا، بالإضافة إلى ذلك، إن هذا الأمر لن يروق لكلوديا.»

«كلوديا مجدداً.» كان صوته يعكس اهتمامه، مد يده إليها فجأة وأدارها حتى أصبحت أمامه أسيرة قبضته. «إنها المرة الثانية في عدة دقائق تذكرين فيها تلك المرأة بشكل خاص. هل من سبب لذلك؟»

«أنت من يجب أن يعرف.» بدا ذلك تصرفاً طفولياً، ولكنها شعرت كأنها مثل طفل صغير قد تأذى. كان في داخلها شيء يتوق إلى أن ترمي بنفسها أمامه على الرمال وتولول وتلطم وتصرخ وتبكي نفسها بقسوة. لِمَ يلعب هذه الألاعيب القاسية؟ ما هو الفرح اللعين الذي يحصل عليه من رؤيتها تتألم؟

www.rewity.com

«لندّعي للحظات أنني لا أعرف.» كان في صوته رنة حادة تشير إلى أن صبره بدأ ينفد. كثيراً ما سمعت هذه الرنة منذ أن عملت معه حتى استطاعت أن تتبين لسعتها. وما أثار دهشتها أنها وجدت نفسها للمرة الأولى غير آبهة باثارة غضبه، وكأن أسوأ ما يمكن أن يحصل قد حصل وقد حرر شيء ما. «لندعي أنني لست ذكياً جداً وأنت سوف توضحين لي الأمر.»

«آه، ما الهدف من ذاك؟» حاولت أن تبعد نفسها جانباً ولكن قبضته كانت شديدة الإحكام، وبدلاً من ذلك دُفِعت باتجاه اللحظة قصيرة. شعرت بتشنج أعصابه ودفعها بعناية إلى مسافة ذراع، وعندما تكلم مجدداً كان وجهه قاسياً.

«الهدف هو، أريد أن أعلم! الآن. أعلم أنك حتماً لا تستطيعين الانتظار لتعودي إلى المعجبين بك، ولكن أرجوكِ اضبطي نفسك لعدة دقائق فقط وأجيبيني في لغة أستطيع استيعابها، عندئذٍ سوف أزيل وجودي غير المرغوب به في أسرع ما يمكن.»

«المعجبون بي!» حملقت به. «على الأقل إنهم أصدقاء وأنا لا أتسلل في الظلام طلباً للهو. إذا اهتممت بما يكفي بشخص لأن أتزوج منه، لن أخجل من اعلان ذلك، وأنا بكل تأكيد لن أكذب في ذلك الشأن.»

«استنتج أن هذه ملاحظة تسخر مني، ولكن عليك أن تكوني أكثر تحديداً.» أصبح صوته قاسياً صلباً وأخذت أصابعه تغرز في الجلد الرقيق في ذراعيها.

«إنك تؤلمني.» حاولت أن تحرر نفسها مرة ثانية وانسدل شعرها فوق وجهها في غيوم فضية مشرقة.

«أود ذلك!» أصبح وجهه وحشياً فجأة. «صدقيني، حقاً أود ذلك، ايتها الاستفزازية الصغيرة الجميلة. أنت لم تفعلي شيئاً إلا إثارتي طيلة السهرة.»

«لم أفعل!» انحنت إلى الخلف فجأة لتنظر إلى وجهه الغاضب: «لا تستطيع أن تتهمني بذلك؛ لقد رأيتك مرة واحدة فقط وذلك عندما جررتني إلى غرفة مكتبك.»

«لا توجهي إلي تلك النظرة البريئة، فهي لن تنفع! أنت تعلمين تماماً ما كنتِ تفعلين بي، ترقصين مع كل هؤلاء الرجال الآخرين، وتسمحين لهم بامساكك...» كان صوته خشناً أجش وصدرت عنه تنهيدة خافتة عندما نظر إلى بشرتها الشاحبة في ضوء القمر. شتم بهدوء وهو يقربها منه.

«لا تفعل.»

«لا تفعل.» ردد صوتها وهو يتنهد. «إن الحاجة إلى ذلك كادت تقودني إلى الجنون طيلة الليلة، وأنت تقولين، لا تفعل.» وعانقها وحاولت دفعه فوقعا معاً فوق الرمال.

«دعني وشأني!» فاجأته في هذه المرة عندما ابتعدت فجأة ودفعته بقوة حتى أصبح مستلقياً على ظهره وانتصبت واقفة على قدميها، تاركة مسافة بينهما.

كان تنفسه خشناً وعسيراً عندما وقف بدوره، ومرر يداً فوق وجهه وهو يتكلم. «ما هي المسألة الآن بحق الجحيم؟ لم أكن أنوي الإعتداء عليك، حتى تصرخي بتلك الطريقة!»

«إذاً أردت القيام بذلك، اذهب وابحث عن كلوديا!» راحت تصرخ بصوت عالٍ، ولكنها لم تستطع التوقف. «إنها هي التي سوف تتزوج منها! هي التي سوف تعيش معك في بيتك!» كانت تقريباً لا تعي ما تقول بمزيج من الغضب والحزن، ونظر إليها

www.rewity.com

في دهشة تامة عندما قفزت بقوة، وقد تلاشى اللون من وجهها واتسعت عيناها محدقتين.

بقي هادئاً للحظة ثم وقف ببطء، وأطلق تنهيدة عميقة عندما أدخل يديه في جيبي بنطال الجينز. «واين سمعت تلك الثرثرة المفعمة؟»

«إنها ليست ثرثرة.» نطقت كلماتها ببطء عندما أخفضت صوتها. «لقد أخبرتني كلوديا بنفسها، هذا المساء. لقد اعتزمت شراء البيت كي تستطيع هي البقاء بجانب والدها بعد زواجكما. هي أخبرتني! هذا على الأقل سوف يوفر عليك نقلها إلى البيت كل ليلة... أو ربما لن تزعج نفسك؟ ربما والدها لا يمانع في أن تلعب ابنته دور مومس؟»

حدة كلماتها عبّرت عن درجة غضبها، وهالتها فجأة بشاعة تلك الكلمات. استدارت مبتعدة عنه، واضعة يديها المرتجفتين فوق وجنتيها الملتهبتين وهزت رأسها برقة. «أنا آسفة. ما كان يجب أن أقول ذلك.» طالت فترة الصمت بينهما ولم تكن تجرؤ على الابتعاد. «لا علاقة لي كيف تعيش حياتك وأي شيء هي قد تكون، أنا أعرف أن كلوديا ليست مومساً.»

أيضاً لم يقل شيئاً وأخيراً نظرت باتجاهه. كان واقفاً يتأمل البحر وكأنه منحوتة صخرية، تمثال ضخم مجمد على الرمال البيضاء، واطاره اسود تحت سماء الليل الزرقاء.

«كورد؟» همست باسمه مترددة؛ وقد أرعبها جموده.

«ماذا تعرفين عن المومس؟» لم يكن صوته غاضباً أو عالياً، فقط خالياً تماماً من المشاعر بفتور مميت أرعبها أكثر من غضبه كله.

«لقد كنت متزوجاً من واحدة لمدة ثلاث سنوات، لذا، باستطاعتك القول إنني نوعاً ما خبير.»

«ماذا؟» لم تعِ أنها نطقت تلك الكلمة بصوت عال، ولكن لا بد وأنها قد فعلت، لأنه استدار فجأة باتجاهها ووجهه مرعب لا تقوى على النظر إليه.

«آه، لم تأخذ مالاً على ذلك، فهمت، لا شيء أقسى من ذلك. لا، كانت ميغان تأخذ ثمن خدماتها من العلاقة المحرمة، وكل ذلك تحت غطاء خاتم زواج. بامكانها أن تجعل الشخص يعتقد نفسه أنه الانسان الوحيد على الأرض الذي تقيم معه علاقة، الأول والأخير، واعتقدت أن ذلك كان فقط لأجلي.» ضحك برقة ولكن كان لضحكته صوت لم تسمع له مثيلاً في حياتها قط.

«حتى عندما اكتشفت ما كانت تقوم به لم أستطع أن أصدق ذلك، ولكن حين وجدتها مع أقرب أصدقائي كنت في وضع أبعد من أن أهتم بما فعلت. وأعتقد أنني تمنيت له حظاً سعيداً تلك الليلة؛ فهو حتماً سيكون بحاجة لذلك.»

تفرست به في صمت مخيف وهز رأسه بخفة. «عودي إلى الحفلة، يا إيلين.»

«أرجوك، كورد...» تقدمت خطوة باتجاهه ولكن عينيه كانتا تنظران إلى شيء لا تستطيع رؤيته ولوح لها بتعب لتبتعد.

«عودي يا إيلين؛ عودي قبل أن أقول شيئاً أندم عليه. فقد قال كلانا الشيء الكثير.»

تركته واقفاً إلى حافة المياه ومشت ببطء بمحاذاة الشاطىء، رأسها يدور فيما حاولت أن تستوعب ما سمعته. هذا، إذاً، سبب سخريته اللاذعة في كل ما يتعلق بالإناث. إنها أبداً لم تواجه فرصة في اللحظة الأولى. لِمَ لم تلتقي به قبل أن

تضع ميغان سمومها في دمائه؟ عندما اقتربت من الأنوار والضجيج استدارت لمرة واحدة قبل أن تغادر الشاطىء. كان واقفاً حيث تركته، ينظر إلى البحر، شكلاً بعيداً أسود على خط الساحل المظلم، أكثر بعداً الآن من أي وقت.

لم تشأ أن تستيقظ في اليوم التالي. سمعت ويندي تنهض وتدخل غرفة الحمام التي تتشاركان فيها وبعد عدة دقائق سمعت اللحن المتناغم للمرشاش وكأنه يهدهد على ظهرها لتغفو. إنه لأمر مريح جداً أن لا تفكر ولا تشعر.

بعد وقت قصير كانت تدرك بشكل مبهم أن أحداً ما يسحب الستائر ويفتح النافذة كي يتسرب الهواء المالح المنعش البراق إلى غرفة النوم، وعندما تناثر شعاع من نور الشمس الساطع على وجهها، قررت أن عليها مواجهة العالم على أي حال. فتحت عينيها ببطء، متوقعة أن ترى وجه ويندي المرح.

كان كورد واقفاً إلى أحد جوانب السرير يحملق بها، وجسده الكبير يبدو قاتماً مقارنة بنور الشمس الأصفر المتدفق خلفه، وجهه صلب ونظراته غامضة. «مرحباً.»

رمقته إيلين في دهشة وفمها على شكل دائرة من شدة دهشتها، وبعد لحظة ارتسمت ابتسامة خفيفة على زاوية فمه.

«لن ألتهمك، مع أنني لن أقول إن الفكرة لم ترد على خاطري. إن الساعة تجاوزت الحادية عشرة؛ ألن تنهضي أبداً؟»

«لا يمكن أن تكون كذلك.» نظرت حولها حائرة عندما جلست في سريرها. «أين ويندي؟»

«ذهبت مع الآخرين في نزهة على الشاطىء، وأعترف أنها تمنعت قليلاً. أعتقد أنها أدركت أنني كنت سأصعد إلى هنا

وأقوم بالاعيبي معك عندما يخلو الجو.» لقد فهمت أنه لم يكن مسروراً من السخرية التي بدت في صلوته العميق.

قالت بصوت رقيق: «آه. كان يجب أن توقظني قبل الآن.»

قال بصوت خالٍ من التعبير: «لقد بدت عليك الحاجة إلى النوم. لا بد وأنني كنت أتعبك في العمل.»

«بالطبع لم تفعل.» اعترضت بسرعة ولكنها جمدت عندما انحنى ولمس الدوائر الداكنة تحت عينيها بأصابع رقيقة.

«حسناً، شيء ما يسبب ظهور هذه البقع هنا.»

كانت رقته كثيرة لتتحملها وانزلقت في سريرها مرة ثانية ورفعت الغطاء حتى ذقنها. «إذاً، سوف أرتدي ملابسي.»

«هنالك فطور خفيف بانتظارك في المطبخ عندما تكونين جاهزة.» مشى ببطء إلى الباب. «سوف أحضر بعض القهوة.»

«شكراً لك.» لم يكن هناك دفء في الوجه المتجهم ولم تعرف كيف يفترض أن تكون ردة فعلها. عندما دخلت إلى المطبخ بعد وقت قصير رأته جالساً يقرأ بعض الأوراق. ثم دفعها جانباً وراحت نظراته تتفحصها باستحسان. وثبتت نظراته على شعرها المتمايل في ربطة على شكل ذيل. وقال برقة: «أنت تبدين في السادسة عشرة عندما تسرحين شعرك بهذه الطريقة بالطبع، إلى أن يلاحظ المرء البقية.»

توردت بشكل متوهج وابتسم فيما أشار إلى مقصف الطعام البارد إلى جهة من المطبخ. «لا أحد يستطيع أن يجد الكثير بعد الليلة الماضية؛ اخدمي نفسك.» ملأت طبقاً باللحم البارد والسلطة، وقطب جبينه عندما جلست بجانبه. «أنت لا تأكلين ما يكفي.» نظرت إليه مندهشة ولاحظت بريقاً رقيقاً غريباً في عينيه الرماديتين قبل أن يستدير ليسكب القهوة.

www.rewity.com

«هل ذهب الجميع في نزهة؟» لم تستطع أن تذكر اسم كلوديا، ولكن صورة المرأة الصهباء الطويلة الأنيقة تتنزه على الشاطىء مع موظفي كورد غير ملائمة. لقد علمت أن كلوديا تعتزم البقاء؛ وقد قامت بعرض كبير في الاصرار على أن تنزل في الغرفة المجاورة لغرفة كورد عندما جال بهم في أرجاء المنزل الليلة السابقة.

تفرس بها للحظة في صمت مبهم ثم تكلم بخفة، صلوته هادىء وساخر. «اضطرت كلوديا إلى أن تغادر الليلة الماضية بشكل غير متوقع؛ أما من النواحي الأخرى فإن الحفلة كانت كما هي والجميع الآن خارجاً.»

تحول لون وجنتيها قرمزياً وارتشفت قليلاً من قهوتها الساخنة، بسبب سرعتها حرقت مؤخرة حنجرتها. لقد علم أنها تساءلت أين كانت كلوديا؛ وشعرت في معدتها بذلك المغص الذي يسببه قربه منها دائماً. هذا الرجل يستطيع باستمرار أن يقرأ ما يجول في خاطرها! وأجبرت نفسها على الابتسام بأدب. «آمل ألا تكون على غير ما يرام!»

استرخى في مقعده وهو يبتسم، وبدا واضحاً أنه قد سُر بنفاقها. «ليس حسبما أعلم.»

«حسن.»

نهض وملأ طبقه، جلس إلى الطاولة وأخذ يتناول طعامه باستمتاع، لكن إيلين شعرت وكأن كل لقمة سوف تخنقها. يجب أن تكون محصنة من تأثير هاتين العينين الرماديتين الصافيتين ولكن نظرة واحدة قادرة على تذويبها كالهلام الضعيف. هو، من الجهة الثانية، من الواضح أنه لا يقيم عدلاً حينما تكون هي معنية.

عندما عاد الآخرون بعد عدة لحظات، كان امتنانها عظيماً ودخل الجميع، في عصبة واحدة إلى الحديقة. مرت بقية اليوم بسرعة، وجاهدت بأن تتجنب كورد عندما يكون ذلك ممكناً؛ إن علمها بعزمه على الزواج من كلوديا والحقائق التي علمتها عن ماضيه في الليلة الماضية شوشت عقلها وأربكت مشاعرها لدرجة انه أصبح يوجد عملاق واحد من الألم حيث يفترض أن يوجد دماغها. أرادت أن تكون في البيت بمفردها لتتبين حقيقة مشاعرها ثم تبدأ بالتآلف مع ذلك.

كانت الساعة قد جاوزت السابعة عندما وصلت قافلة السيارات لتقل الجميع في طريق العودة. فيما كانت إيلين تهبط الدرجات وهي تحمل حقيبتها الليلية، ظهر كورد من غرفة مكتبه ونادى باسمها.

«نعم؟» نظرت إليه بحذر؛ لقد كانت تحسب الدقائق حتى تستطيع الهرب.

قال بهدوء: «لقد تلقيت لتوي اتصالاً هاتفياً من هانتن. أحتاج مساعدتك لمدة ساعتين إذا كان ذلك يلائمك؟ سوف أقلك إلى المنزل فور إنهاء العمل.»

هزت رأسها موافقة وقد غاص قلبها. ألن تنتهي أبداً هذه العطلة؟ سمعت اسمها من إحدى السيارات المنتظرة وقطب جبينه بنفاد صبر. «قولي لهم بأن يذهبوا.» إنه هو نفسه، كورد بطبيعته الأنانية، وارتسمت فوق شفتيها ابتسامة سريعة مصطنعة. قفل عائداً إلى وضع العمل. وبعد ذلك كل شيء كان أعمالاً.

بعد أكثر من ساعتين، عندما شارفا على الانتهاء، رفعت رأسها لتجد أن عينيه القاتمتين كانتا تنظران إلى وجهها.

www.rewity.com

«تعبة؟» كان صوته رقيقاً، ولكن في وجهه شيء وتَر أعصابها. «اذهبي وانتعشي وأنا سوف أسكب شرابا لكلانا قبل أن نغادر.»

نهضت ممتنة وهي تمط جسدها النحيل. لقد كان الجو دافئاً في المكتب وشعرت بالحرارة والرطوبة داخل سترتها وبنطالها، اللذين ارتدتهما طيلة النهار. «لن أتأخر أكثر من دقيقة.»

هز رأسه حائراً فيما هو ينهي كتابة آخر الأرقام التي حسبها، وعندما اجتازت القاعة التقطت حقيبتها الليلية بحركة سريعة، بعد أن قررت أن تبدل سترتها بالسترة الإضافية التي أحضرتها معها. ذهبت إلى الغرفة التي شاركتها فيها ويندي، وضعت السترة النظيفة على سريرها، وقلعت سترتها بشعور من الارتياح فشعرت بروعة نسيم الليل بارداً على بشرتها الحارة.

بعد أن رطبت أعلى جسدها بسرعة على المغسلة في غرفة الحمام وسرحت شعرها بشكل أملس، ذهبت إلى غرفة النوم لترتدي ملابسها ثانية، ما كادت تصل إلى ملابسها حتى سمعت الخطوات الثابتة الثقيلة على منبسط الدرج في الخارج، وقبل أن تتمكن من الحراك كان كورد قد فتح الباب، وهو يتكلم. «لا بد أنكِ جائعة؛ لدينا في الثلاجة كل أنواع الطعام اللذيذ...»

جمدت تحت وطأة نظراته المحدقة فيما تلاشى صوته، ثم أطلقت صرخة من الارتباك وهي تلف ذراعيها حول نفسها وكأنها تصد نظراته الصامتة.

«كنت أتكلم عن الطعام...» كان يحاول أن يكون ثرثاراً ليتدارك الوضع، ولكن لوناً أحمر قاتماً صبغ لون بشرتها

الشاحب وبدا أنه غير قادر على توجيه نظره بعيداً عنها فقال بصوت أجش: «أنا آسف. اعتقدت أنك فقط تسرحين شعرك؛ لم أتوقع أن...»

أغمضت عينيها للحظة وعندما فتحتهما ثانية كانت الرقة تصهر الوجه القاسي. «إنك جميلة جداً يا إيلين... لا شيء يدعو للخجل.»

«إنه ليس...» وجدت نفسها تتلعثم وتمنت لو أنه يغادر حتى تتمكن من الانتهاء من ارتداء ملابسها.

«هل هو أنا؟» اقترب خطوة والنار تحترق في عينيه. «لا تريدين أن أراك؟ ولكن لِمَ؟ أنت امرأة وأنا رجل؛ إذا كان هناك أحد سوف يقدر كل ما لديك لتقدميه، أنا أفعل.»

«أرجوك، كورد.»

«لا ترتعبي. لا أريد أذيتك؛ ألا تعلمين ذلك؟»

قالت بصوت هامس: «ولكنك سوف تفعل، أليس كذلك؟» وقطب جبينه وهو ينظر إليها، والعاطفة تحول عينيه إلى بركتين رماديتين، وبشرته السمراء تبدو قاتمة بالمقارنة مع جمالها.

«سوف أفعل ماذا؟»

«تأذيني.» رفعت وجهها إلى وجهه عندما تكلمت وكانت عيناها رقيقتين ومتوسلتين مثل عيني أنثى الظبي وهي مجروحة أمام الصياد. «أنت لن تريد ذلك، ولكنك سوف تفعل.»

جمدت تعابير وجهه وأجاب: «هل هذه فكرتك عني؟»

«ولكن ذلك ما أخبرتني به أنت نفسك.» اهتز صوتها فيما هي تنظر إليه: «أنت لا تريد التورط، الحب، الأشياء الطبيعية. حتى هذا الأمر مع كلوديا... أنت لا تحبها فعلاً، أليس كذلك؟»

www.rewity.com

«هل ما زلت تعتقدين بوجود شيء كالحب؟» كان وجهه بارداً جليدياً.

«بالطبع.» تناولت سترتها عندما تكلمت وتشبثت بها، مسرورة بالانحناءة لتخبيء وجهها للحظة. هل هي تؤمن بالحب؟ إنه أبداً لن يعرف مدى سخرية كلماته.

«ما تتكلمين عنه، الزواج، تذكرة للحصول على المال ثمن يدفعه الرجل.» كانت العينان الغامضتان باردتين.

«إنه ليس ثمناً، ليس كما تعتقد.» استطاعت أن تشعر بالدموع تهدد بخنق كلماتها ولكنها أرادته بيأس أن يفهم. «الزواج الحقيقي لا علاقة له بكمية الأموال التي تمتلكها أو لا تمتلكها. إنه مبني على الحب، المشاركة في السراء والضراء، العناية... لا أستطيع التورط بأي علاقة ليست مبنية على هذه الأمور.»

«أنت تتلفظين كلاماً زائفاً.» وبدا كئيباً بشكل هائل.

«لا، انظر إلى العم رون إنه متزوج وسعيد منذ سنوات، ووالداي أحبا بعضهما بعضاً حتى اليوم الذي توفيا فيه.»

قال بهدوء: «لا يمكنك أن تكوني واثقة من ذلك.»

«حسناً، والداك، إذاً؟»

قال وفي عينيه نظرة ألم: «ذلك كان شيئاً مختلفاً. حبهما هو الاستثناء الذي يثبت القاعدة. أما الذي تقولينه لي فهو من متطلبات العصر القديم. إذا أردت علي أن أدفع ثمن ذلك الزواج.»

قالت برقة: «لا، ليس ذلك ما أقوله لك.»

«لا؟» لوى فمه بمرارة. «أنت لست صادقة الآن. إذا تقدمت للزواج منك، لأجعلك آمنة في ورقة صغيرة لا تستحق كل...»

طرق أصابعه الطويلة باحتقار. «... سوف تسجدين أمام قدميّ. لا توجد أية امرأة ترفض عرضاً في الثراء الذي لا حدود له، مع الضمان لتذكرة طعام مباحة لمدى الحياة إذا لم تتم الأمور بشكل حسن.» كان في صوته غطرسة مفاجئة.

«سوف أفعل.» نظرت في وجهه مباشرة. «أستطيع أن أقول بكل صدق إنني لن أوافق على الزواج منك لو كنت آخر إنسان على وجه الأرض.» فكّرت يائسة، لأنني لا أستطيع أن أعيش معك وأنا أعلم أنك لا تحبني، يا عزيزي. أنت سوف تدمرني في أسابيع.

«لا أصدقك.» شقت نظراته طريقها إلى عينيها كأنه ينظر إلى عقلها وكرر ببطء: «لا أصدقك.» لكنها استطاعت أن ترى من الوعي المتزايد على وجهه أنه أدرك أنها تقول الحقيقة، وأصبح فمه مثل خيط أبيض رفيع.

«لو أقمت معك علاقة الآن، سوف تتوسلين لي للزواج منك.»

«يجب عليك أن تفعل ذلك بالقوة أولاً.»

«هل تعتقدين بأني لن أفعل؟»

نظرت إليه بعناية. «قد لا أعرفك بشكل جيد، يا كورد، أشك في وجود أحد يعرفك بشكل جيد، ولكنني أراهن بحياتي على أنك لن تدخل نفسك في مكان غير مرحب بك فيه.»

تجمد وابتعد عنها قائلاً: «لم أسمع أبداً مثل هذه الإهانة الرائعة محبوكة بتلك الطريقة الجميلة.» استدار ومشى باتجاه الباب ببطء. «لن أزعجك ثانية، هذا وعد مني.»

«كورد...» للحظة كادت أن تقول له إنه لم يفهم، إنها تحبه، وعلى استعداد لأن تقوم بأي شيء لأجله. لكنه استدار عندئذٍ وكان وجهه وجه انسان غريب بارد، نظر إليها بعينين

www.rewity.com

خاليتين من الانفعالات. فجمدت الكلمات فوق شفتيها، وحملقت فيه يائسة وقد أرعبها الجليد في عينيه.

أتى صوته مختلفاً وهو يقول: «سوف نتجاوز الوجبة المعدة للأكل. كوني جاهزة خلال خمس دقائق. سوف أنتظر في السيارة.»

فور مغادرته الغرفة انهارت فوق السرير وكامل جسدها يهتز من ردة فعلها. كيف حصل كل ذلك؟ أخذ عقلها يدور بجنون وتأوهت بألم. لا شيء آخر كان باستطاعتها أن تقوم به أو تقوله. ليس بمقدورها أن تجعله يعلم بحبها له؛ حتى هذا الألم أفضل لديها من العذاب الذي كانت ستعاني منه. عندئذ تأرجحت إلى الأمام وإلى الخلف فوق السرير ويداها حول جسدها. تبحث عن الراحة التي لم تكن موجودة.

كانت الأيام التالية القليلة صعبة ومشحونة، وقد تألمت إيلين بشدة لأنه لم يظهر على كورد، أية آثار للمعاناة التي كانت تتآكل روحها. صحيح، أن تصرفه كان أكثر برودة من المعتاد مع موظفيه، وهو يتقبل شكرهم على العطلة بهزة باردة خالية من الابتسام وهو يعاملها بتحفظ جليدي لم يتغير للحظة.

لقد مضى حتى الآن أكثر من أسبوع على الحفلة، وكان من المفترض أن يصل بيار أسقانا بعد ظهر ذلك اليوم للقاء كورد. تمنت إيلين لو أن ابنته لا ترافقه؛ إنها لم تر كلوديا منذ تلك الليلة في حديقة كورد وهي تبغض أي مواجهة قد تقوم بها المرأة الجميلة ذات الشعر الأحمر.

في وقت متأخر من فترة ما بعد الظهيرة سمعت أصواتاً في الخارج وغاص قلبها وهي تدرك الطرقات الحادة التي لا يمكن

أن تخطيء تمييزها، لوقع خطوات كلوديا التي سُمِعت قبل لحظة من دخولها مع والدها. وجه المرأة الأكبر سناً كان بارداً ونظرتها الرقيقة حذرت إيلين لتبقي وجهها منخفضاً ولكنها اندهشت من موقف بيار أسقانا الذي وقف بصورة طبيعية أمام مكتبها وتبادل معها التحية. لكن بعد ظهر ذلك اليوم مر مسرعاً وكأنها غير موجودة، دخل مكتب كورد مع كلوديا خلفه بخطوة واحدة قبل أن تستطيع إيلين أن تتفوه بكلمة.

صدرت عن إيلين تنهيدة ارتياح عندما أُغلق الباب. شعرت للحظة أنها مثل طائر محطم الجناحين، وكلوديا ستكون سريعة باستغلال أي موقف ضعف.

خلال دقائق سمعت أصواتاً ترتفع من الغرفة الداخلية، خمدت بسرعة، لتعود وترتفع من جديد بعد لحظة. تبينت صوت كورد بدهشة شديدة؛ لم تعهده أبداً يصرخ خلال المدة التي عملت معه فيها. إنه معروف بمحافظته على هدوء أعصابه تحت أي ظرف. رمقت الباب بتوتر؛ يبدو وكأن حرباً قد اندلعت هناك في الداخل. مهما كان الخطب؟ لم تبق تراقب لوقت طويل. فقد فُتح الباب فجأة ووقف كورد عند مدخله، وجهه الوسيم قاتم من الغضب وعيناه الرماديتان باردتان كالجليد.

«هلا أتيت لحظة إلى مكتبي، من فضلك، يا إيلين.» أخفى صوته الغضب الذي كان يحول ملامحه إلى لون قاتم؛ وكان وجهه بارداً وساكناً.

تبعته إلى الغرفة وهي تترقب شراً، لمحت عيناها الشخصين الآخرين اللذين كانا يحملقان باتجاهها. وللحظة واحدة سمحت كلوديا لنظراتها أن تنتقل وتقابل عيني إيلين، ورأت السم يقطر من تينك العينين المائلتين.

www.rewity.com

«يبدو أنه لدينا مشكلة.» كان وجه كورد قناعاً مشدوداً، وفوق عينيه ظلال منعتها من قراءة أعماقهما.

«نعم؟» نظرت مباشرة إلى وجه كورد وهي تتكلم محاولة تركيز اهتمامها عليه وعليه وحده. «هل أستطيع المساعدة؟»

صدر عن كلوديا انفجار ضحكة قصيرة. «المساعدة؟» مطّت شفتيها بعيداً عن أسنانها البيضاء الصغيرة في حركة ساخرة جعلت مظهر وجهها الجميل يبدو مثل صورة رسم كاريكاتوري ساخر. «أعتقد أنك فعلت ما فيه الكفاية.»

«كلوديا!» انطلق صوت والدها مثل طلقة مسدس. «دعي كورد يتولى هذا الأمر.»

«إيلين.» انحنى كورد باتجاه مكتبه فيما هو يتكلم متجاهلاً تماماً وجود الشخصين الآخرين. «هل تذكرين بعض الأوراق كنت قد طلبت منك العمل فيها منذ أسابيع قليلة لها علاقة بالأمور المادية للمؤسسة المندمجة؟ إنها تتضمن مصالح بعض الممولين وفيها كل شيء بالتفصيل.»

«لست واثقة من ذلك.» عقدت حاجبيها وهي تحاول أن تتذكر. «كان يوجد العديد من التقارير والرسائل بحاجة للترجمة.»

«تذكري جيداً. إنها مسألة مهمة جداً.» كان صوت كورد مشجعاً وهو ينظر إلى عينيها.

«آه، إن هذا شيء محزن حقاً.» تحركت كلوديا بعدم ارتياح في مقعدها، وهي تضع قدماً فوق قدم، ثم تعيدها إلى مكانها. «ولماذا كل هذا الأمر؟ إنه شيء واضح، أليس كذلك؟ بالله عليك...»

«كلمة إضافية واحدة وأنا شخصياً سوف اتولى أمر

إخراجك من هذا المبنى. هل هذا واضح؟» استدار كورد باتجاه كلوديا بوحشية جعلتها تقفز والآن علا وجهها لون أحمر من الغضب. ووجهت نظرة رجاء حادة باتجاه والدها، لكنه كان ما يزال يحملق أمامه بوجه ثابت متحجر.

«أنا أعرف من تعني.» عادت عينا كورد لتتثبت فوق وجه إيلين الشاحب عندما تكلمت. «لقد أبقيناها محفوظة في الخزانة إلا عندما كنا نعمل فيها بالفعل؟»

«نعم.» استرخى بخفة. «كان يوجد نسختان فقط من بين كل الوثائق؛ أنا أملك واحدة وبيار يملك الثانية. لقد اعتقدنا أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات الضرورية للحفاظ عليها بسرية تامة ولكن الآن يبدو أن شركة منافسة قد وضعت يديها على إحدى النسخ. ولحسن الحظ أنا أعرف المدير المسؤول معرفة قوية، وعندما نقل له أحد مرؤوسيه هذا النبأ المثير اتصل بي هاتفياً في الوقت نفسه كي يضعني في الصورة، التي في تلك الظروف كانت سخيفة بشكل مطلق. هذا يعني أن الاتفاق بكامله أصبح الآن شائعاً. إذا شاء منافسنا أن يعلن عن هذه الوثائق للعامة، سوف يسبب ذلك متاعب غير ضرورية، وبيار وأنا سوف نخسر مبلغاً معتبراً من المال.»

«أنا أفهم ذلك.» قالت إيلين ببطء، مع أن شيئاً لم يكن قريباً من الحقيقة. «كيف أستطيع المساعدة؟»

«باطلاعنا على أسماء المتعاملين معك وعلى القيمة التي سيدفعونها لك.» كانت عينا كلوديا اللامعتان مليئتين بالحقد والكراهية.

«هذا يكفي!» وقف كورد على قدميه بسرعة وفي لحظة دار حول المكتب. «لقد حذرتك، يا كلوديا.»

«أرجوك، يا كورد.» وقف بيار أسقانا أيضاً ووضع يداً متعبة فوق كتف صديقه. «كان هذا الأمر صدمة لنا جميعاً ولا داعي لمزيد من الجدال، أرجوك. ألا نستطيع أن نناقش الأمر مثل الراشدين المنطقيين؟ أنا لا أتهم أحداً في هذا الوقت.»

«أنا أفعل!» عزمت كلوديا على نيل نصيبها من هذا الموضوع.

«هل تعتقد أنني بعت هذه الأوراق لشخص ما؟» كان وجه إيلين شاحباً فيما هي تنظر إلى وجه كورد مباشرة. «هل هذا كل ما يجري حوله هذا الموضوع؟»

سمعته يأخذ نفساً عميقاً قبل أن يجيب، وصوته هادىء ورقيق: «لا أحد يتهمك، يا إيلين. لا يوجد أي دليل على شيء. لسوء الحظ لا يوجد أحد سوى نحن الأربعة يعرف طريقاً للوصول إلى الوثائق في أي وقت طالما نحن نعلم ذلك، ولذلك اضطررت لأن أسألك إذا كنت تعلمين شيئاً لا أعلمه. ربما قد حضر أحد عندما كنت تعملين في تلك الأوراق؟ تركتها بالصدفة لليلة فوق مكتبك؟ شيء كهذا؟»

«لا.» لم تبعد نظرها عن وجهه. «إنها دائماً أقفل عليها ثانية. ما زلت أحتفظ بالمفتاح الإضافي للخزانة.»

«نعم، أنا أعلم.» نظر إليها بهدوء.

«تملكين مفتاحاً؟» صرخت كلوديا بتلك الكلمات، وقد علت وجهها الملتهب علامات الرضى التام التي لم تخف على أحد.

«حسناً، هذا لب الموضوع، إذاً! لم تخبرنا أنها تملك مفتاحاً.» حملقت في كورد شاحبة الوجه.

قال بصوت متحجر: «هذا ليس من شأنك.»

ردت بحدة: «ليس من شأني؟ آه، رائع، رائع! كورد لاشوني

العظيم يقع في مصيدة سكرتيرة صغيرة وسوف يواكب العصر! لا أستطيع الانتظار حتى يكتشفوا الموضوع حول ذلك. أنت سوف تكون موضع سخرية الجميع، يا عزيزي. مصداقيتك سوف تكون لا شيء، صفراً حجرياً بارداً!»

«إحضارك إلى هنا كان غلطة.» صوت بيار أسقانا الهادىء أوقف فجأة الخطبة المسهبة العنيفة الحقودة. فيما هو ينظر إلى ابنته الوحيدة، كان يعلو وجهه أثر رمادي وعيناه كانتا غامضتين، وشيء ما في الوجه النحيف المجعد جعل كلوديا ترفع يدها إلى فمها.

«أنا آسفة، يا أبي.» مدت له يداً ولكنه أبعدها جانباً واستدار نحو كورد ببطء.

«أعتذر لك على هذه المماحكة المضحكة في اللقاء، يا كورد. لقد اعتقدت أننا نستطيع سبر غور هذا الموضوع، ولكن يبدو أن ذلك ليس بهذه البساطة. سوف تقوم بالتحقيقات؟» هز كورد رأسه ببطء. «سوف أكون في المنزل إذا احتجت إلي.»

مشى خارجاً من المكتب وهو ينحني قليلاً إلى الأمام وكأن مرضاً قد ألم به، وكلوديا تسير بصمت خلفه. راقبهما كورد يغادران وتعبير عميق من الاهتمام يعلو وجهه، وعندما تلاشى صوت وقع أقدامهما استدار لمواجهة إيلين التي كانت ما تزال جالسة على مقعدها مجمدة من الصدمة.

«يجب أن أجري تحقيقاً، هل تفهمين؟» هزت رأسها فاقدة الاحساس. «ألا يوجد شيء تريدين قوله لي، أي شيء كان منسياً؟»

حملقت به فيما تجمد الدم في عروقها. «تعتقد أنني من فعل ذلك، ألا تفعل؟» نهضت عن مقعدها حتى أصبحت واقفة أمامه،

www.rewity.com

ووجهها شاحب وعيناها متسعتان من الألم. قالت وهي تصرخ: «أنت تصدق كل كلمة قالتها كلوديا!»

«هدئي من روعك.» نظر إليها ببرود. «إنك تصبحين هستيرية.»

«هستيرية!» لقد علمت أن ذلك لا يقنع العقل المحلل، الصعب، ولكن كل الألم المتراكم منذ أسابيع تفجر فجأة في سيلان غضب ما كانت تستطيع إيقافه حتى لو حاولت. «كنت في انتظار حدوث أي شيء لتثبت أنك على حق، أليس كذلك؟ أي شيء! تنسى إذا كانت الحقيقة أم لا!» تجمد وجهه القاتم. «حسناً، لن أبقى هنا حتى تستجوبني أنت أو أي شخص آخر! تستطيع أن تهتم بعملك الثمين، يا كورد لاشوني. أنا أنسحب!»

عبرت الغرفة وذهبت إلى مكتبها، ووجنتاها تلتهبان بلون قرمزي و أذناها تطنان بطريقة جعلتها صماء. رأت أن الباب المؤدي إلى المكتب الرئيسي كان مفتوحاً والجميع متوقفون عن العمل، فخيم صمت مطبق.

تبعها كورد إلى مكتبها، لطم الباب فأغلق بقوة بعدما حملق غاضباً في موظفيه جاحظي العيون. «ماذا تعتقدين أنك تفعلين؟»

كانت ترمي ببعض الأشياء الشخصية الموجودة على المكتب داخل حقيبتها، بحركات سريعة مرتبكة، وكامل جسدها يرتجف وكأنها كانت تقف على حبل. «ماذا يبدو أنني أفعل؟» صرخت تقريباً بتلك الكلمات في وجهه وللحظة بدا وكأنه سوف يضربها لشدة غضبه.

«يبدو وكأنك قد أصبت بالجنون!» لقد كان يصرخ الآن وفي وسط آلامها شعرت للحظة برضى عميق لأنه لمرة واحدة لم

يكن في سيطرة تامة على أعصابه. «أنا من يجب أن يثور غاضباً لا أنت!»

«آه، اذهب إلى الجحيم!» كانت أبعد من الخوف أو أي تفكير منطقي. لم تشعر قط مثل هذا الغضب التام: «منذ اليوم الذي التقيتك فيه لم أعرف شيئاً إلا المآسي وقد نلت ما يكفي! أكثر مما يكفي! لم آخذ أوراقك الغبية التي لها علاقة بالاعيب قوتك الصغيرة، ولكنني أتمنى لو أنني فعلت. أي شيء لرمي مفتاح إلى أعمال الآلة البشرية العظيمة، كورد لاشوني!»

كانت عيناها تلتهبان بغضب جعله يقف صامتاً. «لقد نعتني بالغشاشة والمزورة، أبداً لم تصدق أية كلمة قلتها...» كان في الجهة الثانية من المكتب وفتحت الباب قبل أن يتمكن من الحراك، وعندما خطت خطوة واسعة مبتعدة إلى المكتب الخارجي تقدم ليتبعها لكنه توقف فجأة عندما لاحظ وجوه موظفيه المهتزة بحركة تنم عن عدم التصديق. جمد للحظة ثم استدار باتجاه مكتبه وصفق الباب بقوة جعلت قطعة من الجص تقتلع نفسها من السقف وتقع محطمة على الأرض.

www.rewity.com

الفصل التاسع

لم تع إيلين أبداً كيف وصلت إلى شقتها؛ وبقيت رحلة العودة صفحة بيضاء، إلى الأبد في ذاكرتها. لقد كانت ترتجف بشدة لدرجة أنها استغرقت عمرها كله كي تضع المفتاح في القفل، ودخلت إلى الغرفة الهادئة، المضاءة بأشعة الشمس عندما فُتح الباب. نظرت حولها في صمت مذهل. الصور المقولبة نفسها كانت معلقة على الجدران، صحون طعام الافطار كانت منتظرة حتى تُغسل... كل شيء كان كما تركته هذا الصباح. لقد تمزق عالمها إلى ملايين الأجزاء الصغيرة ومع ذلك لم يكن هناك شيء يشير إلى ذلك.

اتصلت بالمطار قبل أن تنزع معطفها. «نعم، آنسة مارسيل، يمكننا حجز تذكرة.» الصوت الذي أتاها كان مساعداً بشكل هادىء. «يجب أن تكوني في المطار من أجل تأكيد الحجز عند الساعة العاشرة. موافقة؟ حسناً. رحلة ممتعة.»

بقيت جالسة في شبه غيبوبة لمدة ساعتين على الكرسي فيما فترة ما بعد الظهر تتحول إلى الغسق وظلال المساء الزرقاء تزحف إلى الغرفة. ايقظها من استغراقها في التفكير طرق حاد على الباب. فتحت الباب وهي ما تزال في حالة ذهول، لتجد هيئة كورد الضخمة تسد الباب.

«لا أريد التحدث إليك.» كان صوتها ضعيفاً ولم تفتح الباب أكثر.

«مع ذلك، سوف نتحدث.» قال عابساً، وعيناه تجولان فوق

وجهها الشاحب بتمعن: «نستطيع التحدث هنا في الممر أو في شقتك.»

ترددت للحظة فدفع الباب جانباً وتجاوزها، واستدار لمواجهتها عندما وصل إلى منتصف الغرفة، ذراعاه متشابكتان وقدماه الطويلتان القويتان متباعدتان. «هل ستكونين واعية أم ما زلنا نلعب مسرحية هواة؟»

«إذا كنت بذلك تسأل إن كنت سأعود إلى العمل معك، فالجواب هو لا.» كانت مسرورة للامبالاة المنحدرة التي غلفت عقلها؛ واكتشفت أنها لم تتأثر بنظراته الغاضبة.

«لا أعتقد أنك في أي وضع يسمح لك باتخاذ قرار في ذلك الشأن.» قال ببرود، وقد رق صوته بالتهديد. «هناك أمور أبعد من مصلحتك فقط في الرهان، بالتأكيد؟»

«أنت تعني تيم؟» نظرت إليه بعينين صافيتين متسعتين. «أنا لست مسؤولة عن أخي بعد الآن، يا سيد لاشوني.» بعدما نطقت اسمه تجهم وجهه ولكن عينيه الرماديتين بلون الفولاذ لم تتحركا. «سبب وجودي في هذا المأزق هو لأجل تيم، ولأول مرة أستطيع أن أرى الأمر بوضوح منذ بداية كل هذا. أنا لا أقدم له أية مساعدة بلفه بنسيج صوفي. حان الوقت ليواجه عواقب أعماله.»

«وأعمالك؟ هل أنت مستعدة لمواجهة المحاكمة والاعتراف بدورك في هذا الأمر؟»

«أول مرة علمت شيئاً عن الاختلاس كان عندما تحدثت إليّ في المكتب تلك الليلة.» حملقت به غاضبة. «جيني وزوجها سددا الأموال التي أخذتها جيني منذ سنوات وأنا استخدمت تلك الأموال لأجل رحلتي. لا أخشى مواجهة أي محاكمة لأنه عند

www.rewity.com

حدوث ذلك ساكون قادرة على الاتصال بجيني والطلب منها تاكيد كلامي. أنا لم أر قرشاً من أموالك، صدق أو لا تصدق. أنا حقاً لا أهتم.»

«تريدينني أن أصدقك بأنك تقيدين نفسك لي لمدة سنة ليبقى شقيقك حراً؟ وأنك لا تخشين على نفسك؟»

«أنا لا أسألك أن تصدق شيئاً.» قالت ببرود. «لقد انتهيت من كل ذلك. أستطيع اثبات ما قلت وهذا كل ما يهم الآن.»

سأل بهدوء: «وهذه المصيبة الأخيرة؟ ألا تعتقدين أنك بهروبك تعترفين بذنبك؟»

«لست مذنبة.» رفعت رأسها بفخر. «أنا أعلم ذلك، وليذهب الباقون إلى الجحيم.»

«هذه المرة الثانية اليوم تقولين لي أين أستطيع أن أذهب، وأي من المرتين لم يكن مكاناً أنا قد أختاره.» قال وهو شارد الذهن ولهجته معلنة بشكل أعلى من المعتاد. «ما الذي يجعلك تعتقدين أنني أوافق كلوديا على اتهاماتها؟»

قالت ببرود: «لا أهتم إذا كنت توافقها أم لا، فأنت حتماً لم تعارض. لقد تركتها تتهمني من دون أن توجه كلمة دفاع.»

«ذلك ليس صحيحاً.»

«في كل الأحوال، سوف أغادر غداً. لقد حجزت تذكرة سفر وساكون في بيتي في انكلترا خلال المساء.» تهدج صوتها قليلاً فيما هي تتكلم. فقد تملكها فجاة حنين غريب قوي لرؤية تيم وعمها وأن تكون على تراب الوطن.

«لن أسمح لك بذلك!»

«أنت لن تسمح بذلك! ليس لك كلام في هذا الموضوع. أنت لا شيء بالنسبة لي.» أحنت نظراتها وقد وعت كذبتها.

قال عابساً: «لقد أوضحت ذلك في الماضي. كوني حذرة، يا إيلين، لن أتراجع عن كلامي. سوف أراك أنت وتيم في المحكمة أولاً.»

«ليكن الأمر كذلك.»

«اسمعي، توقفي عن ذلك.» مشى خطوة باتجاهها، وعيناه أصبحتا فجاة عيني كورد أصغر سناً. «لا تذهبي بتلك الطريقة. لا تجعليني أحاربك.»

«لا أستطيع البقاء.» وسألته في سرها: كيف أستطيع وأنا أحبك بهذه الطريقة؟

«أرجوك، إيلين.» تكون لديها انطباع بأن الرجاء كان غريباً عن شفتيه، ولكن على الرغم من كل شيء فقد ومض بريق الأمل بسرعة.

سألت ببطء: «لِمَ تريدني أن أبقى؟»

حملق بها بصمت لدقيقة كاملة وعيناه محجوزتان في معركة ما تضطرم بعنف في داخله، وظهرت على الفم القاسي والفك المربع المشدود. ثم هز رأسه بيأس.

«ألا يكفي أنني سألتك؟»

«كلا، لا يكفي.» كان صوتها صرخة ليتفهمها.

«لا أستطيع أن أتغير.» قال وفي صوته لمسة من العجرفة مما شدد من عزمها. «أنا كما أنا. آخذ ما أريد حتى أمل منه؛ كل الرجال يفعلون ذلك. فقط أنا أكثر صدقاً من معظمهم.»

«أنت لم تأخذني.» لم تكن تعني أن تتفوه بتلك الكلمات التي صدرت رغماً عنها، ولكن بدا الأمر وكأنها قد أهانته، ونكرته بضعف يحاول أن ينساه.

قال برقة: «ربما كان ذلك غلطة. ربما كان يجب أن أنالك تلك

الليلة، بغض النظر عن براءتك. ما كان يهم لو انك كرهتني في الصباح؟ فأنت تكرهينني على كل حال.»

«أنا لا أكرهك.»

جذبها نحوه بشكل مفاجيء. «لقد سئمت من الكلمات. أنت فقط مثل أية امرأة؛ ولا تفهمين غير أمر واحد.» وعانقها قائلاً: «لن أسمح لك أن تتركيني؛ أنت لي حتى أقول خلاف ذلك.»

كان عناقه قوياً. «إذا لم استطع شيئاً آخر، أستطيع أن أجعلك تريدينني، أليس كذلك؟ قولي إنك لي... قوليها.»

اضطرارها للتفكير دفع عقلها قليلاً إلى الواقع، فحاولت التحرك «كورد...»

تركها وأخذ ينظر إليها وفي وجهه لون قاتم غريب معذب. «هنالك المزيد، فقط لو تتصرفين بحرية معي. أنا أريدك، يا إيلين. إنك طعامي ونومي وأنفاسي. هذا الأمر يكاد أن يقودني إلى الجنون. بامكاننا أن نكون جيدين معاً، أنت تعلمين أنه بامكاننا ذلك.»

لم تستطع في البداية أن تجيب، ولكن عندما هدأت أنفاسها وبدأت دقات قلبها المجنونة بالسكون نظرت إلى وجه المنتظر بعينين حزينتين. «لم أشك للحظة بأننا سنكون جيدين معاً.» عندما لاح أمل فوق وجهه لوحت بيد محذرة. «ولكن ذلك لا يكفي، هل يكفي؟ ليس لي أنا. كم من الوقت سيدوم؟ سنة، ربما سنتين. أنا شيء جديد بالنسبة إليك الآن، لعبة جديدة.» كاد أن يجيب لكنها أوقفته بهزة من رأسها. «هذا صحيح، يا كورد. أنظر إلى قلبك.»

«أنا أعرف ماذا في قلبي.» كان صوته خشناً.

«وأنا أعرف ماذا في قلبي. لا أستطيع أن أكون كما تريدني

أن أكون. يوجد مئات الفتيات في الخارج قد يقفزن لاغتنام هذه الفرصة وإقامة علاقة معك، ولكنني لست واحدة منهن.»

«ماذا لو قلت إنني سوف أتزوج منك، ما سيكون رأيك عندئذ؟» كانت عيناه تتخللان عينيها.

«حتى لو فعلت، فذلك لن يغير شيئاً. أنت لا تفهم، هل تفهم؟ أنت حقاً لا تدرك. إننا لا نحب بعضنا بعضاً، والعلاقات ليست كافية بالنسبة لي؛ وفي النهاية لن تكون كافية بالنسبة لك.»

«أنت تطاردين قوس قزح، يا إيلين.» مشى عبر الغرفة بعيداً عنها فيما هو يتكلم، وكان وجهه مزيجاً من الألوان. «تطاردين نوعاً من المشاعر الخدّاعة فيما الشيء الحقيقي يبرز أمامك بشكل واضح. الحب هو الإنسجام الحسي بين أي شخصين، إنه يبدأ وينتهي بذلك. قد يرسم الشعراء والكتاب صوراً خيالية، ولكن الانسجام الحسي هو ما يؤخذ بعين الاعتبار. نحن نملك ذلك، أنا أعرف هذا.»

«هل هذا ما كان بينك أنت وميغان؟» كان لزاماً عليها أن تسأل. كان من الجنون أن تشعر بالغيرة من أمر انتهى منذ سنوات، ولكنها تشعر بذلك. لقد كانت المرأة الوحيدة التي تزوج منها.

«لم تجعل الأرض تهتز. إذا كانت تمتلك ما تعنين.» كانت نظراته مريرة. «لدي احساس بأنك تستطيعين. ولكننا لن نعرف أبداً، هل سنعرف؟ لِمَ يجب أن تكون الأمور معك دائماً، إلى الأبد؟ لِمَ لا تعيشين ليومك فقط؟»

قالت بسرعة: «لأن أيام الغد كثيرة.»

«هل أنت مصممة على المغادرة؟»

واجهته بقوة: «نعم. يجب عليّ ذلك.»

«كيف ستذهبين إلى المطار غداً؟»

www.rewity.com

«ماذا؟» حملقت به مندهشة. تغيير الحديث ضيعها للحظة.

«آه، في سيارة الأجرة. لقد حجزت واحدة منذ قليل.»

قال بفظاظة: «الغي ذلك.»

«أنظر، أعتقد اننا اتفقنا...»

«لم نتفق على شيء، ولكن هذا لا يعني أنه يجب ألا تذهبي. إذا أصررت على انتحار مهين وأخذ تيم معك فهذا شأنك، ولكنني لن أدع أياً من الموظفين لدي يكابد في الوصول إلى المطار في بلد غريب ودفع ثمن هذا الامتياز.»

أخبرته مندهشة، أنها لا تستطيع أن تفهمه، إنه لغز كبير.

«سوف أصل إلى أعماق هذه المهزلة حول الوثيقة، يا إيلين.» ولم تستطع التأكد من الصوت البارد إذا كان وعداً أم تهديداً. «وسوف أكون على اتصال بك. أعتقد بأنك تقومين بخطأ فظيع إذ تغادرين قبل الانتهاء من هذا الموضوع، ولكن إذا كنتِ مصممة...؟» هزت رأسها ببطء. نظر إليها نظرة أخيرة طويلة ثم غادر بهدوء، وتركها حائرة ومحطمة القلب أكثر من أي وقت مضى.

حضر في اليوم التالي كما وعدها. توقف قلبها ثم أخذت نبضاتها تتسابق بسرعة غريبة وهي تهرع لترد على خبطاته القوية على الباب. وجدته يتكأ بكسل إلى الجدار الخارجي، وجهه بارد وهادىء وعيناه مبهمتان. «جاهزة؟» كان صوته عادياً وحتى غير مكترث؛ لقد بدا واضحاً أنه قد سيطر على عاطفته نحوها وكان مستعداً لمواجهة الأمر المحتوم من دون البؤس الملازم، الذي سيطر على إيلين وأبقاها مستيقظة معظم الليل الفائت.

أرادت أن تروي نظرها من رؤيته وتتفرس بكل جزء من

وجهه القاسي، القاتم. هذه حتماً المرة الأخيرة التي ستراه فيها، إلا إذا حضر شخصياً اجراءات المحاكمة التي هدد باقامتها. لكنه مر أمامها، حمل حقيبتيها وعاد إلى الرصيف الخارجي. «مفتاحك؟» سلمته المفتاح بصمت، اقفل الباب ثم دس المفتاح في جيبه.

«كنت سأسلمه إلى البواب عند مغادرتي.»

نظر إليها بعينين يصعب سبر أغوارهما. «ذلك ليس ضرورياً؛ سوف أتولى الأمر.»

عندما غادرا المبنى كان الجو ممطراً قليلاً، والهواء منعشاً ونظيفاً، برودته مفعمة برائحة الخريف. «لن يكون هناك أوراق على الأشجار عندما أصل إلى البيت.» كانت تفكر بصوت عال عندما حملقت حولها لآخر مرة إلى الشارع الذي ألفته.

«لا أعتقد ذلك.» نظراته القاسية آلمتها.

جلست داخل السيارة فيما كان كورد يضع الحقيبتين في الصندوق. كانت مستعدة للتضحية بأي شيء من أجل الشعور المخدر الذي ألم بها في اليوم السابق وسيطر على كل أحاسيسها، ولكن لن تكون هناك راحة مماثلة في هذا اليوم. كل شيء كان مشعاً. واضحاً كالبلور، بحدة آلمتها.

عندما دخلا موقف السيارات الكبير في المطار مات في صدرها آخر أمل ضئيل بمهلة تؤجل الأمر المحتوم، لقد أدركت في تلك اللحظة أنها كانت تأمل في سرها أن يراودها بغباء، غير قادرة على التصديق بأنه سيتركها ترحل إلى الأبد، تنتظر أن تسمعه يقول إن كل ذلك كان خطأ مع كلوديا وأنه يحبها، إيلين، أنه لا يستطيع أن يحيا من دونها... ابتسمت ساخرة من نفسها بمرارة.

www.rewity.com

«من الأفضل أن تضعي هذه في حقيبتك.» كان قد نادى حمالاً ليهتم بالحقيبتين وكان يقف هادئاً بجانب السيارة عندما نظرت إليه بعينين خاليتين من التعبير.

«ما هذا؟» نظرت إلى المغلف الذي كان يحمله.

«ثمن تذكرة السفر، مع ما يكفي حتى تعثري على عمل آخر.»

استدارت إيلين فجأة وحملقت في الوجه القاتم. «هذا ليس ضرورياً. أرجوك، لا أريده.»

«لا تكوني عنيدة. لقد استحققت كل قرش. إنه من ضمن اتفاقنا أن أدفع لك ثمن تذكرة السفر ذهاباً والقليل الذي يحتويه هذا المغلف هو أقل شيء يمكن أن يفيك حقك.»

«لا أستطيع أبداً أن أفهمك.» وضعت يداً صغيرة على صدره العريض ونظر إلى رقتها، وتقلص وجهه فجأة.

«هذا شيء متبادل، يا إيلين، الوداع.» لم يحاول معانقتها، انزلق بسرعة داخل السيارة وانطلق في الحال مع صرير قوي للاطارات الملتهبة. لقد ذهب! تركها، هكذا بكل بساطة، من دون كلمات لطيفة لتهدئة الجو. شعرت أنها ثملة من الألم، وترنحت قليلاً في الهواء البارد فيما هي تحملق إلى مؤخرة السيارة حتى توارت في رذاذ المطر الضبابي.

«إيلين! هنا!» عندما خرجت من الجمارك من حقيبتيها رمشت لدى رؤية عمها وتيم يقفان إلى جهة مع الحشود المنتظرة.

«ماذا تفعلان هنا؟» لقد كانت تعلم أنها على وشك أن تنفجر

بالبكاء؛ لقد كانت دموعها تتجمع في داخلها مثل سد يكاد أن ينهار.

«لقد اتصل كورد بي الليلة الماضية.» أخذ عمها حقيبة وانتشل تيم الثانية، عندما قاداها من الممر الخاص بالمسافرين العائدين قبل أن يتوقفا ويعانقاها بحرارة. «قال إن هناك بعض الأمور المزعجة وإنك يائسة جداً. لم يشأ أن تصلي المطار من دون وجود أحد لملاقاتك.»

كانت القشة التي قصمت ظهر البعير! انهار السد وتدفقت دموعها غزيرة، اجهشت بالبكاء، وارتمت بينهما. «إيلين، عزيزتي...» لم تكن تدرك أنهم يمشون ولكن في خلال دقائق وجدت نفسها تجلس على مقعد في المقهى الصغير والرجلان يربتان على يديها بالطريقة التي يتصرف بها الرجال عادة عندما يكونون في ضياع تام إزاء كيفية التعامل مع دموع امرأة.

«أنا آسفة...» كان ذلك بعد خمس دقائق عندما أصبحت قادرة على السيطرة على تنهداتها ونحيبها الذي كان يهز جسدها، ولكن هذا النحيب المؤلم حررها وأشعرها بالراحة والاطمئنان.

سردت إيلين أثناء تناولهم القهوة أحداث الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة والتي بلغت ذروتها في مغادرتها فرنسا. نظر إليها عمها حائراً عندما أنهت كلامها. «لكن ما الذي يجعلك تعتقدين أن كورد يشك بك؟ فهو لم يلمح إلى ذلك بأي شيء عندما اتصل.» نظر إليها بغرابة. «هنالك أمر لم تخبريني به، يا طفلتي، ومن التعابير الظاهرة على وجه تيم يبدو أنه يعي كل ما يجري.»

اختلس تيم نظرة إليها ثم استدار إلى عمه، تعبير من الخجل

www.rewity.com

جعل عينيه البنيتين حزينتين. «في الحقيقة كل شيء بسببي يا عمي رون، فالسيد لاشوني اعتقد دائماً أن إيلين متورطة في عملية الاختلاس.»

«ماذا؟» استدار عمها إليها بوجه عابس بشدة. «ألم تقولي له إن لا علاقة لك بالأمر؟»

«بالطبع فعلت.» حركت إيلين يدها فوق وجهها الرطب الحار بقلق. «ذلك لم يغير شيئاً في الموضوع؛ لقد صمم على رأيه منذ البداية وهذه هي المسألة برمتها. لا أعتقد أنك تستطيع أن تلومه حقاً؛ وإن...»

«بالطبع أستطيع أن ألومه!» كان عمها شاحب اللون، وجهه المجعد يتحول إلى ظلال قاتمة من اللون الأحمر. «اعتقدت أن كورد أكثر عقلانية! إذاً...» توقف وعقد حاجبيه وأدركت إيلين ما سيعقب. «العمل؟ لِمَ منحك عملاً جيداً كهذا؟ لا أستطيع أن أفهم شيئاً من هذا.»

«العمل كان نوعاً من العقاب.» كان صوت تيم حاداً. «أنت تعرف عقابي، حسناً، لقد كانت إيلين التي نالت العقاب الأسوأ حقاً. كان يجب عليها أن تذهب وتعمل لديه لمدة سنة تقريباً من دون أجر والعمل في أي ساعة يشاء، و...»

«لم يكن الأمر بهذا السوء.» قالت إيلين بسرعة، لم تعجبها الصورة التي كان شقيقها يرسمها لكورد. «لقد عاملني بطريقة حسنة جداً، كما حدث. استلمت شقة رائعة وكان العمل ممتعاً. إنها كلوديا التي جعلت الأمور صعبة.»

قال عمها بشرود: «أتذكر الآنسة أسقانا في الماضي. لقد كان بينهما نوع من العلاقة منذ وقت طويل، ولكن بعدما انتهت إلى الفشل طاردت كورد لعدة أشهر؛ لقد كان الأمر بكامله

مربكاً. كان ذلك تصرفاً معيباً فهو يحترم والدها ويقدره جداً.»

قالت إيلين بثبات: «حسناً، أعتقد أنه مهما كان من أمر علاقتهما، فقد انبعثت من جديد.»

«ماذا؟» نظر إليها عمها بعنف حتى أدارت وجهها فيما اجتاحت وجنتيها حمرة دافئة. وأضاف بصوت رقيق متفهم: «آه، إيلين. الآن فمهت.»

«ماذا فهمت؟» نظر تيم بين أحدهما والآخر، وهو يشعر أن هنالك أمراً جوهرياً لم يفهمه. «ماذا في الأمر...؟» وتلاشى صوته عندما نظر في أعماق عيني شقيقته التوأم. «آه، ايتها المغفلة الكبيرة.» كان صوته حاداً ولكنه متعاطف. «لتقعي في حبه من دون الناس أجمعين، لا بد أنك قد أصبت بالجنون.»

«اخرس، يا تيم.» قد يكونان متفهمين، ولكن إيلين شعرت فجأة انها لا تستطيع تحمل الشفقة. «لا أريد التحدث في هذا الموضوع. سوف أستريح في مكان ما لعدة أيام كي ألملم شتات نفسي. أتوافق؟» نظرت إلى عمها.

هز رأسه ببطء. «بالطبع؛ أنت امرأة راشدة تعودت على اتخاذ القرارات. ما هو وضعك بالنسبة للمال؟»

«حسن.» لم تستطع أن توقف العلامات الحمراء التي اعتلت وجنتيها من جديد. «اشترى كورد لي تذكرة العودة ودفع علاوة؛ ولكنني لم أعرف المبلغ إلا بعدما أصبحت في الطائرة. سوف أعيد له أمواله عندما أجد عملاً.»

هز عمها رأسه ببطء. «حسناً، حسناً. هذا ليس أبداً كورد الذي أعرفه. لقد ادهشني كل ما في هذا الأمر.» نظر إلى عيني ابنة أخيه البنيتين القاتمتين الرقيقتين وشعرها الأشقر الحريري، وضاقت عيناه وهو مستغرق في التفكير. «لكن ربما

ما كان يجب أن اندهش. كل شخص قوي يواجه هزيمة حاسمة في مرحلة ما.»

«ماذا؟» شردت إيلين عن موضوع الحديث، وابتسم لوجهها الخالي من التعبير.

«لا شيء، يا طفلتي، لا شيء.» ربت على يدها. «لنذهب إلى البيت. سوف تبقين معنا الليلة ثم نبحث في موضوع الإجازة.»

سمعت إيلين في وقت باكر من صباح اليوم التالي رنين جرس الهاتف في القاعة الصغيرة في منزل عمها. لم تنم بشكل حسن، بل كانت تغرق وتطفو في دوامة من الكوابيس المرعبة وعقلها يبحث عن الراحة في عالم اللاوعي المظلل.

«إيلين.» سمعت صوت عمها من وراء الباب بعدما طرق برقة عليه.

«نعم؟» جلست بسرعة فوق السرير الضيق الصغير.

«كورد على الهاتف. إنه يريد التحدث إليك. لقد أخبرته أنك قد لا ترغبين في التحدث إليه!»

«لا، لا بأس.» كان قلبها ينبض بقوة لدرجة آلمت صدرها. «قد يكون أمراً مهماً؛ أفضل أن أتحدث إليه.»

أرتدت مئزرها ودست قدميها في خف دافىء، ربتت فوق وجه عمها المهتم عندما مرت أمامه على ردهة الدرج، ونزلت الدرجات المغطاة بالسجاد على قدمين مرتجفتين. التقطت سماعة الهاتف بتوتر. «ألو؟»

«إيلين؟ كيف حالك؟» تناهى إلى مسامعها ذلك الصوت العميق المألوف عبر الأسلاك وشعرت بركبتيها ترتجفان وجلست بسرعة فوق السجادة.

«أنا بخير.» انتظرته حتى تكلم، راحتاها رطبتان وفمها جاف.

قال بهدوء: «أنا آسف لأنني اتصلت في هذا الوقت المبكر، ولكن هناك شيء أريد أن أخبرك به.» الصوت الغامض لم يكن يلمح بأي شيء؛ لم تستطع أن تتكهن بحقيقة مشاعره.

«نعم؟»

«أخشى أنها، أخبار غير سارة جداً.»

تقلصت معدتها وانتظرت وهي ترتعش. ماذا الآن؟

«أصيب بيار أسقانا بنوبة قلبة حادة خلال الليل ومن غير المتوقع أن يعيش.»

«آه، لا.» حملقت غير مستوعبة في الجهاز البلاستيكي الذي تحمله. «يا له من رجل مسكين.»

«تماماً.» كان صوته خالياً من أي انفعال تقريباً وكأنه يجهد نفسه في سيطرة حديدية. «من الواضح أن السبب كان القلق الذي عانى منه في الأيام القليلة الماضية. لقد تحدثت إلى كلوديا في المستشفى. إنها مضطربة كثيراً. إذا كانت لديها القدرة على حب أي إنسان فأعتقد أن والدها هو هذا الانسان.»

انتظرت. إنه يوجه الحديث تدريجياً نحو أمر ما؛ إنها تعلم الإشارات.

«لقد أكدت كلوديا ما كنت أشك به، أنها كانت المسؤولة عن تسريب المستندات، وهكذا.»

«كلوديا؟» كان صوت إيلين صرخة ضعيفة تنم عن عدم التصديق لكنه سمعها، وتناهى صوته الهادىء المتغير عبر الهاتف.

«بالطبع. لقد كان ذلك واضحاً، أليس كذلك؟ أعلم انني لم

www.rewity.com

أفعل ذلك ومن الواضح أيضاً أن بيار لم يفعل؛ لا يبقى إلا كلوديا.»

«وأنا كنت موجودة في الصورة.» كان صوتها منخفضاً.

«لا تكوني سخيفة.» حمل في صوته تلك النبرة من العجرفة التي أزعجتها في الأيام الماضية. «ذلك لم يكن احتمالاً طالما أنا معني في الموضوع.»

«ألم يكن؟» شعرت برأسها يدور في دوامة.

«طبعاً لا. أنا أعهدك أفضل من ذلك.» ثم خيم صمت لم تستطع أن تحطمه. لقد كانت ترتجف لدرجة اعتقدت انها ستصاب بالاعياء في أي لحظة.

«إذاً...» توقف وكأنه من الصعب عليه أن يتابع: «يمكنك العودة. اقضي عدة أيام مع رونالد وتيم...»

«لن أعود إلى فرنسا، يا كورد.» لم تعد تشعر بالدوار واتكأت إلى الحائط وهي ممتنة.

«بالطبع ستعودين.» بدا من صوته وكأنه يراعيها، وللحظة تقريباً ابتسمت فيما هي تتخيل وجهه القاسي المتجهم على الجهة الأخرى من الهاتف وأردف بصوت جاف: «لقد أخبرتك، كلوديا اعترفت بذنبها. يبدو أن هدفها كان إبعادك، ولم تأخذ خسارة آلاف الجنيهات بعين الاعتبار. سوف أشرح لك الأمر كله عندما تعودين؛ انني بحاجة لرؤيتك وجهاً لوجه.»

«إنني أعي ما تقول.» حاولت أن تبقي الرجفة التي كانت تهزها بعيدة ولا تصل إلى صوتها. «لكنني لست عائدة. لا أستطيع.»

قال بغضب: «بالطبع تستطيعين. لا يوجد سبب...»

«بلى، هنالك سبب. وأنا لن أعود.» أخذت نفساً عميقاً. «افعل

أسوأ ما تستطيع عليه، يا كورد، لكنني لست عائدة.» تفوهت بالكلمات ببطء ولا مجال للشك في التصميم القوي في صوتها. خيم هدوء مطبق وثم أتى صوته مجدداً، مختلفاً.

«أحتاج إليك هنا، يا إيلين، العمل وما إلى ذلك...» توقف لحظة وتنحنح ثم تابع: «سوف تعودين؛ سوف أجعلك تعودين.»

«ليس باستطاعتك إظهار قوتك علي بعد الآن، يا كورد.» كانت تجهد للامساك بدموعها ولكن، يبدو أن ذلك ظهر في رنة صوتها. لأن صوته أصبح فجأة أجش.

«لا تبكي! أنت تبكين، أليس كذلك؟ اسمعي...»

«لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أراك مرة ثانية أبداً. إنك تقتلني ببرودتك وثورتك وكلوديا وكل شيء...» كانت نغمات صوتها تعلو. «لا أستطيع مواصلة العمل معك كل يوم، وأنا أشعر بهذا الشعور. لا أستطيع أن أكون امرأة من النوع الذي تريده، وقد أوضحت كيفية مشاعرك اتجاهي.»

«إيلين...»

«لا، لا أريد أن اسمع كل هذا من جديد!» كان صوتها عاصفاً والدموع تنهمر فوق وجهها. «إنها كلمات خاوية. كما أنت خاوٍ في داخلك. أتمنى لو أنني لم أقابلك أبداً! أحبك، ولكن أتمنى لو أنني لم أقابلك!» أقفلت الخط على صوته واستدارت نحو عمها الذي كان قد نزل الدرجات ووقف متجهماً بجانبها.

«يجب علي أن أبتعد، يا عمي.» حملقت به يائسة وهز رأسه ببطء.

«نعم، أستطيع أن أفهم ذلك.» بدأ الهاتف بالرنين مجدداً لكنها تعلقت بذراعه راجية.

«لا ترد، أرجوك أن لا ترد.»

www.rewity.com

«لم أنو ذلك.» وضع ذراعيه حول كتفيها وعانقها برقة. «الآن اذهبي واستحمي وارتدي ملابسك بينما أحضر القهوة. سوف نكلم عمتك لنرى إذا كان بإمكانك استعارة سيارتها لعدة أيام. موافقة؟» هزت رأسها بوهن وتابع بصوت رقيق: «سوف تجتازين هذه المحنة، يا صغيرتي. لقد كنت على علاقة حب مشؤومة منذ سنين ماضية قبل أن أقابل عمتك واعتقدت ان عالمي قد شارف على نهايته. لكن بعدها تحسنت الأمور ببطء و...» هز كتفيه. «الحياة تستمر.»

كان يحاول أن يكون لطيفاً، ولكنه لم يفهم. إنها تدرك الآن أنها لن تتزوج ولن تنجب أطفالاً ولن تحصل على شريك خاص بها. إذا لم يكن باستطاعتها أن تنال كورد، فهي لا تريد أحداً.

استعادت في الأيام القليلة التي تلت ما حدث وكأنها حزام زمني. انطلقت في صباح اليوم نفسه بسيارة عمتها البيضاء الصغيرة، لا تعرف إلى أين هي ذاهبة أو لأي فترة لكن مع رغبة مؤلمة في البقاء وحيدة، من دون الحاجة للحديث أو التفكير.

قادت السيارة لأميال في هواء تشرين الثاني البارد. توقفت لتناول الغداء في حانة صغيرة على حافة الطريق ثم تابعت رحلتها فيما استرخى عقلها المتعب في هدوء وأمان الريف المحيط بها.

كان الوقت متأخراً عند المساء حين وصلت قرية صغيرة في قلب يورك شاير، محفوفة بالتلال المنخفضة والغيوم المتدافعة، حيث الهواء يعبق برائحة الحطب المشتعل وحيث مسار الحياة بطيء بشكل غير معقول.

استأجرت غرفة في نزل صغير، وسرت لأنها وجدت أنها الزبون الوحيد المستضاف في هذا الوقت المتأخر من الفصل، وبعد عشاء شهي من شرائح اللحم المطهوة على الطريقة

المنزلية ونوع من الفطيرة وكأسين من الشراب ذهبت إلى غرفتها الصغيرة ونامت بعمق وبشكل جيد حتى الصباح.

كان الطقس بارداً ولكن جاف فأخذت تتنزه في كل يوم، وهي تحمل الحقيبة الجلدية التي قدمتها لها صاحبة النزل اللطيفة، تضع فيها غداءها وكتاباً، وتقضي ساعات في الريف المزدان باللون الأخضر حيث مياه الجداول تبدو بصفاء البلور وتتدفق فوق الصخور الأزلية وشلالات المياه الصغيرة الرشيقة خلف كل زاوية. كانت تعود كل مساء فيما رائحة الغابات الذكية تنتشر في الهواء البارد والغسق يخيم بظلاله الرمادية فوق القرية، وتأكل الطعام الذي تقدمه لها صاحبة النزل بنهم ثم تستلقي على السرير الصغير متعبة جسدياً لا تقوى حتى على تنظيف أسنانها.

في فترة بعد ظهر اليوم السابع، فيما كانت واقفة تصغي إلى تغريد طائر السُمن الراضي على رابية عالية تشرف على القرية، أصبحت مدركة أن أحداً قد مشى من النزل عن بعد مسافة ووقف قريباً يراقبها. استدارت ببطء وشعرت بذعر حيوان أعمى عندما ثبتت عينيها الواسعتين على كورد الذي كان يتكىء بكسل إلى جزع شجرة سنديان ضخمة وقديمة.

«لا!» مهما كانت توقعاته، فهو لم يتوقع تلك الثائرة الغاضبة، التي ابتعدت عنه وكأنه الشيطان، ثم اختفت خلف التلة في قفزة سريعة.

«إيلين!» كانت صماء لا تسمع صوته وهي تركض إلى معبر الغابة عند أسفل التل، وعندما أمسك ذراعها وأدارها فقط رجحا أن شيئاً من الحكمة قد عاد بينهما.

«أرجوك، إيلين، اصغي إليّ.» كان يلهث وهو يستلقي فوق

www.rewity.com

ربما

رابية صغيرة الأعشاب على جانب المعبر، كورت نفسها وجلست إلى جانبه ويداها حول ركبتيها.

«كيف عثرت عليّ؟»

نظر إليها بحذر، متوقعاً بشكل واضح أن تهرب مجدداً في أي لحظة. «لقد رشوت تيم.» قال من دون خجل.

«رشوته؟»

«وعدته إذا أخبرني بمكان وجودك فسوف اعتبر مسألة السرقة انتهت. أعتقد انه قد تعلم درسه على كل حال، لم أنو أبداً أن ألزمه بتنفيذ الاتفاق طيلة السنوات الأربع.»

لقد شعرت بأنها ارتكبت خطأ عندما أسرّت إلى أحدٍ بمكان وجودها، ولكن عمها امر بأن تبقى على اتصال دائم معهم، والآن، وهي تنظر إلى وجه كورد القاتم، عرفت السبب. «ماذا تريد؟»

«أنتِ.» كان صوته غليظاً، ونظراته حادة مرعبة

«إبق بعيداً عني.» ابتعدت عنه مسافة أكبر لكنه لم يتحرك، بل بقي مستلقياً فوق العشب الأخضر يتأملها بعينين ضاقت حدقتاهما.

«لا تستطيعين أن تبتعدي عني. لن أسمح لك بذلك.» كان صوته هادئاً الآن ولكنه بعيد عن أن يكون مطمئناً.

«لِمَ أتيت؟» كان صوتها حذراً وحاداً. «لِمَ لا تستطيع تركي وشأني؟»

تحرك باضطراب. «هذا السؤال توجب علي أن أسأله لنفسي، وهل تعرفين النتيجة؟»

هزت إيلين رأسها بصمت، والدموع تلمع فوق أهدابها الطويلة.

«لأنني لا أستطيع العيش من دونك.»

وقفت على قدميها فجأة، وهذه المرة فاجأته كما فاجأت نفسها. «لا تفعل.» هزت رأسها بيأس. «لا تفعل هذا بي. لن أكون لعبة أي رجل.»

«من قال أي شيء عن لعبة؟» نهض ببطء وهو يتكلم، وجهه قاس ولكنه ما زال لا يبدي أي محاولة للمسها.

«حسناً، مهما أردت تسمية ذلك.» أبعدت التمزق الذي تعانيه عن صوتها. «أنت سوف تتزوج من كلوديا...»

«كالجحيم أنا!» ها هو كورد المألوف الذي يتكلم الآن، وجهه عنيد وعيناه فولاذيتان.

«ولكنك قلت...»

«لم أقل شيئاً أبداً؛ إنك أنت من أخبرني، إذا كنت تذكرين. أنت لم تصدقي حقاً ذلك الهراء، هل فعلت، ليس عندما كان لديك الوقت لتفكري حول ذلك الموضوع؟ ماذا بحق السماء تعتقدين، أنني غبي؟»

«ليست لدي فكرة عما أنت.» قالت بصدق عندما شعرت أن استيعابها للموضوع بدأ يتقلص بسرعة.

«أنظري إلي.» قال برقة، فيما حلت ملامح لينة مكان القساوة على وجهه. «ماذا ترين؟»

«لا أعلم...» كان صوتها واهناً ومرر يده خلال شعره الأسود.

«سوف أصرخ عالياً، يا امرأة.» قال برقة. «أنت لا تسهلين الأمور. اسمعي. اجلسي.» لوح بيده فوق العشب وعندما لم تتحرك صرخ بصوت أعلى: «اجلسي!» جلست على الأرض وجلس بحذر إلى جانبها، ونظره مركزاً إلى الأمام. «أريدك أن

www.rewity.com

ريما

تصغي إليّ من دون حراك أو كلام حتى أنتهي. هل تفعلين ذلك؟» أدهشتها نبرة الرجاء في صوته والتي لم تسمعها من قبل، وجعلتها تطأطىء رأسها في صمت.

«أعتقد أنني أدركت منذ لحظة وصولنا إلى فرنسا أنك غير قادرة على سرقة تلك الأموال.» اتسعت حدقتاها من الصدمة واختلس نظرة إليها قبل أن ينظر أمامه مجدداً. «أعلم، أعلم أنني وغد من الطراز الأول، ولكنك جذبتني، أنت ترين. أعجبني الغلاف فأردت مزيداً من محتوياته. قدرت أن تيم هو المدين لي ونويت أن أتأكد من أنك لن تخسري من عملك معي... حين تحصلين في نهاية السنة على مبلغ مقطوع وكبير، لقد خططت لكل شيء.» توقف قليلاً. «ثم عرفتك أكثر.»

«وقف وسار إلى المقعد الصغير القائم إلى الجهة الثانية من المعبر ينظر إلى القعر الكثيف وظهره في مواجهتها. «لقد جعلتني أعتقد بأن أفكاري المسبقة عنك كانت خطأ. لم أستطع أن أصدق ذلك عندما علمت أنك فتاة بريئة؛ نوع النساء اللواتي تعودت عليهن...» أصبح صوته قاسياً. «حسناً، لقد رأيت مثالاً لهن في كلوديا. إنها ليست فاضلة، أليس كذلك؟» تنهد بألم. «كل شيء كان حسناً ليكون حقيقياً ثم يأتي الألم في النهاية. لقد اكتشفت ذلك مع أنني أردتك معي... احتجت إليك، كان عليّ أن أبقيك بعيدة عني. لأول مرة في حياتي اهرب من شيء وأنا لا أحب ذلك. لقد جعلني ذلك متوتراً.»

دس يديه في جيبيه. «عندما اعتقدت أنك وسايمون...» هز رأسه ببطء. «أردت قتله، أعني حقاً قتله.» كان في الصوت القاسي رنة فجائية. «لقد أظهرت لي أن المشاعر التي كنت أحملها لميغان لم تكن حباً. لقد آذت كبريائي في ذلك الوقت،

ولكن الشعور الأساسي الذي انتابني بعد أن طردتها كان نوعاً من الراحة، اندمج مع استنتاجي بأن لا أسمح لأي امرأة أن تفعل ذلك بي مرة ثانية. لقد أقسمت على حب لا يموت منذ الليلة الأولى التي تقابلنا فيها، بينما كل الوقت...» لوح بيده ببطء. «على كل حال، كل ذلك أصبح من الماضي، وسوف تبقى من الآن فصاعداً.» ثم توقف. «أخذك إلى المطار كان أقسى شيء أفعله في حياتي.» استدار عندما تفوه بتلك الكلمات ورأت الألم يرتسم على فمه. «أعرف انني أحببتك ولكن لم استطع الاعتراف بذلك. لا، ذلك ليس صحيحاً. لم أجرؤ على الاعتراف بذلك.»

«لا.» هزت رأسها غير مصدقة عندما همست بانكارها وابتسم بشكل هزلي.

«تريدين أن تعلمي الحالة التي حولتني إليها؟ لقد احتفظت بمفتاح شقتك كي أستطيع أن أذهب واجلس هناك قريباً من حيث كنتِ. اتنشق رائحة العطر الذي تستعملينه، وأشعر بك موجودة معي. جلست هناك لساعات، أفكر... مجنون، أيه؟» لوى فمه. «كورد لاشوني، لذي لا يقهر، يقع في الحب مع معلمة مدرسة انكليزية صغيرة لن تمنحه وقت يومه.»

همست: «لم يكن الأمر كذلك.»

«لقد بدا الأمر كذلك. لكنت دفعت كل ما في العالم لأجلك كي تحبيني مثلما وصفت الحب، ومع ذلك جزء ما في داخلي كان سعيداً لأنك لم تفعلي. إنها مسؤولية كبيرة واحتمال جرح القلب قوي جداً.» ابتسم بمرارة. «كنت ما زلت استطيع التفكير على هذا النحو عندما كنت معي، ولكن حينذاك كنت قد ذهبت. كان يجب علي أن أواجه الحقيقة بانني فقدتك، بأن شخصاً آخر يملك حق ضمك، وجعلك تحبينه.» توقف قليلاً. «لا اتمنى

ربما

لأد اعدائي أن يمر بما مر بي. كنت تمرحين في هذا العالم، تتنفسين وتعيشين، وتعيشين حياة لست جزءاً منها.»

«لِمَ لمْ تخبرني بكل ذلك عندما اتصلت بي، لو كان ذلك صحيحاً؟» تجرأت على عدم تصديق كلامه، لم تستطع أن تمنح نفسها الأمل.

«لأنني جبان.» كانت عيناه غاضبتين. «إنه أمر لا يسرني مواجهته أيضاً. كنت أريد أن أعيدك على طريقتي، أجعلك تعودين وتعملين معي ثم أستقبلك بحفاوة، أتوسل إليك، استعمل كل الخدع التي اضطر إليها، ولكن اعادتك هي ما كنت أنوي فعله.» تأوه برقة واقترب ليواجهها. «ثم أخبرتني أنك تحبينني. كانت لديك قوة في أصبعك أكثر من القوة التي أحملها في كامل جسدي. لقد كانت مفاجأة كبيرة لي، ثم قطع الخط.»

«لكن كلوديا؟» عليها أن تسأل الآن في هذه اللحظات من الصراحة. «لقد قضيت معها وقتاً طويلاً.»

«هل فعلت؟» بدا مندهشاً ثم أصبحت تعابير وجهه واضحة. «ليس تماماً؛ لقد قضيت وقتاً طويلاً مع بيار وكانت هي موجودة، هذا كل ما في الأمر. الشعلة الصغيرة التي كانت بيننا انتت منذ وقت طويل، منذ وقت طويل وهي تعلم الموضوع. الحقد الذي صدر عنها وجعلها تسرب الأوراق كان سببه لأنني أرسلتها مع حقائبها ليلاً خلال الحفلة عندما سمعت ما أخبرتك به. كانت أقل من شخص لائق.»

مد يده ليرفعها وترددت للحظة طويلة. «إيلين... أرجوك.» كان هناك ألم في عينيه احسته في قلبها. «لو أردتِ الانتقام فقد انتقمت بشكل تام خلال هذا الأسبوع، عندما عدت إلى هنا ووجدت أنك رحلت... شعرت بأن دهراً قد مر قبل أن أجبر

رونالد وتيم على التكلم؛ لقد كدت أصاب بالجنون.»

وضعت يدها البيضاء الصغيرة في يده السمراء الكبيرة رفعها برقة لتقف على قدميها، وسألت بثبات: «بيار؟»

«اللعنة على بيار!» هز رأسه. «أنا آسف، إنه بخير، سوف يتخطى الأزمة. إيلين...» أدناها منه بحذر وكأنها مصنوعة من زجاج. «لا أهتم بشأن بيار، لا أهتم بشأن تيم أو عمك؛ كل العالم لم يعد له وجود. تكلمي إلي، باسم الشفقة. حديثني عن مشاعرك. إذا كان هناك أمل لنا.» كانت مجمدة بين ذراعيه، مذعورة من أن تستسلم للمشاعر التي تنمو في داخلها. تجمد وهو ينظر إليها. «لن أستسلم، أنت تعرفين. إذا كنت قد قتلت حبك لي سوف أجعله يزهر من جديد. أنا أريدك ولن أدعك ترحلين.» كانت لهجته واضحة وعيناه قاتمتين بفعل انفعالاته.

همست بوهن: «مثل والدك.»

وافق برقة: «تماماً مثل والدي. لأول مرة في حياتي عرفت كيف شعر عندما نظر إلى فتاته معلمة المدرسة الانكليزية الصغيرة.» ربتت على خدها بيده.

«هل تتزوجين مني، يا يمامتي الصغيرة؟ ابقي معي، وانجبي أطفالي واستمري بحبي حتى عندما أكون مستحيلاً، هذا يعني معظم الوقت؟ أريدك أن تكوني لي، لي تماماً، كما سأكون لك. لا أستطيع أن أعيش من دونك، يا إيلين. أنا أحبك، وأنا أعرف الآن انني لم أحب من قبل.» لقد قالها، أخيراً، عندما ذبل الأمل، وفي أعماقها تفجر شيء كله قوة وكله نشاط، يمحو كل آلامها.

لمست وجهه القاسي الأسمر بتعجب. «نعم، سوف أتزوج منك، يا كورد.»

عانقها ودهشت من قوته الحديدية. تعلقت به غير مصدقة أن

www.rewity.com

هذا الرجل القوي القاسي أصبح لها وأنه يريدها زوجة له. ابعدها عنه إلى مسافة ذراع بيدين لم تكونا ثابتتين. «لم أجرب قيوداً كهذه ولا أحب ذلك.» قال برقة وعيناه تلمعان فوق بشرته الداكنة.

«لست مضطراً لذلك.» قالت برقة وهي تحبه وتريده.

«آه، لكنني مضطر.» كان وجهه ينم عن الجدية الآن، واعترتها حيرة خفيفة. «هذا يجب أن يتم بطريقة صحيحة. أنت سوف تأتين إليّ لأول مرة في كورسيكا، كعروس كورسيكية، في ثوب أبيض وفوق شعرك زهور جميلة. سيكون هناك احتفال في الشوارع يدوم لأيام وسوف يقودونك إليّ في الكنيسة في قريتي.»

أصغت مبتهجة عندما جلسا ثانية على العشب. ضمها إليه وربت فوق شعرها الأشقر فيما هو يتكلم.

«سوف نجلس في ساحة القرية بعد الاحتفال حيث المرح والكثير من الشراب، وسوف نرقص بمفردنا الرقصة الأولى فيما كل الرجال يفكرون كم أنا سعيد الحظ.» كانت عيناه قاتمتين ومتملكتين.

«ثم بعد ذلك، بعد ذلك بوقت طويل، عندما يكون الهواء مفعماً بالموسيقى والحب ثقيلاً في الهواء، سوف أحملك إلى بيتي وثم...» توقف برهة.

«وثم؟» لم تستطع أن تقاوم اغاظته قليلاً. «ماذا يحدث؟»

«ستكونين لي، حتى تذوب الأرض والشيء الوحيد الذي يهمك هو أنا. هكذا سيكون الأمر، يا يمامتي الانكليزية الصغيرة.»

تمت

ريما